سلسلة أبحاث كتابية / ١٥

الإنجيل بحسب القديس يوحنا

سلسلة تفاسير [٤]

تأليف: آلان مرشدور
ترجمة: الأب بيوس عفاص

دار بيبليا للنشر
الموصل ٢٠٠٩

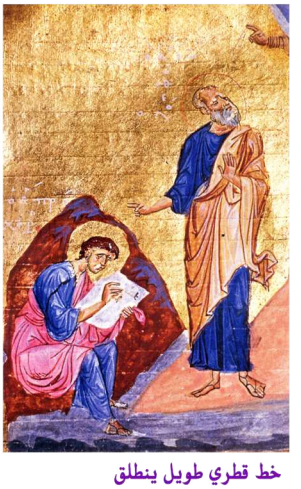

يوحنا الانجيلي وتلميذه بروخورس

منمنة من انجيل بيزنطي (القرن ١٢)

متحف اثينا الوطني

خط قطري طويل ينطلق من يد الله ويخترق وجه يوحنا وذراعه ليبلغ الى بروخرس، وهو منكب على مخطوطته... انه كناية عن الالهام المعبَّر عنه بحركة يد يوحنا الشبيهة بيد الله، وهو يملي على تلميذه ما تلقاه من الله.

يوحنا

تفصيل من لوحة اوجين بيرنانـد (١٨٥٠ـ١٩٢١)ـمتحف اورسي/باريس

التلميذان بطرس ويوحنا وهما يسرعان الخطى نحو القبر، فجر القيامة.

الانجيل
بحسب
القديس
يوحنا

عنوان الكتاب بالفرنسية

Alain Marchadour
L'évangile de Jean
Commentaire pastoral
Ed. Bayard/Centurion-Novalis
France-Canada, ١٩٩٢

الأن مرشدور

الانجيل بحسب القديس يوحنا

لفسير راعوي

سلسلة تفاسير
(٤)

نقله إلى العربية

الأب بهوس عفاص

اصدارات
مركز الدراسات الكتابية
الموصل-العراق
٢٠٠٩

كلمة الناشر

لَكَم طالب المؤمنون بكتب تفسير للكتاب المقدس، والعهد الجديد بنوع خاص، على ألاّ يكون ذلك التفسير عسيراً يطفو عليه الطابع العلمي الذي قد يذهب بهم في تفاصيل دقيقة تغطّي المضمون الجوهري الذي يتّسم بالتالي بالبساطة... وكان لهم ما أرادوا حين وقعت دار بيبليا للنشر على سلسلة كتب تفسيرية، عميقة وسهلة في آن واحد، بعنوان "تفاسير" (*Commentaires*)؛ وكان نصيب العهد الجديد منها عشرة أجزاء: أربعة للأناجيل، وواحد لأعمال الرسل، وثلاثة لرسائل القديس بولس، وواحد للرسائل الأخيرة، والأخير لسفر الرؤيا؛ علماً بأن هذه السلسة ظهرت بالفرنسية عن "الخدمة البيبلية: انجيل وحياة" -وكانت "ملفات الكتاب المقدس" تصدر عنها منذ عام ١٩٨٤، وعمد م.د.ك.، منذ عام ٢٠٠٠، الى تعريبها ونشرها.

وظهر الجزء الأول من هذه السلسلة "الانجيل بحسب القديس متى" في خريف ٢٠٠٨، حاملاً الرقم (١)، ضمن سلسلة "أبحاث كتابية" (رقم ١٣)، وبقلم اختصاصي -كلود تاسّان- عرف أن يقدّم للقارئ تفسيراً راعوياً في هذا "الانجيل الكنسي"!

وارتأت دار بيبليا ان تُرجىء ترجمة انجيلي مرقس ولوقا وسفر أعمال الرسل الى الآخر -إذ سبق أن ظهر كتابان في سلسلة "ابحاث كتابية" تناول الأول "يسوع الذي من الناصرة/بقلم مرقس الانجيلي"، والثاني انكبّ على مؤلّف لوقا بعنوان "لوقا-الأعمال/وعد التاريخ"- وهكذا كان لكم، بهذا الكتاب، موعد مع الجزء الرابع من سلسلة "تفاسير" (وهو الرقم ١٥ في سلسلة "ابحاث كتابية")، وسيتواصل من ثم ظهور الاجزاء الاخرى تباعاً، وبمعدل كتابين في السنة، وحتى خريف ٢٠١٣!

إليكم، إذن، "الانجيل بحسب القديس يوحنا"، انجيل أسالَ الكثير من الحبر بين الاختصاصيين لتحليل مضمونه وتشخيص مؤلّفه وابراز المحاور الكبرى من الشهادة الايمانية التي شاء ان يقاسمها قرّاءه في غروب القرن الأول الميلادي او فجر القرن الثاني، هو الذي كان عليه ان يحملهم على الايمان بابن الله لتكون لهم باسمه الحياة... وهل من هو أحقّ من آلان مرشدور -وقد ألِف قرّاء "الملفات" اسمه- ليدخلنا في غمار الخبرة الايمانية التي يشهد لها الانجيليُّ الرابع؟!

الموصل في ١٥ آب ٢٠٠٩ — مع تحيات دار بيبليا للنشر

لماذا أُحب يوحنا؟!

بهذه العبارة صدّر آلان مرشدور الملف ١٩ من "ملفات الكتاب المقدس" (كانون الثاني ٢٠٠٥) عن انجيل يوحنا -وقد درّسه لسنين طويلة- حين كتب قائلاً: "وفي كل مرة اكتشف فيه ثروات جديدة وكأن قراءته، من دون ان تستنفد كل معانيه، تجعله يتدفق بشكل دائم الجدّة ومثير للدهشة!". وهكذا رجّع صدى ما كتبه اوريجانس، احد كبار المفسرين في القرن ٣: "... ليس بوسع احد ان يدرك معناه إذا لم يكن قد اتكأ على صدر يسوع، وقَبِل، من يسوع، مريم أمًّا له"!

ذلك اننا، مع انجيل يوحنا، ازاء بناء شامخ، ترتفع وتتأصل قمته في اعالي السماء، فيما تستند قاعدته وتتجذر في اعماق ارض البشر. كيف لا، وهو الانجيل الذي، بقدر ما يحكي عن يسوع الذي من الناصرة، يحكي عن يسوع، المسيح، الذي على الصليب تجلى مجدُه! ويلفت مرشدور الانتباه الى ان فرادة هذا الانجيل تكمن في انه "يذهب حتى النهاية بالسؤال الجوهري الذي طرحته الاناجيل الثلاثة الاخرى". فاذا رسم كل من الازائيين وجه يسوع، على طريقته، في ضوء القيامة، الا ان يوحنا "ركّز اهتمامه على سر يسوع: فحين استهل انجيله بالمطلع الفريد، نجح في الصعود المتدرّج الى البداية الحقيقية، أي تلك البداية التي تكشف عن سر الانسان يسوع: في البدء كان الكلمة! ويخلص آلان مرشدور الى القول: "يكمن رهان انجيل يوحنا برمته في الاعتراف بان الله قد تجلّى للبشر في شخص هذا الرجل. أنْ نؤمن أو لا نؤمن: ذلك هو التحدّي الذي كان على اليهود (وكل البشر من خلالهم) ان يواجهوه"!

ومع انجيل يوحنا، كيف يمكننا ألا نواجه هذا التحدّي الذي يضطرنا الى اتخاذ موقف يمليه علينا الانجيلي الرابع، عبر فنه الادبي الرفيع الذي بموجبه سلّط الاضواء على اشخاص نموذجيين -من امثال نيقوديمس والسامرية والاعمى ولعازر وتوما- كان لهم لقاء مع يسوع غيّر مجرى حياتهم، فاصبح بوسع كل قارئ ان يجد ذاته فيهم؟ قالها المؤلف في مقدمته المكثفة: "شخص يمر، هو النور الآتي من لدن الله، ليعيد كل واحد الى حقيقته. ولا بد من الاختيار بين النور والظلمات، بين الايمان وعدم الايمان، بين الحب واللامبالاة، بين الموت والحياة".

فنحن، إذن، بازاء بشرى تنتظر منّا جواباً يحدّد موقعنا من يسوع، ويكشف في أي معسكر قد اصطففنا، وفي أي اتجاه قد ذهبنا... ذلك ان انجيل يوحنا، منذ البداية حتى النهاية، يضعنا في قلب الصراع بين الحق والباطل، ولا بد لنا من ان نكون في جانب او آخر، إذ لا يمكن للظلمة ان تستقيم مع النور، ولا للنور ان يهادن الظلمة... أليس الى هذا الصراع الدهري لمّح المطلع: "... والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه"؟! وفي ختام اللقاء مع نيقوديمس، أما حقّت الدينونة في الذين رفضوا الانفتاح للنور: "... النور جاء الى العالم، وفضّل الناس الظلام على النور"، على العكس من الذين يُقبلون الى النور، فتظهر اعمالهم انها صُنعت في الله...

وهكذا نجدنا، على مدى الانجيل الرابع، بازاء اعداء النور الذين طالما أطلق عليهم مؤلفه لقب "اليهود"، وهم كل الذين يصطدمون بالنور، لانه يعرّيهم ويكشف عن عماهم؛ وهم ايضاً كل الذين لم يرتضوا السير في طريق النور، وراء من قال: انا نور العالم، من تبعني لا يمشي في الظلام. ويصطف في معسكر الظلام الكتبة والفريسيون وعظماء الكهنة الذين نراهم، في كل سانحة، يسجّلون على يسوع مآخذ تلو المآخذ، فيلومونه على موقف جريء اتخذه، ويشككون في آية بيّنة صنعها... ولنا من هذه المآخذ، في الانجيل الرابع، عدد كبير، بدءاً بآية تطهير الهيكل -آية لن يفهمها تلاميذه إلا بعد القيامة! وسرعان ما تتحول المآخذ الى مجابهة عنيفة، لتتمخض عن مؤامرة خسيسة يحوكها عظماء الكهنة والفريسيون، سواء إثر شفاء مقعد يوم السبت، او ابان الخطاب في خبز الحياة بعد آية تكثير الخبز، ام بسبب المرأة الزانية وما تلا المشهد من مجادلات نارية، او بعد شفاء الاعمى منذ مولده عبر

جدال كشف عن أعمى يُبصر، وعن مبصرين عميان! وسيُسفر عمى الكتبة والفريسيين، في اعقاب احياء لعازر، عن خطة لتصفية يسوع، عبر "نبوّة" على لسان قيافا عظيم الكهنة: خير ان يموت رجل واحد عن الشعب ولا تهلك الامة بأسرها! ونقرأ هنا احدى "سخريات" يوحنا الكثيرة في الرّد على اتهامات "اليهود" ومواقفهم العدائية، حين كتب بأن عظيم الكهنة قالها "فتنبأ" ان يسوع سيموت عن الامة "ليجمع شمل ابناء الله المشتّتين"!

ها نحن في قلب الدراما! فبعد قسم اول (١٢:١٩-٥٠) بعنوان "كتاب الآيات" -ويطلق عليه الاب دوناسيان مولاّ "كتاب الاعياد اليهودية" - نجدنا للحال بازاء كتاب "ساعة يسوع" -كما يسميه الاب مولاّ - وهو القسم الثاني (١٣:١-٢٠:٣١) بعنوان "كتاب المجد". ولطالما اوضح يوحنا ان "ساعة" يسوع هي ساعة تمجيده، بدءاً من قانا الجليل والى العشاء الاخير، لانها ساعة انتقاله من هذا العالم الى الآب. فبعد ان أتم العمل الذي وكله اليه الآب، وبلغ به الحب الى اقصى الحدود، مسلّماً تلاميذه وصاياه الاخيرة -وهي بالاحرى خطابات يسوع الوداعية التي امتدت على خمسة فصول!- لم يبقَ له سوى ان "يقود" آلامه بنفسه، بصفته سيد الاحداث، ويقوم بمسيرة ظافرة نحو الجلجلة حيث يتجلى مجده! إلا ان هذا المجد، كان قد تجلى منذ ان دخل يسوع في ليلة الآلام، عقب خروج يهوذا -وهو صورة التلميذ الخائن- من المصف الرسولي: "الآن مُجّد ابن الانسان، ومُجّد الله فيه"! ولكم سيعتني الانجيلي في الجمع بين ساعة آلام يسوع وموته، وساعة ارتفاعه في المجد.

ومن أعلى الصليب، سيكون بوسع يسوع ان يقول "ها قد تمّ"، قبل ان "يسلّم" الروح... ونعلم ان الانجيلي الرابع يشير هنا الى تسليم الروح للتلاميذ، هذا الروح الذي طالما تكلم عنه يسوع ووعد به؛ وقد سبق ان نقل لنا صرخة يسوع في آخر يوم من عيد المظال قائلاً بان من يؤمن به "تجري من جوفه انهار من الماء الحي"، مضيفاً هذا التفسير والتأوين: "واراد بقوله الروحَ الذي سيناله المؤمنون به، فلم يكن هناك بعدُ من روح، لأن يسوع لم يكن قد مُجّدَ"! وفي هذا السياق، كان لا بد للانجيلي ان يشدد على ان عطية الروح هي هبة القيامة، عبر المشهد الذي بموجبه، في مساء اليوم الاول، نفخ يسوع القائم في التلاميذ قائلاً: خذوا الروح القدس...

تلك هي بايجاز المحطات الكبرى في هذا "الانجيل الروحي" -كما أسماه القديس كليمنتس الاسكندري في القرن ٢- وهو في الواقع اكثر الاناجيل التصاقًا بالاحداث، في اطارها التاريخي والجغرافي. ولعل الهدف الاول والاخير منه، ان يبلغ بالقارئ الى "ايمان جاد" -دلّنا عليه الكردينال مارتيني، في اثر القديس يوحنا (ابحاث كتابية/١٢)- هو الذي ختم انجيله بمشهد توما الرسول، هذا التلميذ من الماضي البعيد الذي يجسّد موقف كل الذين يضعون شروطًا لايمانهم بالرب القائم: أن يروا كي يؤمنوا! فقلب يوحنا المقولة: ان نؤمن كي نرى! وهكذا تأتي الخاتمة لتعبر عن هدف الانجيل برمته: "... وهذه كُتِبَتْ لتؤمنوا بان يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم، اذا آمنتم، الحياة باسمه".

•

قرائي الكرام

ازفّ اليكم هذا الكتاب الرائع الذي يقدم تفسيراً راعوياً رصيناً في انجيل يوحنا -على غرار التفسير الذي قدّمه كلود تاسّان لانجيل متى (ابحاث كتابية/١٣)- ويُدخلنا الى اجوائه من دون عناء، فنكتشف العمق الذي تميز به وسموّ الطروحات التي انفرد بها. اما ترجمته الى العربية، فكانت ممتعة وهنّية، اتاحت لي الفرصة لأن اتبع خط السير الذي رسمه الانجيلي لكل قارئ، ليُمكّنه من ان يرى، في يسوع الذي من الناصرة، ذاك الذي قال: "أنا الطريق والحق والحياة"... واذا كانت لي امنية، فهي ان نحبّ يوحنا! وهو بدوره يقودنا الى ان نحب يسوع ويُصبح كل منّا "التلميذ الذي أحبه يسوع"!

وشكري العميق للآنسة سحر سالم لبو التي نضدت ونسقت واخرجت هذا الكتاب، وبهذا المستوى الرفيع!

الموصل في ١٠ حزيران ٢٠٠٩ — الأب بيوس عفاص

توطئة

على غرار الكتب الثلاثة من سلسلة "تفاسير" (Commentaires) التي تناولت الاناجيل، يحمل هذا الكتاب أيضاً العنوان الثانوي: "تفسير راعوي". وقد اختيرت هذه الصفة، لا بسبب مضمون راعوي بالمعنى الكامل للكلمة، وانما للتأكيد على هدف هذه المؤلّفات وعلى نوعية المعنيين بها. انها تتوجه، لا إلى اختصاصيين، وإنما الى قراء مؤمنين، يهمهم ان يقرأوا او يفسّروا الاناجيل لفائدتهم، هم الذين يوجدون غالباً عزّلاً ازاء صعوبات النصوص. فالى جانب التفاسير العلمية التي تفترض معرفة اللغات البيبلية، شئنا ان نقدم للقراء اداة سهلة وجادة في آن واحد.

وسيلاحظ القارئ ولا شك غياب الهوامش في آخر الصفحات، وندرة المراجع البيبليوغرافية. وسيكون ولا شك بوسع العارفين ان يكتشفوا، من وراء هذه الصفحات، العديد من المصادر الرصينة... إلا اني أود ان أسجّل هنا دَيني الخاص لثلاثة تفاسير لم تنقل إلى الفرنسية:

– ر. شناكنبورغ: الانجيلي يوحنا (٣ مجلدات)، هيردر ١٩٧١ و١٩٧٥ (بالالمانية)

– ر. براون: الانجيل بحسب يوحنا (مجلدان)، نيويورك، ١٩٦٦ و١٩٧٠ (بالانكليزية)

– س.أ. بانيمول: رسالة انجيل يوحنا الراعوية (٣ مجلدات)، بولونيا (ايطاليا)، ١٩٧٨ و١٩٨١ و١٩٨٤ (بالايطالية)

الان مرشدور

المقدمة

اوريجانس، احد ابرز مفسّري يوحنا، عرّف القارئ المثالي لهذا الانجيل بهذه العبارة، وإن صدمت القارئ "الاعتيادي": "لا أحد يستطيع ان يدرك معنى انجيل يوحنا إذا لم يكن قد ارتمى على صدر يسوع، وقَبِلَ مريم أمّاً له"!

يودّ التفسير المعروض هنا ان يتيح لأكبر عدد ممكن أن يستفيدوا من قراءة هذا الانجيل الذي تتسم لغته أحياناً بالغرابة، سيما وانها أقلّ الفة من سائر الاناجيل. ففي الكنيسة الاولى، كانت نسبة قراءته اقلّ من الاناجيل الاخرى، مع العلم بأنه الطريق الافضل للذهاب حتى النهاية بالسؤال المطروح في الاناجيل: ما هي هوية يسوع الحقيقية؟ فيوحنا، حين وضع لمؤلّفه مقدمة، فهو انما ارتقى الى البداية الحقيقية التي تكشف عن سر الانسان يسوع: "في البدء كان الكلمة". وهكذا، حين يكون أُفق الابدية قد فتح الزمن وفسح المجال امام الصيرورة: "والكلمة صار بشراً"، فحينذاك تختفي لفظة "كلمة"، ولم يعد مرئياً ما احتوته من بُعد الهي. وحده "اللحم"، أي الانسان في بُعده الضعيف والهزيل والأليم، هو الذي يُرى. ورهان الانجيل يكمن في ان يرى المرء، في هذا الانسان، إلهاً بوسع البشر ان يروه! أنْ يؤمن المرء أو لا يؤمن: ذلك هو التحدّي الذي كان على اليهود (ومن خلالهم كل البشر، ونحن قراء اليوم) أن يواجهوه. ويتمتع الانجيلي بفن، يرتقي بموجبه الى مسرح الاحداث اشخاص رمزيون، بحيث يُتاح لكل قارئ ان يجد ذاته فيهم: شخص يمرّ، هو النور الآتي من لدن الله، ليعيد كل واحد الى حقيقته. ولا بد من الاختيار بين النور والظلمات، بين الايمان وعدم الايمان، بين الحب واللامبالاة، بين الموت والحياة.

ان لهذا الانجيل -وما زالت قراءته مثيرة اليوم- تاريخاً هو في الغالب معقد وغير اكيد. إليكم بعض الافكار التي تساعد على وضع انجيل يوحنا في سياق زمانه.

أولا. مؤلف الانجيل الرابع

لم تتم نسبة الاناجيل الى مؤلفين معيّنين بشكل واضح إلا اعتباراً من القرن الثاني. اما بشأن يوحنا، فالتقليد الذي ينسبه إليه يبدو عريقاً وصلباً. انه يستند الى شهادات خارجية وداخلية في الوقت ذاته.

أ. شهادات داخلية

لا نصادف "التلميذ الذي أحبه يسوع" (وقد دُعي في ١٥:١٨ "التلميذ الآخر") إلا اعتباراً من القسم الثاني من الانجيل (٢٣:١٣-٢٥؛ ٢٦:١٩؛ ٢:٢٠-٨). ولا نجد قط في النص تشخيصاً واضحاً ليوحنا ابن زبدى. وانما يطلعنا الانجيل فقط بان هذا التلميذ هو على ارتباط وثيق ببطرس، وانه كان الى جانب ام يسوع، في مشهد الجلجلة (يوحنا ٣٥:١٩ حيث تسمح لنا عبارة "الذي رأى شهد" أن ننسب إليه رواية الجنب المطعون). وتلك هي اشارة هامة تمكّننا من الاستنتاج بان التلميذ الذي أحبه يسوع والتلميذ الذي يشهد (وبالتالي الذي يدوّن شهادته) هما شخص واحد، وانه شاهد جدير بالثقة في ما يتعلق بآلام يسوع، ومن ثم إلى كل مسيرته التاريخية. ويصادق على متانة هذه الشهادة "الناشر" الذي اضاف الى الانجيل الفصل ٢١؛ وهو الذي، حين تحدث عن "التلميذ الذي احبه يسوع" -وكان قد توفي ولا شك- أخذ يؤكد: "نحن نعلم ان شهادته صادقة" (٢٤:٢١)! ولما كنّا لا نجد في هذا المشهد سوى سمعان بطرس وتوما ونثنائيل من قانا الجليل وابني زبدى وتلميذين آخرين (٢:٢١)، فبامكاننا ان نستنتج بان التلميذ الذي احبه يسوع، مؤلف الانجيل، هو واحد من هؤلاء. ولكن ليس هناك البتة ما يدل، بشكل واضح، انه كان أحد ابني زبدى. لذا ينبغي القول بان معطيات الانجيل الداخلية لا تمكّننا من تشخيص مؤلف الانجيل.

وكانت هناك محاولة اخرى للتقدم، عبر استخدام المعطيات الازائية. لا شك ان هناك ثلاثة تلاميذ أُشركوا مع يسوع، عن قرب، بحسب مرقس ٣٧:٥؛ ٢:٩؛ ٣٣:١٤، وهم بطرس ويعقوب ويوحنا. ولما كان يعقوب قد توفي عام ٤٤، وكان بطرس والتلميذ الذي احبه يسوع على علاقة وثيقة في انجيل يوحنا، اصبحت المقاربة مع يوحنا مغرية. وهناك برهان آخر (اكثر هشاشة!) مستقى من يوحنا ٤٠:١ حيث يقال -مع التأكيد على كلمة "الاول" (وتترجم غالباً "أولاً")- بان اندراوس، هو **الاول**، ودعا أخاه بطرس؛ مما يوحي بان التلميذ الآخر الذي بقي عند يسوع، قد يكون دعا **من ثم** اخاه (يوحنا دعا يعقوب!). إلا ان هذا البرهان هو من الضعف، بحيث يكون من المفضَّل أن يُهمَل.

ب. شهادات خارجية

لم يشكك التقليد قط بنسبة هذا الانجيل الى يوحنا ابن زبدى (حوالي عام ١٨٠). فالقديس ايريناوس الذي عرف بوليكربوس (وهو ذاته قريب من يوحنا) يؤكد في كتابه "**ضد الهرطقات**" (٣:١، ٢): "ومن بعد التلاميذ الآخرين، يوحنا، تلميذ الرب، الذي اتكأ على صدره، قدّم هو ايضاً قراءته للانجيل حين كان مقيماً في أفسس". ويؤكد "قانون موراتوري" (بين الاعوام ١٧٠-٢٠٠) -وهو وثيقة تحمل لائحة باسفار العهد الجديد- بأن "الانجيل الرابع هو انجيل يوحنا، احد التلاميذ. فحين كان زملاؤه وقسسه يناشدونه، قال لهم: صوموا معي ثلاثة ايام، وسوف نحكي بعضنا لبعض ما أُوحي إلينا. وفي تلك الليلة، أُوحي الى اندراوس، احد الرسل، بان على يوحنا ان يكتب كل شيء باسمه الخاص، بتفويض من الكل". وهوذا كليمنضس الاسكندري (عام ٢١٠) يضع الازائيين بازاء يوحنا، عبر صيغة اصبحت شهيرة: "ويوحنا، آخر الكل، وقد رأى ان الآخرين اكتفوا برواية الاحداث المادية، دوّن، بتشجيع من اصدقائه، وبإلهام إلهي من الروح القدس، الانجيل الروحي".

ج. إعتراضات عصرية

في غضون القرن التاسع عشر، أصبحت نسبة الانجيل الى يوحنا بن زبدى موضوع جدل. فلقد شدد الباحثون على ان فريقاً في القرن الثاني (فريقاً هامشياً في نظر التقليد)، يُدعون "الالوجيين" (*Aloges*)، شككوا في اصول انجيل يوحنا الرسولية. إلا ان هناك بالاكثر نصّاً لبابياس، نقله اوسابيوس القيصري، كان وراء ظهور نظرية جديدة: في هذا النص، ميّز بابياس بين "**يوحنا** او متى او احد تلاميذ الرب، وبين **يوحنا الشيخ**، تلميذ الرب" (التاريخ الكنسي ٣:٣٩؛ ٤). وذهب النقد في البحث عن مؤلف الانجيل باتجاه يوحنا الشيخ. فالكاثوليك دافعوا دوماً عن التقليد، حتى ان نصًّا صادراً عن اللجنة البيبلية، من عام ١٩٠٧، شدّد على الابوّة اليوحنانية لهذا الانجيل، لأسباب داخلية وخارجية معاً.

أما اليوم، فالجدل هو اكثر صفاء. ذلك لأن السؤال الحقيقي لم يَعُدْ، أولاً، معرفة: "هل يوحنا ين زبدى هو مؤلف الانجيل ام لا؟"، وانما: "هل يندرج انجيل يوحنا في التقليد الرسولي؟"؛ فضلاً عن ان الباحثين حول أصل الانجيل اخذوا يمنحون مرونة أكبر لمفهوم "التأليف".

ان وراء التقاليد اليوحنانية ولا شك، وجهاً رسولياً ذا اهمية كبرى، لا بل تلميذاً، وشاهد عيان. فهو الذي جمع تقاليد عن يسوع لم تعرفها المؤلفات الازائية. وهو وحده استطاع ان يفرض تقليداً، وإن بدا هامشياً. لقد ترك طابعه الخاص واسلوبه، وعرف ان يفرض تياراً كريستولوجياً (يتعلق بلاهوت المسيح) يختلف كثيراً عن سائر الاناجيل. من هو حقاً هذا المؤلف؟ كان التقليد قد شخّصه في احد ابنَي زبدى؛ ولا شيء يعارض هذا التشخيص. ويسمح لنا انجيل يوحنا ان نبحث عن هذا الوجه الرسولي بين تلامذة يوحنا المعمذان. ذلك ان يوحنا، في الواقع، خلافاً للازائيين، يضع كثيراً من تلاميذ يسوع في دائرة يوحنا المعمذان. ومن هنا استنتج بعض المؤلفين بان هناك فريقين بين التلاميذ: الجليليون من جهة، من امثال بطرس الذي جاء الى يسوع مع عدد من الصيادين الجليليين؛ ومن جهة اخرى تلاميذ يوحنا المعمذان المتأثرون بالتيارات الفكرية في ذلك الزمن، والذين استمالتهم حركات العصر الهامشية: التيارات الغنوصية والحركات المعمذانية. ويُحتمل ان يكون يوحنا، مؤلف الانجيل، من بين هؤلاء. لقد عاش في اليهودية، لذا نجده في الواقع عارفاً بالمحيط اليهودي وبجغرافية فلسطين، وبشكل عام بكل اعمال يسوع التي جرت في اليهودية.

لنقرّ بانْ ليس في حوزتنا سوى لمحات لا تسمح لنا بان نعيد بناء البدايات بشكل اكيد. ولما كان يسوع هو الشخصية المركزية، اختفى وراءه مؤلفو الاناجيل. لقد كانت للأقدمين، بشأن الحقيقة التاريخية، طرق تختلف عن طرقنا، وكانت نسبة كتاب وهمية الى شخصية مؤسِّسة (*Pseudépigraphie*) أمراً مألوفاً جداً لدى الاقدمين، من يونانيين ولاتين ويهود.

ثانيا: انجيل يوحنا، وحدة أم تنوع؟

هل اكتفى مؤلف الانجيل بتجميع تقاليد مختلفة، ام كان هناك مبدأ قائد ألهم مؤلّفه؟ لكي نحاول الاجابة عن هذا السؤال، علينا ان نلقي نظرة شاملة على الانجيل. فنص يوحنا، في مجمله، لا يثير مشاكل كبرى على صعيد النص. فلقد وَصَلنا نصُّه عبر العديد من الشهود: مخطوطات من البردي او الرق. واحتوت احدى القطع الموسومة (P٥٢) على آيات من يوحنا ١٨: ٣١-٣٣. والآية ٣٧ ترقى الى حوالي السنة ١٢٠ بعد المسيح. وهناك برديتان (P٦٦ وP٧٥) ترقيان الى السنة ٢٠٠ احتوتا على جزء كبير من انجيل يوحنا.

إلا ان هناك مقطعين، يحوم الشك حول اصالتهما، واكثرهما اهمية يتعلق بمقطع المرأة الزانية (يوحنا ٧:٥٣-٨:١١). فهذه القطعة الادبية واللاهوتية الرائعة غائبة بالفعل من اولى مخطوطات انجيل يوحنا: من برديتي P٦٦ وP٧٥، ومن عدد من المخطوطات الكبرى في القرنين الثالث والرابع. وهكذا يبدو ان هذا النص لم يكن جزءاً من انجيل يوحنا الاصلي (انظر التعليق ادناه لدى الحديث عن الزانية).

أ. المشاكل الادبية في الانجيل الرابع

شددت اساليب النقد على المشاكل الادبية التي يثيرها هذا الانجيل.

اختلافات في الاسلوب

تضمن بعض نصوص يوحنا مفردات غريبة عن مجمل الإنجيل: فعلى سبيل المثال، احتوى المطلع (١:١-١٨) والفصل ٢١ على عدد كبير جداً من المفردات الغائبة في بقية الانجيل. وقد يكون ذلك مؤشراً الى ان هذه النصوص لم تكن جزءاً من انجيل يوحنا في الصيغة التي سبقت انشاءه النهائي.

صعوبات منطقية في النص

حين نقرأ يوحنا نكتشف:

– **ترتيباً تنقصه الدقة**: الفصلان ٤ و٦، تجري احداثهما في الجليل، بينما تجري احداث الفصلين ٥ و٧ في اليهودية (ومن هنا جاءت تجربة إعادة الترتيب "الاول" على النحو التالي: ٤، ٦، ٥، ٧)؛

– **عدم توافق**: في ١٤:٣١، يؤكد يسوع، "قوموا نذهب من ههنا"؛ في حين لا تعير الفصول ١٥-١٧ اهمية لهذا الامر، طالما ان الحوار مع التلاميذ يتواصل على مدى ثلاثة فصول؛

– **متناقضات**: في يوحنا ٣:٢٢، نرى يسوع يعمّد، وفي ٤:٢ نجد ان يسوع لا يعمّد! وفي ١٣:٣٦ و١٤:٥، يسأل التلاميذ يسوع إلى اين يذهب؛ في حين يعجب يسوع، في ١٦:٥، كيف لم يسأله احد الى اين يذهب؛ وفي ١٢:٣٦، هوذا يسوع يختفي ليتجنب خصومه! وها هو، بعد بضع آيات (١٢:٤٤)، يتكلم علانية؛

– **تكرارات**، لا بل أحياناً مراجعات، كما في ١٣:١٣-٢١ و٣:٣١-٣٦؛ أو في ١٤:١-٣١ و١٦:٤-٣٣.

– **خاتمات وهمية**: المقطع ١٠:٤٠-٤٢ يشبه خلاصة لقسم من الانجيل، هي ذات ارتباط مع ١:٢٨؛ كما ان المقطع ٢٠:٣٠-٣١ يوحي بانه خلاصة لمجمل الانجيل: "واتى يسوع امام التلاميذ بآيات اخرى كثيرة لم تُكتب في هذا الكتاب، وانما كتبت هذه لتؤمنوا بان يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه". ويصبح الفصل ٢١ حينذاك بمثابة ملحق.

ب. حلول ممكنة

ازاء هذه الصعوبات الواضحة، قُدّمت حلول عديدة.

حادث طارئ!

تخيل كاتب انكليزي حادثاً جرى قبيل الانشاء النهائي للانجيل: تبعثرت الوريقات واختلطت. وإذ لم يكن يوحنا آنذاك في الحياة ليعيد إليها الترتيب الاول، اخطأ السكرتير في عملية جمعها! ويقول بعضهم بان هناك خللاً في بنية الانجيل، ويجب من ثم إعادة الترتيب الذي اصابه الخلل! لذا لا يتردد بعض الباحثين العصريين من تبديل مواقع الفصول، لا بل حتى موقع الآيات، وبشكل يلامس الوقاحة احياناً!

لم يعد احد اليوم يقبل بهذا الحل اليائس الذي يخلق مشاكل اكثر مما يحلّ. ذلك ان انجيل يوحنا قد وصلنا في صيغته الحالية ليس إلاّ، ويترتب علينا أن نتعامل معه كما هو، وليس كما يتخيله منطقنا الغربي.

مصادر عديدة

بوسع الاختلافات في الاسلوب وبعض الصعوبات الاخرى ان تُفسَّر، إذا ما قبلنا بان هناك مصادر مختلفة في اصل انجيل يوحنا. هذا الطرح دافع عنه، بمنتهى القوة، بولتمان الذي وجد في انجيل يوحنا ثلاثة مصادر مختلفة:

أ. **مصدر الآيات** التي تتألف من عجائب القسم الاول من الانجيل؛

ب. **خطابات كشف**، من اصل غنوصي، وضعها الانجيلي على لسان يسوع، مكيّفاً اياها وفق الوضع التاريخي لزمن يسوع؛

ج. **رواية الآلام والقيامة**، وهي توازي الروايات الازائية.

وفي آخر الامر، يكون محرر أخير -ويسميه بولتمان "المؤلف الكنسي"- قد حاول ان يضع ترتيباً في هذه المواد المختلفة؛ ويكون، بالاخص، قد ترك طابعه اللاهوتي، إذ أدخل في الانجيل ملاحظات تتعلق بالاسرار (٣:٥؛ ٦:٥١-٥٨؛ ١٩:٣٤ب-٣٥)، وفسّر الاواخرية (الاسكاتولوجيا) الحاضرة من منطلق الاواخرية النهائية (٥:٢٨-٢٩؛ ١٢:٤٨).

عن هذه النظرية الذكية، استطاع احدهم ان يقول: "بانها حملت حلاً مُنيراً وشاملاً... ولكنه حلٌ غير فاعل!". إذ من الصعوبة، في انجيل يوحنا، الفصل بين الآيات والخطابات، سيما وان الخطابات غالباً ما تفسّر الآيات (كما في يوحنا ٦). لذا كان التمييز بين الرواية والخطاب أمراً اعتباطياً يخضع للجَدَل. لا شك ان الاساليب الادبية مختلفة، ولكنها كلها تدخل في رواية شاملة، حيث الروايات والاقوال موظفة للهدف ذاته: تلك هي احدى ميزات الدراسات البنيوية التي اوضحت هذا الامر. وتؤيد الدراسات التي تنكبّ على الاسلوب بأن اللمسات الادبية اليوحنانية تظهر، سواء بسواء، في المصادر الثلاثة.

قراءات عديدة

هناك تفسير آخر اخذ يفرض نفسه بين الاختصاصيين: الافتراض بان هناك عدة قراءات ("طبعات") لانجيل يوحنا، مما يتيح تفسير الصعوبات المعروضة اعلاه. والنقطة المشتركة التي يتقاسمها المؤلفون المؤيدون لهذا الحل، هو ان مادة انجيلية اولى كانت في الاساس، واتخذت لها من ثم قراءات عديدة. اما في ما يتعلق بشكل هذه القراءات (أو "الطبعات") وعددها، فالخلافات تكاد لا تحصى: تلك حالة طبيعية، طالما اننا في مجال النظريات التي يصعب تحديد مصداقيتها. والنظرية التي سوف نعرضها هنا تستلهم طروحات ريموند براون.

المرحلة الاولى: مادة انجيلية. علينا ان نتخيل، في الاساس من انجيل يوحنا، معطى تقليدياً موازياً للتقليد الازائي. ونجدنا اليوم بازاء موقف سائد، يميل الباحثون بموجبه الى القول باستقلالية يوحنا، مقارنة مع الازائيين. ففي هذه المرحلة، إذن، يجب أن نتخيل اقوالاً وافعالاً ليسوع قد تنتمي الى مصدرين مستقلّين (على غرار نظرية المصدرين لدى الازائيين).

المرحلة الثانية: الطابع اليوحناني. هذه المادة، تلقّت الطابع والاسلوب اللذين سيحملان يوماً طابع الانجيل واسلوبه. فبتأثير من شخصية قوية ومخوّلة، يكون هذا المعطى

الانجيلي الاول قد مرّ بالغربال، واجريت عليه من ثم عملية فرز وصياغة. في هذا المستوى من البحث، يجب ألا ننسى بان التقليد البيبلي كان شفهياً بادئ بدء. وهذا يخلّف آثاراً في ظاهرات هي من قبيل الاسلوب والنبرة الخطابية: التكرارات والمفردات "بين معقوفين"، والتشابه بين البدايات والنهايات ("التطويق" ***inclusion***). وفي هذه المرحلة تظهر التقنيات الادبية، كالسخرية اليوحنانية وسوء التفاهم! وقد تُسفر هذه المرحلة الحاسمة عن تدوين أولي.

المرحلة الثالثة: "طبعة" أولى للانجيل. في مرحلة اخرى يصعب تحديدها، ظهرت كتابة نظامية في شكل انجيل ذي بنية (تضمنت المراحل الرئيسة من حياة يسوع: كرازة في اليهودية والجليل، محاكمة وآلام في اورشليم، قيامة). وقد اقتضى هذا العمل ولا شك عملية فرز: أُحتفظ بجزء فقط من المادة المتداولة في المدرسة اليوحنانية.

المرحلة الرابعة: "طبعة" ثانية بقلم الانجيلي. يتخيل براون "طبعة" جديدة، يكون الهدف منها الاجابة الى حاجات جديدة، كموضوع العلاقات مع تلاميذ يوحنا المعمذان، وقضية اليهود المسيحيين الذي طُردوا من المجمع. ويشير براون بحكمة الى انه "ليس من السهل دوماً التمييز بين ما يرجع الى الطبعة الثانية وما يرجع الى الطبعة النهائية".

المرحلة الخامسة: الانشاء النهائي. ان كاتباً من المدرسة اليوحنانية ولا شك –وهو غير الانجيلي– كان وراء هذه الطبعة النهائية للانجيل الذي وصَلَنا. وكانت احدى مهماته أن يستعيد جزءاً كبيراً مما لم تحتفظ به المرحلة الثانية. فاليه يجب ان تُنسَب الفجوات في الاسلوب، والهنهنات والتكرارات. واليه ينسب براون اضافة الفصلين ١١ و١٢: ذلك انه شدد على النصوص التي تصف يسوع بازاء تلاميذه؛ وقد يكون مسؤولاً عن بعض التكرارات في خطاب الوداع. ومن المحتمل انه اضاف المطلع الذي كان موجوداً اصلاً، بصفته نشيداً مستقلاً متداولاً في الاوساط اليوحنانية.

ج. إنجيل يوحنا، عمل أدبي

تشهد النظريات المعروضة اعلاه، على اقل تقدير، على ان انجيل يوحنا الذي نشأ في حضارة غير حضارتنا، قد خضع لقوانين اخرى. ولما كانت مفاهيم "المؤلف" (والعائدية الادبية) بعيدة عن فكر الاقدمين، فمن المحتمل ان تكون كتابة الانجيل قد خضعت، هي الاخرى، لتأثيرات مؤلفين كُثُر، وانها تمّت عبر مراحل عديدة. ولم يحرص المؤلفون المتعاقبون على محو آثار التكرارات والتضادّات. ولكن، ليس بوسعنا، في ما يتعلق

بهذه المراحل السابقة للانجيل، ان نعرف الشيء الكثير، لذا ينبغي ألا نفرض متطلباتنا المنطقية التي لا تتفق بالضرورة مع منطق الاقدمين.

من جهة اخرى، علينا ايضاً ان نشكك بالفكرة التي تكون الاناجيل بموجبها وكأنها حصيلة اضافات متعاقبة أُجريت عليها، دون أي همّ ادبي وقصصي. ففي الواقع، وكما هو الانجيل حالياً، نجد فيه سمات مؤلف. انه عمل ادبي هائل، بُني حول شخص يسوع الذي يحتل مكان القلب من القصة، منذ بدايتها في المحيط المعمذاني وحتى قيامته المجيدة.

وكان المؤلف، وهو على عتبة كتابه، قد وضع مقدمة (١:١-١٨) لعبت دور الافتتاحية في مقطوعة موسيقية؛ ذلك ان الدوافع معروضة بايجاز: هوية البطل الحقيقية، الكائن منذ الازل، اصبح "بشراً" (لحماً). وحول هذا "الانسان"، تجري درامات تتوسع حولها "حبكة". فالقسم الاول من الانجيل، بوسعنا ان نطلق عليه عنواناً: يسوع بازاء العالم (١-١٢، هو كتاب الآيات). وهذا القسم يتناول اللقاء بين الكاشف والبشر؛ والكلمة المفتاح هي "الايمان". اما القسم الثاني (١٣-٢١)، فيجري بمحضر من الجماعة: يسوع بازاء جماعته (كتاب المجد). ذلك ان ضجة العالم خَفَتَتْ: هوذا يسوع مع جماعته التي يعهد اليها بوصيته الاخيرة (١٣-٢١). والكلمة المفتاح هنا، هي "الحب"، حب تجلى عبر الآلام المجيدة، أي الساعة التي تمجد فيها يسوع.

ثالثا: انجيل يوحنا في سياق زمانه

يختلف انجيل يوحنا كثيراً عن الاناجيل الثلاثة، حتى ان الاختصاصيين كثّفوا الابحاث كي يشخّصوا البيئات التي كان لها أثرها على المؤلف.

أ. التأثيرات الغنوصية

الغنوصية (المعرفة)، التي انتشرت في حوض البحر المتوسط، ولا سيما في الاوساط اليهودية، هي مذهب فكري متجانس، مؤسَّس على توجيهات ثنائية (إله الشر ضد إله الخير). هناك كائنات متوسطة، بين الله والبشر، عنها انبثق العالم المادي، وهو ذاك الواقع في منتهى الشر. فالخلاص، يتم بواسطة كاشف يأتي من قبل الله ليبلّغ المعرفة الى عدد صغير. لذا يجب التحدث بالاحرى عن تيارات غنوصية تكون قد اتخذت صيغاً مختلفة جداً.

ومنذ عام ١٩٤٥، إثر اكتشاف المكتبة الغنوصية في نجع حمادي، في مصر العليا، صرنا نعرف، لحسن الحظ، من الداخل، فريقاً غنوصياً. وانجيل توما هو المؤلّف الاكثر شهرة من بين ثلاثة عشر مجلّداً أُكتشفت آنذاك. فهذا الانجيل المكتوب بالقبطية، لا بد انه نشأ في سوريا الشرقية حيث كان الرسول توما موضوع إكرام خاص. والنسخة التي عثر عليها ترقى الى القرن الرابع؛ غير ان المؤلّف الاصلي، من المحتمل انه كتب في حدود العام ١٥٠ بعد المسيح، أي بعد اناجيلنا بفترة لا بأس بها. انه يحتوي على ١١٤ قولاً، يبدأ معظمها بهذه العبارة: "قال يسوع". ولا نكاد، في الواقع، نجد أي أثر روائي في هذه الاقوال التي يجد نصفها ما يقابله في الاناجيل الازائية، فيما يتصف النصف الآخر منها بالفرادة.

يبدو هذا الانجيل وكأنه كشف خفي لا يطاله سوى العارفين، اعني اولئك الذين بلغوا إلى تمام المعرفة: "إليكم الاقوال السرية التي قالها يسوع الحي وكتبها يهوذا توما، التوأم. فلقد قال: من يجد تفسير هذه الاقوال لن يذوق الموت". وهكذا يبدو يسوع فيه، وكأنه الكاشف الذي يمنح البعض القدرة على الانفصال عن العالم الشرير، والارتقاء الى معرفة الحقائق السرية. ويكون توما، المفضّل بين كل الرسل، قد أكّد له يسوع: "لست سيدَك، طالما شربت، لا بل سكرت من النبع المتدفق الذي فجّرتُه". وانفرد به وقال له ثلاث كلمات (قد تكون المعرفة المحظورة لاسماء الله الخفية).

قد يكون يوحنا على علاقة بتيارات غنوصية: ذلك ان المواضيع العزيزة على الغنوصية (نور/ظلمات، موت/حياة، البحث عن المعرفة) حاضرة، الى حد كبير، في انجيل يوحنا. والرسولان توما وفيلبس اللذان يرد ذكرهما في انجيل يوحنا، هما من الوجوه المركزية في الكتابات الغنوصية، لا سيما وان من بين المؤلفات المكتشفة في نجع حمادي، هناك انجيل باسم كل منهما. لذا بوسعنا القول بان انجيل يوحنا استطاع التأثير، إلى حد ما، على بعض الاوساط الغنوصية؛ وككل الاعمال الادبية الكبيرة، يكون انجيل يوحنا قد تعرض لتحوّل عن هدفه الاول. غير انه، خلافاً للغنوصية، وضع على المسرح شخص يسوع الذي لم تكن انسانيته مسألة "شبه"! إذ ان الموت الذي وضع لها حدًّا، كان الدليل على ان يسوع انسان بكل معنى الكلمة.

ب. التأثيرات الهيللينية

لَكَم انكبت بحوث باتجاه فلسفات يونانية للكشف عن مصادر بعض المواضيع اليوحنانية، ولا سيما تلك التوسعات حول مفهوم **اللوغوس** (الكلمة). اما اليوم، وبفضل

اعادة اكتشاف الدين اليهودي الفلسطيني، فقد رسخ اليقين بان الجذور الحقيقية لانجيل يوحنا يجب البحث عنها في العالم اليهودي.

ج. يوحنا، والدين اليهودي الفلسطيني

نجد خلفية الانجيل الحقيقية في الدين اليهودي الفلسطيني في زمن يسوع. لا شك ان يوحنا يستشهد قليلاً بالعهد القديم، فلا تكاد المراجع لديه تبلغ ١٨ مرجعاً. ومع ذلك نجد في انجيل يوحنا التيارات الرئيسة من العهد القديم: يُقدَّم يسوع بصفته عبد يهوه، ملك اسرائيل، النبي؛ وهناك سفر التكوين (يوحنا ١)، ولا سيما صورة موسى، وموضوع الخروج، وهي تلعب دوراً حاسماً (موسى، ١:١٧، ٤٥؛ المن، ٦:٣١؛ الماء المتدفق من الصخر، ٧:٣٨؛ الحية النحاسية، ٣:١٤؛ الخيمة، ١:١٤). ويحتل سفر اشعيا الثاني مكانة رئيسة، سيما حين يستخدم يوحنا بشكل خاص صيغة "انا" التي توحي باسم يهوه (خمسة من المراجع تعود الى اشعيا الثاني، واثنان الى زكريا). ويظهر موضوع الحكمة مرات عديدة: ففي الفصل ٨، يوصف يسوع بملامح توحي بالحكمة الآتية من الله (حكمة ٩:١٢؛ بن سيراخ ٢٤:٨) ذات الاصل السّري ("اما الحكمة، فاين توجد؟" ايوب ٢٨:١٢). ويجب البحث عنها، كما هي الحال مع يسوع (حكمة ٦:١٢). غير ان الجهال، على غرار سامعي يسوع (يوحنا ٧:٣٤)، "يبتكرون إليّ، فلا يجدونني" (امثال ١:٢٨). ويولي الدين اليهودي الرابيني مكانة كبرى لموضوع المسيح المختفي، كما لوظيفة التورا الخلاّقة.

رابعاً: انجيل يوحنا، تاريخي ام رمزي؟

لَكَم أُسيء فهم انجيل يوحنا بسبب الاستخدام المفرط لعبارة كليمنضس الاسكندري الذي جعل تضاداً بين الاحداث المادية (الحقيقية؟) بحسب الازائيين، وبين التفسير "الروحي" (غير التاريخي؟) بحسب يوحنا! اما اليوم، فالنقد العلمي يعرض طروحات اكثر دقة.

أ. تناقضات مع الازائيين

بين يوحنا والازائيين، يبدو ان الاختلافات هي ولا شك اكثر من التوافقات:

لغتان

ترجع هذه الاختلافات، اولاً، الى اسلوب يسوع ولغته. ذلك ان يسوع، في انجيل يوحنا، يتحدث عبر صور غير مألوفة، بحيث يخيل الينا ان لغته تبتعد كثيراً عن البساطة الانجيلية التي اتسمت بها الاناجيل الازائية. وتساءل بعضهم فيما اذا كان بوسع الشخص ذاته ان ينتقل، وبسهولة فائقة، من لغة الى لغة اخرى. وتخيل بعضهم ان الازائيين احتفظوا بذكرى كرازات يسوع الشعبية والمباشرة باتجاه الجموع التي لا ثقافة لها، بينما يكون يوحنا قد احتفظ بالنقاشات بين رابي يسوع والاوساط الفكرية في زمانه. قد يجد هذا الطرح ما يدعمه، في الفصل ٣، حيث نجدنا بازاء "مفكّرَين" يستعرضان علمهما! وحتى لو كان ذلك ممكناً الى حدّ ما، فلا ينبغي ان نقلّل من اهمية المحيط الخاص بالانجيلي، وقد مارس تأثيراً كبيراً في انشاء الاناجيل. ذلك ان الانجيلي، وان كان يحكي عن يسوع، فهو يحكي ايضاً عن جماعته المؤمنة، مع صراعاتها وازماتها ونقاشاتها وايمانها. ومن هنا كانت تلك الخطابات المعقدة التي اختلطت فيها اقوال يسوع مع خطاب الكنيسة.

اختلافات

من اكثر الاختلافات ثقلاً بين يوحنا والازائيين، لا بد لنا من ان نشير إلى امرين:

١. هناك احداث وشخصيات لا يرد ذكرها في الاناجيل الازائية: آية قانا (ف٢)، قصة نيقوديمس (ف٣)، السامرية (ف٤)، احياء لعازر (ف١١).

٢. هناك تناقضات في تحديد زمن الاحداث: الباعة الذين طردوا من الهيكل (في بداية حياة يسوع، لدى يوحنا، وفي نهايتها لدى الازائيين)؛ اعادة قراءة اتسمت بالبعد اللاهوتي، كما هي الحال بالنسبة الى القراءة "الظافرة" لآلام يسوع في انجيل يوحنا، مع "اهمال" متعمَّد، ولا شك، لكل ما يبدو وكأنه يحط من مجد الرب؛ وهناك نقاط كثيرة لا تتفق البتة مع المعطيات الازائية: تلك هي الحال بالنسبة الى رسالة المعمذان في وادي الاردن والتي يجهلها الازائيون (يوحنا ٣:٢٢-٢٩؛ ٤:١)، كما بالنسبة الى رسالة يسوع التي تمتد على سنتين او ثلاث سنوات (وليس على سنة كما لدى الازائيين)؛ فضلاً عن ذاك الصراع المستديم الذي يصبح مأساوياً مع السلطات اليهودية؛ وموت يسوع عشية عيد الفصح (وليس يوم الفصح كما توحي بذلك الاناجيل الازائية).

ب. لصالح "تاريخية" الانجيل

كانت المشكلة قد حُلَّت منذ امد طويل حين أُختير الازائيون ضد يوحنا! اما اليوم، فالاتجاه معكوس بشأن عدد من النقاط الهامة. فمن المؤكد ان انجيل يوحنا، وإن لم يُكتب قبل سائر الاناجيل، فقد احتفظ بتقاليد عريقة. وحين نأخذ بعين الاعتبار بعض التفاصيل عن السامريين، وعن مكان بئر يعقوب (يوحنا ٤)، ومعلومات عن بركة بيت ذاتا (يوحنا ٥)، أو تفاصيل عن خريطة اورشليم (بركة سلوام، ٩:٧؛ رواق سليمان، ١٠:٢٢-٢٣؛ رصيف الحجارة [البَلاط] في دار الحاكم، ١٩:١٣)، فلا بد لنا من الاعتراف بان هناك ألفة مع جغرافية فلسطين، حتى وإن كان الكثير من نقاط الارتكاز قد غاب ابان الكتابة.

ويميل النقد العلمي الى تأييد يوحنا بشأن رسالة يسوع في اليهودية في محيط يوحنا المعمذان، وبشأن الخلاف الذي ازداد مأساوية، اكثر فاكثر، مع السلطات اليهودية، كما بشأن رحلات يسوع المتكررة الى اورشليم، وكذلك بالنسبة الى فترة رسالة يسوع طيلة حوالي سنتين ونصف، واخيراً بشأن مقتل يسوع عشية عيد الفصح وليس يوم الفصح.

ج. إية "تاريخية"؟

فإلى الذين يميلون الى التعامل مع انجيل يوحنا وكأنه قصة "استعارية" رمزية لا غير، يجب ان نطرح عليهم السؤال التالي: لماذا احتفظ يوحنا، إذن، بالطابع السردي لروايته؟ ولماذا هناك اشخاص لهم اسماء واقعية، فضلاً عن تلميحات جغرافية واضحة؟ ومن ثم، لا يدّعي أي من الاناجيل انه يروي "سيرة" ليسوع. فانجيل يوحنا هو عمل كبير امتزجت فيه ثلاثة اوجه من "الواقع"، وبشكل منسجم، بحيث يصعب الفصل بينها.

هناك اولاً **الخلفية البيبلية للبلاد**: بدءاً بالمراجع الثمانية عشر من العهد القديم، والى جانبها الكثير من التلميحات والاستشهادات الضمنية والتكرارات. وينتقل فكرنا بشكل خاص الى صورة موسى، كما الى خلفية العديد من روايات يوحنا، وكذلك الى الالقاب المطبّقة على يسوع، وفي مقدمتها لقب "ابن الله".

وهناك من ثم **مسيرة يسوع التاريخية** التي تشكل اللحمة التاريخية للرواية. واخيراً هناك **القراءة المجددة للفصح** والتي تنير الرواية اليوحنانية في كل مضمونها، بحيث يصعب غالباً ان نعرف من هو المتكلم: أهو يسوع أم هي الكنيسة؟

خامساً: من هم المتلقون للانجيل

السؤال المطروح: لماذا هذا الانجيل؟ ومن اجل أي هدف كُتب؟ وفي الجواب الى هذا السؤال، يكمن، الى حد ما، حلّ اللغز اليوحناني. ذلك لانه من المستحيل أن يوجَز انجيل يوحنا في سؤال واحد! فالقراء الذين يتوجه اليهم هم انفسهم منوّعون. ولا شك ان يوحنا يكتب لمؤمنين يريد ان يشجعهم ويسندهم في ايمانهم. والهدف موجز بشكل واضح في نهاية الفصل ٢٠: "لتؤمنوا... ولتكون لكم الحياة باسمه".

فيوحنا، على ما هو من الايمان، انسان ممزّق، كان عليه ان يواجه العديد من التساؤلات والتحديات، عبر ازمة الهوية التي تعرضت لها كنيسته. وهؤلاء المسيحيون، اتوا من اوساط معمذانية (ومن هنا كانت تلك الرغبة في وضع يوحنا المعمذان في مكانه الحقيقي: انه صوت، ولكنه ليس النور)، او كانوا منتمين الى تيارات غنوصية (ومن هنا كان التشديد على واقعية التجسّد)، او كانوا من اوساط يهودية (ومن هنا كان التركيز على ان يسوع أتمّ الشريعة وتجاوزها)، او اوساط سامرية (انظر الفصل ٤). وازاء جماعة بهذا المقدار من التنوع، كان لا بد للانتظارات المسيحانية ان تجري في كل الاتجاهات: ومن هنا كان التشديد الذي لا رجعة فيه على ان يسوع هو الكاشف عن الآب، وانه ابن الله.

سادساً: زمن انشاء الانجيل ومكانه ولغته

بحسب التقليد، وفق ما جاء لدى ايريناوس وكليمنضس الاسكندري، عاش يوحنا حتى بداية مُلك تراجانس (٩٨-١١٧). اما بشأن مكان الكتابة، فلقد طُرحت عدة مدن، من بينها الاسكندرية، وهي المدينة الشهيرة ليهود الشتات، وكذلك انطاكيا، وهي مدينة اغناطيوس الذي كان قريباً من يوحنا بطروحاته. إلا ان معظم المؤلفين يحددون انشاء كتابة الانجيل في آسيا الصغرى. وتأتي افسس في المقدمة: أولاً، لأن تلك هي شهادة التقليد المستمرة؛ ومن ثم هناك عناصر كثيرة تنسجم مع ما نعرفه عن افسس: الدوافع في مقاومة المجامع، المشهود لها في رؤيا ٢:٩ و٣:٩؛ والعلاقة مع المعمذانيين (اعمال الرسل ١٩:١-٧).

اما بشأن تاريخ الكتابة، فمن المرجح ان انجيل يوحنا كُتب في نهاية القرن الاول. فلقد اصبحت اليوم التواريخ المتأخرة جداً (بين ١٤٠-٢٠٠) والتواريخ القديمة جداً (بين ٥٠-٦٠) مرفوضة، في آن واحد، لصالح تاريخ يتراوح ما بين ١٠٠ و١١٠.

ويبدو ان اغناطيوس الانطاكي اعتمده، وكذلك كليمنضس الاسكندري ايضاً (في حوالي عام ٩٦). من جهة اخرى، يمنع اكتشاف البردية رقم ٥٢، المؤرخة عام ١٢٠، والمحتوية على بعض آيات من يوحنا، من تحديد تاريخ متأخر. وفي الواقع، كان الانجيل متداوَلاً في مصر ما بين الاعوام ١٢٠-١٤٠. ولا يمنع هذا التاريخ المتأخر من ان تكون هناك، في انجيل يوحنا، تقاليد موغلة في القدم، وهي في معظمها مستقلة عن التقاليد الازائية.

ومن المحتمل جداً ان يكون الانجيل قد كتب باليونانية، وبلغة ليست دوماً رفيعة، ولكنها سليمة. وتكشف دراسة لغة الانجيل عن العديد من الآثار الارامية فيها، من مثل "يعمل الحق" (٣:٢١)، او "من يؤمن باسم..." (١:١٢؛ ٢:٢٣؛ ٣:١٨)، وكلها توحي بطريقة "آرامية" في التفكير والكتابة.

سابعاً: صيغ وتقنيات في اسلوب يوحنا

لكي نقرأ انجيل يوحنا، من المفيد جداً ان نشير الى عدد من الصيغ المألوفة لديه.

البداية والنهاية (التطويق). نحن بصدد طريقة في الاسلوب تقوم في التأكيد على وحدة الرواية، عبر استخدام الكلمات او العبارات ذاتها في بدء الرواية وفي خاتمتها: وهكذا، فالقارئ الذي لا يعتمد إلا على الاصغاء، حين يسمع في النهاية المفردات عينها التي سمعها في البداية، يدرك ان المؤلف يعرض عليه طرحاً موحّداً.

المعنى المزدوج. يستخدم يوحنا بتواتر كلمات او عبارات ذات معان مزدوجة: ففعل "وُلِدَ" (يوحنا ٣:٣) يعني، في آن واحد، ان يولد الانسان **"من فوق"**، أو أن يولد "من جديد". وفي ٨:٧، عُبِّر عن رفض يسوع "الصعود" الى اورشليم بعين الفعل المستخدَم للاشارة الى "الصعود نحو الآب" الوارد في ١:١٣. وهذا يجعلنا نفهم ان رفض يسوع "الصعود الى اورشليم" هو بمثابة التلميح الى ساعة موته والتي لا تتعلق بارادة اخوته.

السخرية. ينسب الراوي احياناً الى خصوم يسوع اقوالاً او افعالاً هي بمثابة شتائم واضحة باتجاه يسوع. ومع ذلك، وعبر سخرية يدركها القراء المؤمنون، يكون الخصوم قد قالوا عن يسوع حقيقة عميقة تتجاوزهم. تلك هي الحال مع ملوكية يسوع التي شدد عليها بيلاطس، ومع الكتابة على الصليب، كما مع كلمة بيلاطس "هوذا الرجل"، وكلها تشهد لحقيقة يسوع. ومثل هذه العبارات لا يستشفها سوى القراء الذين يكتب لهم يوحنا.

عدم الفهم. كلمات يسوع والصور التي يستخدمها، يَفهمها غالباً سامعوه في معناها الاول. هوذا يسوع يتكلم عن "ولادة ثانية" -ويفهمها نيقوديمس بان على المرء ان يعود الى بطن امه! وخراب الهيكل الذي نوّه إليه يسوع في يوحنا ١٩:٢، فهمه خصومه حرفياً، إلا ان الرواي فسّره على انه تلميح إلى جسده. وكلام يسوع عن خبز السماء، تلقاه الناس وكأنهم ازاء عطية مادية لا غير! ألم يطلب اليهود من يسوع: "اعطنا هذا الخبز دائماً أبداً" (٣٤:٦)؟! وهكذا سيُتيح سوء التفاهم له الدخول الى اعمق في الكشف. ويسجّل سوء الفهم هذا، في الواقع، حدود الانسان "بحسب الجسد"، هو الذي، بقواه، لن يكون قادراً على اتباع يسوع في كشفه.

الهامش التوضيحي. وضع يوحنا، على مدى انجيله، هوامش توضيحية وتعليقات تقطع الرواية وتساعد القارئ على فهمها. فلقد أُحصي ٥٩ هامشاً في مجمل الانجيل! وهذه التعليقات التي يقوم بها الرواي، تشرح اسماء (٣٨:١، ٤٢) او عبارات رمزية (٢١:٢؛ ٣٣:١٢)؛ او تحذّر من خطر تفسيرات خاطئة (٢:٤؛ ٦:٦)؛ كما انها تذكّر بالتواريخ (٢٤:٣؛ ٢:١١)، وتشدد على ملامح بعض الاشخاص (٥١:٧؛ ٣٩:١٩؛ ٢٠:٢١). ولا ينبغي ان تُعتبر هذه الهوامش وكأنها معلومات "بين قوسين" لا فائدة منها؛ وانما هي مؤشرات الى المعنى، وايماءات يقوم بها الرواي باتجاه قرائه: انها بمثابة العلامات التي تمنع القارئ من ان يضيع في غابة النصوص.

خطاب/رواية. يوحنا، اكثر من الآخرين، يضع يسوع في المركز من روايته. هناك اشخاص يظهرون ثم يختفون، حين يكون اللقاء مع يسوع قد بلغ هدفه. فكل لقاء لديه، تمهّد له مقدّمة معدّة بعناية، عبر خليط مدهش من العناصر الفريدة والخطابات اللاهوتية. وعلى القارئ ان يكون منتبهاً جداً الى هذه الظاهرة التي فيها يُروى يسوع، ويُمرَّر من خلالها، في الوقت ذاته، لاهوت عميق. والقارئ، ازاء هذه الروايات المحمَّلة بتوسعات لاهوتية، لا ينبغي ان يفقد الخيط الدرامي الذي يضع يسوع على المسرح، داعياً الرجال والنساء الى ان يؤمنوا به.

ليس من السهل البتة ان نجد، في مؤلَّف ما، المخطط الذي ألهم الكاتب. وهناك خطر كبير في أن نحمّل الكتاب بُنى اعتباطية. ليس هدفنا هنا أن نعرض طرحاً فريداً، وانما، من بين المخططات التي اقترحها الاختصاصيون، رأينا أن نتبنى مخطط براون في خطوطه العريضة. والتقسيمات المقدَّمة هنا ستجدونها على امتداد هذا الكتاب.

نشيد المطلع [١:١-١٨]

القسم الاول: كتاب الآيات [١:١٩-١٢:٥٠]

الجزء الاول: حين يبدأ الكشف (١:١٩-٥١)

أولاً: يوحنا المعمذان يشهد لنفسه (١:١٩-٢٨)
ثانياً: يوحنا المعمذان يشهد ليسوع (١:٢٩:٣٤)
ثالثاً: تلاميذ يوحنا المعمذان يأتون الى يسوع (١:٣٥-٥١)

الجزء الثاني: من قانا الى قانا (٢:١-٤:٥٤)

أولاً: الآية الأولى في قانا: الماء المحوّل خمراً (٢:١-١٢)
ثانياً: تطهير الهيكل (٢:١٣-٢٢)
فاصل: رد فعل تجاه يسوع في اورشليم (٢:٢٣-٢٥)
ثالثاً: الكاشف بازاء المسؤول اليهودي (٣:١-٣٦)
أ. نيقوديمس، المسؤول اليهودي (٣:١-٢١)
ب. خطاب المعمذان الأخير (٣:٢٢-٣٠)
ج. خطاب هو خلاصة (٣:٣١-٣٦)
رابعاً: يسوع والسامرية والسامريون (٤:١-٤٢)
أ. يسوع والسامرية (٤:١-٢٦)
ب. يسوع والتلاميذ (٤:٢٧-٣٨)
ج. يسوع والسامريون (٤:٣٩-٤٢)
خامساً: آية قانا الثانية (٤:٤٣-٥٤)

الجزء الثالث: يسوع وأعياد اليهود الرئيسة (٥:١-١٠:٤٢)

أولاً: يسوع والسبت (٥:١-٤٧)
أ. شفاء في بيت ذاتا (٥:١-١٦)
ب. جدالات مع اليهود (٥:١٧-٤٧)
ج. مدح يسوع: هو الذي يُحيي ويَدين (٥:١٩-٣٠)
د. الشهود يدعمون يسوع (٥:٣١-٤٧)

ثانياً: يسوع في عيد الفصح (٦:١-٧١)
أ. تكثير الخبزات (٦:١-١٥)
ب. السير على الماء (٦:١٦-٢١)
ج. خطاب في خبز الحياة (٦:٢٢-٧١)

ثالثاً: يسوع في عيد المظال (٧:١-٨:٥٩)
مقدمة (٧:١-١٣)
أ. المشهد الاول (٧:١٤-٣٦)
ب. المشهد الثاني (٧:٣٧-٥٢)
المرأة الزانية (٧:٥٣-٨:١١)
ج. المشهد الثالث (٨:١٢-٥٩)

رابعاً: انعكاسات عيد المظال (٩:١-١٠:٢١)
أ. الاعمى منذ مولده (٩:١-٤١)
ب. يسوع، الباب والراعي (١٠:١-٢١)

خامساً: يسوع في عيد التجديد (١٠:٢٢-٤٢)
أ. يسوع هو المسيح (١٠:٢٢-٣٠)
ب. يسوع هو ابن الله (١٠:٣١-٣٩)
خلاصة اولى للرسالة العلنية (١٠:٤٠-٤٢)

الجزء الرابع: يسوع يسير نحو الساعة والمجد (١١:١-١٢:٥٠)

أولاً: يسوع يمنح لعازر الحياة (١١:١-٤٤)
ثانياً: البشر يحكمون على يسوع بالموت (١١:٤٥-٥٧)
ثالثاً: مشاهد اعدادية
أ. دهن يسوع (١٢:١-١١)
ب. الدخول إلى اورشليم (١٢:١٢-١٩)
ج. الساعة (١٢:٢٠-٣٦)
خلاصة القسم الاول (١٢:٣٧-٥٠)
تقييم ختامي (١٢:٣٧-٤٣)
خطاب اخير (١٢:٤٤-٥٠)

القسم الثاني: كتاب المجد [١٣:١-٢٠:٣١]

الجزء الأول: العشاء الاخير (١٣:١-٣٠)

مقدمة (١٣:١-٣)
أ. تغسيل الارجل (١٣:٤-٢٠)
ب. إنباء بالخيانة (١٣:٢١-٣٠)

الجزء الثاني: الخطابات الاخيرة (١٣:٣١-١٧:٢٦)

أ. مقدمة الخطاب (١٣:٣١-٣٨)
ب. خطاب الوداع الاول (١٤:١-٣١)
ج. خطاب الوداع الثاني (١٥:١-١٦:٣٣)
١. الكرمة والاغصان (١٥:١-١٧)
٢. حقد العالم (١٥:١٨-١٦:٤)
٣. الروح شاهد ليسوع (١٦:٥-١٥)
٤. التلاميذ في الفرح (١٦:١٦-٣٣)
د. صلاة يسوع (١٧:١-٢٦)

الجزء الثالث: روايات الآلام (١٨:١-١٩:٤٢)

أ. الاعتقال في البستان (١٨:١-١١)
ب. يسوع عند حنان (١٨:١٢-٢٧)
ج. يسوع امام بيلاطس (١٨:٢٨-١٩:١٦)
د. الصلب (١٩:١٧-٣٧)
هـ. الدفن (١٩:٣٨-٤٢)

الجزء الرابع: يسوع القائم (٢٠:١-٣١)

أ. الترائيات (٢٠:١-٢٩)
١. مريم المجدلية وسمعان بطرس والتلميذ الآخر (٢٠:١-١٨)
٢. ترائي للتلاميذ (دون توما) (٢٠:١٩-٢٣)
٣. توما: نؤمن دون ان نرى (٢٠:٢٤-٢٩)
ب. خلاصة (٢٠:٣٠-٣١)

خاتمة [الفصل ٢١]

أ. الصيد الوفير (٢١:١-١٤)
ب. سمعان بطرس الراعي (٢١:١٥-٢٣)
خاتمة (٢١:٢٤-٢٥)

نشيد المطلع

(١:١-١٨)

المطلع -وقد كتب بلغة شعرية- هو قطعة خاصة في الانجيل. ففيه نلتقي مفردات لا نجدها في مكان آخر: كلمات من مثل "Plérôme" (وقد ترجمت بكلمة "ملء")، و"الكلمة"، و"النعمة"، وكلها لا نجد لها مثيلاً في غير هذه المقدمة. من المحتمل ان يكون هذا النشيد قد وُجد مفرداً، وبشكل موجز، من دون الآيات التي تتعلق بيوحنا المعمذان. فلقد وُجدت اناشيد مماثلة في الكنيسة الناشئة، كنشيد الرسالة الى الافسسيين ٥:١٤.

هذه الترنيمة التي تتضمن اربعة مقاطع، أنشدت بالتتالي: الوجود المسبق للكلمة، حضوره المنير الى جانب البشر، مجيئه لدى شعب اسرائيل، واخيراً تجسده في شخص يسوع.

ويوحنا الذي كان يبحث عن مدخل لانجيله، تبنى هذا النشيد وكيّفه، كي يجعل منه مقدمة استعرضت، على غرار مقدمة موسيقية، مواضيع الانجيل الكبرى، واحداً تلو الاخر: فيسوع الذي سيحكي الانجيل قصته بين البشر، يُعرض هنا في أصله وبدايته. انه الكلمة الذي كان قبل البدء؛ وألفته مع الله هي من القوة ("كان متجهاً بكليته نحو الله") بحيث ان الشاعر أخذ يؤكد انه "كان الله". اما دوره بالنسبة الى البشر، فهو يتجاوز شعب اسرائيل طالما انه هو خالق وحياة ونور لكل انسان آت الى العالم. ويسجّل التجسّد دخول الكلمة في التاريخ، ولقاءَه الحاسم مع البشر ومع الشعبً اليهودي: بعضهم يرفضه، والآخرون يستقبلونه: انها الجماعة المسيحية. ويحكي هذا النشيد بابهة، مسيرة الكلمة، منذ سكناه في الله (آ ١-٢)، ومجيئه بين البشر (آ ٣-٥)، واختياره اسرائيل (آ ٩-١١)، ومن ثم تجسده (آ ١٤)، وحتى عودته "هو الذي في حضن الآب" (آ ١٨).

التخطيط التالي المستلهَم من الاب ماري اميل بوامار، يوضح بنية الفكر واتساعه في هذا المطلع:

أ. الكلمة لدى الله (آ ١-٢)
في البَدءِ كانَ الكَلِمَة
والكَلِمَةُ كانَ لَدى الله
والكَلِمَةُ هوَ الله.
كانَ في البَدءِ لَدى الله

أ*. الابن في الآب (آ ١٨)
إنَّ الله ما رآهُ أحدٌ قطّ
الابنُ الوَحيدُ
الّذي في حضْنِ الآب
هو الّذي أخبَرَ عَنه

ب. دوره في الخلقة (آ ٣)
به كانَ كُلُّ شَيء
وبِدونِه ما كانَ شَيءٌ مِمَّا كان

ب*. دوره في الخلقة (آ ١٧)
لأنَّ الشَّريعَةَ أُعطيَت عن يَدِ موسى
وأمَّا النِّعمَةُ والحَقّ
فقَد أتيا عن يَدِ يسوعَ المسيح

ج. عطية للبشر (آ ٤-٥)
فيه كانَت الحَياة
والحَياةُ نورُ النَّاس
والنُّورُ يَشرقُ في الظُّلُمات
ولَم تُدرِكْه الظُّلُمات

ج*. عطية للبشر (آ ١٦)
فمن ملْئه
نلْنا بأَجمَعنا
وَقَد نِلْنا
نِعمَةً على نِعمَة

د. يوحنا المعمذان (آ ٦-٨)
ظَهَرَ رَجُلٌ مُرسَلٌ مِن لَدُنِ الله
اسْمُه يوحنَّا
جاءَ شاهداً لِيَشهَدَ للنُّور
فَيُؤمِنَ عَن شَهادته جَميعُ النَّاس.
لم يَكُنْ هو النُّور بل جاءَ لِيَشهَدَ للنُّور

د*. يوحنا المعمذان (آ ١٥)
شَهد له يوحنَّا فهَتف:
"هذا الّذي قُلتُ فيه:
إنَّ الآتيَ بَعْدي
قَد تَقَدَّمَني
لأنَّه كانَ مِن قَبْلي"

هـ. مجيء الكلمة الى العالم (آ ٩-١١)
الكلمة كان النُّورُ الحَقّ
الذي، بمجيئه الى العالم،
يُنيرُ كُلَّ إنْسان.
كانَ في العالَم
وبه كانَ العالَم
والعالَمُ لَم يَعرِفْهُ.
جاءَ إلى بَيته
فما قَبِلَه أَهْلُ بَيته.

هـ*. التجسد (آ ١٤)
والكَلِمَةُ صارَ بَشَراً
فسَكَنَ بَيْنَنا
فرأينا مَجدَه
مَجداً من لَدُنِ الآب
لابنٍ وَحيد
مِلؤُهُ النِّعمَةُ والحَقّ

ز. بالكلمة المتجسد نصبح ابناء الله (آ ١٢-١٣)

أَمَّا الّذينَ قَبلوه -وهُمُ الّذينَ يُؤمنونَ باسمه- فقَد مَكَّنَهم أَنْ يَصيروا أَبْناءَ الله.
فهُمُ الّذينَ، لا مِن دَمٍ ولا مِن رَغبَةِ لَحْمٍ ولا مِن رَغبَةِ رَجُل، بل مِنَ الله وُلِدوا.

١ ١ في البَدء كانَ الكَلمَة والكَلمَةُ كانَ لَدى الله والكَلمَةُ هوَ الله.
٢ كانَ في البَدء لَدى الله.
٣ به كانَ كُلُّ شَيء وبدونه ما كانَ شَيءٌ ممَّا كان.
٤ فيه كانَت الحَياة والحَياةُ نورُ النَّاس
٥ والنُّورُ يَشرقُ في الظُّلُمات ولَم تُدركْه الظُّلُمات.

٦ ظَهَرَ رَجُلٌ مُرسَلٌ من لَدُن الله اسْمُه يوحَنَّا
٧ جاءَ شاهداً لِيَشهَدَ للنُّور فَيُؤمنَ عن شَهادته جَميعُ النَّاس.
٨ لم يَكُنْ هَو النُّور بل جاءَ لِيَشهَدَ للنُّور.

٩ كان النُّورُ الحَقّ الَّذي يُنيرُ كُلَّ إنْسان آتياً إلى العالَم
١٠ كانَ في العالَم وبه كانَ العالَم والعالَمُ لَم يَعرِفْهُ.
١١ جاءَ إلى بَيته. فمَا قَبلَه أَهْلُ بَيته.

١٢ أَمَّا الَّذينَ قَبلوه وهُمُ الَّذينَ يُؤمنونَ باسمه فقَد مَكَّنَهم أَنْ يَصيروا أَبْناءَ الله:
١٣ فهُمُ الَّذينَ لا من دَم ولا من رَغبَة لَحْم ولا من رَغبَة رَجُل بل منَ الله وُلدوا.
١٤ والكَلمَةُ صارَ بَشَراً فسَكَنَ بَيننَا فرأَينا مَجدَهُ مَجداً من لَدُنَ الآب لابنٍ وَحيدَ مَلؤُه النِّعمَةُ والحَقّ.

١٥ شَهدَ له يوحَنَّا فهَتف: "هذا الَّذي قُلتُ فيه: إنَّ الآتيَ بَعْدي قد تَقَدَّمَني لأَنَّه كانَ من قَبْلي".
١٦ فمن مِلْئه نلْنا بأَجْمَعنا وقَد نلْنا نعمَةً على نعمَة.
١٧ لأَنَّ الشَّريعَةَ أُعطيَت عن يَد موسى، وأَمَّا النِّعمَةُ والحَقّ فقَد أَتيا عن يَد يسوعَ المسيح.
١٨ إنَّ الله ما رآهُ أَحَدٌ قطّ، الابنُ الوَحيدُ الَّذي في حِضْنِ الآب هو الَّذي أَخبَرَ عَنه.

أصل يسوع السري (١-١٢)

يسوع هو **اللوغوس** (الكلمة) الذي يسبق الخليقة، وهو متجه كلياً نحو الله، وهو الله ذاته، **فاللوغوس** (الكلمة) لم يُخلَق: كان موجوداً خارج الزمن، منذ الازل.

في البدء كان: ذلك تكرار حرفي للكلمتين الاولتين من الكتاب المقدس. ويوحنا **يربط** مجيء يسوع بالفصول الاولى من سفر التكوين، **ويربط** يسوع، في الوقت ذاته، مع بدء الوحي. ذلك ان هوية يسوع السرية، على مدى الانجيل كله، ومكانته المركزية في مجرى الوحي، تجدان ترجمتهما عبر "مطالبة" يسوع –وقد تبدو مغالاة في نظر البشر– بانه خلاصة كل وحي، وانه هو الكاشف الأسمى، عطية الله القصوى، الطريق الوحيد الممكن الى الخلاص، وجه الله بين البشر ("الآب فيّ وأنا في الآب"، ١٠:٣٨).

"كان": **فاللوغوس**، إذن، ليس من قبيل المخلوق. وحين بدأت الاشياء المخلوقة بالظهور، كان هو خارج الزمن، في الازلية. ذلك ان وجود الكلمة في المدى الازلي سيدخل طوراً جديداً لدى مجيئه بين البشر: ونكتشف ذلك في النص ابان القطيعة التي يمثلها الاجتياح الحاسم في التاريخ البشري عبر الآية ١٤: "والكلمة **صار** بشراً".

الكلمة الخلاق (آ ٣)

تُقرأ هذه الآية حرفياً: "كل شيء به صار". ولكونه سابقاً للخليقة، فهو بالتالي مهندسها، طالما ان كل شيء به صار. وهكذا يتضح ان الكلمة هو بمثابة الوسيط الذي به جاءت الخليقة والكائنات المخلوقة الى الوجود. وهنا يلتقي يوحنا بمعطى تقليدي بشأن الكريستولوجيا (لاهوت المسيح): "ليس إلا رب واحد، يسوع المسيح، به كل شيء، وبه نحن ايضاً" (١ قورنتس ٦:٨). والصيغة السلبية "وبدونه..." تعكس موازاة ذات طابع سامي، وتنفي، في الوقت ذاته، كل احتمال للوجود خارجاً عن الكلمة.

الكلمة حياة ونور للناس (آ ٤-٥)

يحيا الكلمة، وهو القريب من الله، والله ذاته، منذ البدايات، علاقة فريدة مع البشر: فكل ما هو موجود، وكل ما يحيا، يتلقى منه الوجود. انه النور الذي ينير كل انسان، اعني المبدأ الذي يمكّن كل انسان من ان يفهم ذاته. في البدء، خلق الله النور (تكوين ١:٣). وفي هذه الصفحة الجديدة من الكتاب المقدس التي كتبها يوحنا، مستلهماً مرور يسوع بالارض، ندرك بان نور البداية هذا، كان له اسم: انه الكلمة الخلاّق.

وفي جدال مع اليهود، كان لمطالبة يسوع بانه نور البشر وحياتهم، صدى في الكشف الذي قام به يسوع عن ذاته: "الابن يحيي من يشاء" (٥:٢١). ويتحلى يسوع امام مرتا بصفته "القيامة والحياة" (١١:٢٥).

ويسوع هو نور العالم (٨:١٢) الذي يضيء في الظلمات. وهنا تظهر، لاول مرة، مقاومة ومعارضة للنور. وتعني الظلمات عالماً يسوده الشر، وعالماً يقاوم الكشف عن الكلمة. ولفظة العالم الشاملة، على مدى الانجيل، ستجد لها تجسيداً في اناس واقعيين. وسيُعرَفون من خلال عدم ايمانهم، وبسبب رفضهم النور، ومن خلال بغضهم الحقيقة.

يمكن أن يُترجَم الفعل اليوناني "عرف" بشكلين: "الظلمات لم **تفهمه**" أو لم "**تُوقِفْه**". فالترجمة الاولى تشدد على رفض البعض؛ اما الثانية، فتشدد على قوة الكلمة-النور في هذا الصراع المانوي (الثنائي) بين النور والظلمات. والترجمتان تُصوّران مسبقاً العلاقات الصعبة بين يسوع واليهود؛ إلا ان الترجمة الثانية تستبق انتصار يسوع العتيد ضد قوى الظلمات (١٢:٣١؛ ١٦:١١، ٣٣؛ ١ يوحنا ٥:٤).

ظهور يوحنا المعمذان (١:٦-٨)

هذه المعلومة عن يوحنا المعمذان تُنزلنا من العالم الالهي الخارق الى العالم البشري: "ظهر رجل". وان اختلاف النبرة يُدهش القارئ، ومن المحتمل ان يكون هذا المقطع عن يوحنا (وكذلك الآية ١٥) قد أُدرج في وقت متأخر، كي يمنع تلاميذ يوحنا من ان يضعوا هذا النبي الكبير في مستوى يسوع ذاته. فبين الاثنين، هناك فرق جذري يفصل بين "الذي كان منذ البدء، متجهاً نحو الله"، وهذا الرجل الذي جاء من لدن الله كي يكون شاهداً: ليس هو النور، وانما ليشهد للنور. فيوحنا هو شاهد امام السلطات اليهودية (١:١٩-٢٨) وامام شعب اسرائيل (١:٣١-٣٤) وامام تلاميذه انفسهم (١:٣٥-٣٧). وفي الذكر الاخير الذي ورد عنه في الانجيل، سيُمتَدح لأنه كان شاهداً أميناً: "كل ما قاله في هذا الرجل (يسوع) كان حقاً" (يوحنا ١٠:٤١).

النور جاء إلى العالم (١:٩-١١)

والكلمة، كونه نوراً، يوصف بشكل مضاعف: انه، اولاً، النور "الحقيقي". وهنا تظهر صفة ستتكرر مراراً في الانجيل: الخبز "الحقيقي" (٦:٣٢)، الشراب "الحقيقي" (٦:٥٥)، الكرمة "الحقيقية" (١٥:١). ويضيء هذا النور، من ثم، "كل انسان": وهكذا، **فاللوغوس**، منذ الخلقة، هو هذا النور في داخل كل انسان، وله القدرة على ان يعطي معنى، ويمنح من ثم كل واحد ان يفهم ذاته.

إلا ان مجيء الكلمة "في العالم" و"بين خاصته" يلقى مقاومة. وهنا يشترك اسرائيل مع العالم الذي يرفض نور الكلمة. فالشعب المختار الذي لم يعترف بالمسيح ينتمي الى العالم (انظر الاطار ادناه: الكلمة).

يؤمن ليولد (١٢-١٣)

وبالعكس، فالذين "آمنوا"، أي الذين كانوا تلاميذ، وتعلقوا بيسوع وبوحيه، فقد اصبحوا ابناء الله. وسيتوسع الانجيل غالباً في هذا الدافع: الايمان بيسوع يمنح الحياة (٣:١٥؛ ٦:٤٠، ٤٧؛ ٢٠:٣١).

الكلمة صار بشراً (١٤)

الكلمة، من دون ان يتوقف عن كونه كلمة، دخل في الزمن. فالذي كان موجوداً منذ الازل، دخل في الزمن وفي التاريخ البشري. وان لفظة "كلمة" التي لم تُستخدم في النص اليوناني منذ الآية الاولى، تظهر هنا من جديد لتسجّل الهوّة (وقد زالت) بين الكائن الالهي الذي ذُكر في مطلع القصيدة، وبين الكائن الذي عُرّف بصفته "بشراً" (لحماً)، أي الانسانية الضعيفة والفانية. وان سكنى الكلمة موصوفة بصورة الخيمة الكتابية: "نصب خيمته بيننا". فالتعابير توحي بخيمة البرية (خروج ٢٥:٨) التي بُنيت "كي يتمكن الله من الاقامة بينهم". وهذه السكنى بين البشر ليست من قبيل المثل. ذلك ان لفظة "الكلمة" تغيب من الانجيل، اعتباراً من الآية ١٤. ومنذئذ، هو الانسان يسوع وحده، هو الذي يُرى. ويطيب ليوحنا، على مدى انجيله، ان يشدد على انسانية يسوع: "هلموا فانظروا **رجلاً** قال لي كل ما فعلت" (يوحنا ٤:٢٩)؛ "ما تكلم **انسان** قط مثل هذه الكلام" (يوحنا ٧:٤٦)؛ "انت **انسان**، تجعل نفسك الهاً" (يوحنا ١٠:٣٣)؛ "بماذا تتّهمون هذا الرجل؟" (يوحنا ١٨:٢٩)؛ "هوذا **الرجل**" (يوحنا ١٩:٥).

وتؤكد جماعة يوحنا انها عرفت ان ترى، في هذا الانسان يسوع، مجد الله، اعني صفة متميزة واشعاعاً يأتيان من الله. وسيَتحدث اللاهوت اللاحق عن آلوهية المسيح. فالانجيلي، حين كتب مقدمته، كان يعلم ان اليهودية الرسمية قد رفضت يسوع، وان جماعة جديدة وُلدت تحت شعار "النعمة والحقيقة".

شهادة يوحنا المعمذان (١٥)

يوحنا المعمذان هو الاول، من بين الذين رأوا مجده، كشف باعلى صوته عن سر ذاك الذين ليس هو قبله حسب، بل لان مكانته هي في البدء المطلق.

الكلمة

اللفظة اليونانية التي ترجمت إلى "كلمة" تعني باليونانية "الكلام". وهي اللفظة التي استخدمت للتعبير عن كلام يسوع (مرقس ١٤:٤؛ أعمال الرسل ٢٥:٨). وفي سفر الرؤيا (١٣:١٩)، يسمّى راكب الفرس الابيض "كلمة الله"؛ وفي رسالة يوحنا الاولى (١:١) يدعى يسوع "كلمة الحياة". إلا ان في مطلع الانجيل، استخدمت لفظة "كلمة" من دون مضاف إليه، كما لو ان المقصود هو كائن مشخّص. وقد يكون اختيار هذه اللفظة بتأثير من الفلسفة اليونانية. فالرواقيون، مثلاً، يعتبرون الكلمة (لوغوس) بمثابة روح العالم التي تقود كل الاشياء وتراقبها. وفيلون، فيلسوف الاسكندرية اليهودي، حين اراد ان يوفق بين اليهودية والهيللينية، اعتبر اللوغوس بمثابة خليقة الله، والوسيط بين الله والانسان.

إلا ان الخلفية الحقيقية، يجب البحث عنها في العهد القديم. فهو يشدد غالباً، وبشكل خاص لدى الانبياء، على الدور الخلاّق لكلمة الله. وفي سفر الحكمة، قال سليمان لله: "يا اله الآباء، ويا رب الرحمة، يا صانع كل شيء بكلمتك" (حكمة ١:٩). غير ان الاكثر اهمية هو تشخيص الحكمة الذي ألهم المطلع. وفي سفر يشوع بن سيراخ (٣:٢٤) تعلن الحكمة: "اني خرجت من فم العليّ". وفي سفر الامثال (٢٢:٨-٢٤) تستعرض الحكمة القابها: "الرب خلقني أولى طرقه، قبل اعماله، منذ البدء، من الاول أقمت، من الاول، من قبل ان كانت الارض". وهكذا، فالحكمة، وهي مبدأ فاعل في الخلقة، كانت حاضرة حين صنع الله العالم، نوراً وحياة للبشر. وهي بذلك قريبة من "الكلمة" في مطلع انجيل يوحنا. وهناك مقاربة اخرى بديهية: في الكتابات الرابينية، تُقدَّم التورا (الشريعة) بصفتها خليقة سبقت كل الخلائق وكانت نموذجاً لها.

وإن عبقرية اللاهوتي الشاعر -ويرقى اليه المطلع- تكمن في انه جمع كافة هذه التقاليد وكيَّفها على صورة يسوع الذي تجد فيه كل هذه الصور تحقيقها النهائي: فكلام الله الحاضر لدى الانبياء اصبح شخصياً في يسوع، وكشفاً عن الله. ويسوع هو التورا والحكمة المشخَّصة اللتان تمنحان الحياة.

المطلع (١ ١٦-١٧)

تشهد الجماعة التي آمنت بانها تلقّت الوحي الاخير عن ذاك الذي كان "عطية سخية وكشفاً" (نعمة وحقيقة). وهنا تمّت مقاربة بين وسيطين، كثيراً ما جعلت منهما المجادلات العنيفة منافسين: موسى ويسوع. الا ان مطلع الانجيل سبق فقدّم البراهين بشأن يسوع والكنيسة: يسوع لا يعارض الشريعة الموسوية، بل يعمّقها ويكمّلها.

يسوع "مفسّر" الآب (١ ١٨)

الابن، وقد اتى من الآب، يعود اليه بعد ان يكون قد اعطى الناس القدرة على الولادة من جديد. فما عداه، لا احد رأى الله. والنص اليوناني يقول حرفياً: "الابن قام بتفسير للآب". وهكذا تكمن قناعة يسوع في انه، هو وحده، الطريق الذي يقود الى الله، وانه "المفسّر الوحيد لله.

القسم الأول

كتاب الآيات
(١:١٩-١٢:٥٠)

الجزء الاول:

حين يبدا الكشف:

من يوحنا المعمدان الى يسوع

(١:١٩-٥١)

أولاً: يوحنا المعمدان يشهد لنفسه [١:١٩-٢٨]

ثانياً: يوحنا المعمدان يشهد ليسوع [١:٢٩-٣٤]

ثالثاً: تلاميذ يوحنا المعمدان يأتون الى يسوع [١:٣٥-٥١]

يحتل مطلع انجيل يوحنا الدور الذي كان لانجيل الطفولة في انجيلي متى ولوقا. فبالنسبة الى يوحنا، تلك هي بداية يسوع الحقيقية. ويلتقي يوحنا مع الازائيين، حين يضع بداية حياة يسوع العلنية متزامنة مع كرازة يوحنا المعمذان. إلا ان الانجيلي لا يحتفظ بشيء من كرازة يوحنا المعمذان. فالمعمذان يحقق ما كان المطلع قد أعلنه بشأنه: الشهادة ليسوع.

يتألف هذا الفصل من ثلاثة اقسام تحوم حول شهادة يوحنا المعمذان: القسم الاول (آ ١٩-٢٨) يورد شهادة المعمذان امام الدين اليهودي الرسمي؛ والقسم الثاني (آ ٢٩-٣٤) يصف شهادة يوحنا امام تلاميذه؛ اما القسم الثالث (آ ٣٥-٥١)، فيرينا تحوّل تلاميذ يوحنا باتجاه يسوع.

أولا. يوحنا المعمذان يشهد لنفسه (١:١٩-٢٨)

١٩ وهذه شَهادَةُ يوحَنَّا، إِذ أَرسَلَ إِلَيه اليَهودُ مِن أُورَشَليمَ بَعضَ الكَهَنَةِ واللاَّوِيّينَ يَسأَلونَه:
"مَن أَنتَ؟"
٢٠ فاعتَرَفَ ولَم يُنكِرْ، اعتَرَفَ: "لَستُ المسيح".
٢١ فسأَلوه: "مَن أَنتَ إِذًا ؟ أَأَنتَ إِيليَّا؟" قال: "لَستُ إِيَّاه". "أَأَنتَ النَّبيّ؟" أَجابَ: "لا!"
٢٢ فقالوا له: "مَن أَنتَ فنَحمِلَ الجَوابَ إِلى الَّذينَ أَرسَلونا؟ ماذا تَقولُ في نَفسِكَ؟"
٢٣ قال: "أَنا صَوتُ مُنادٍ في البَرِّيَّة: *قَوِّموا طَريقَ الرَّبّ*. كَما قالَ النَّبِيُّ أَشعْيا".
٢٤ وكانَ المُرسَلونَ مِنَ الفَرِّيسيِّين،
٢٥ فسَأَلوهُ أَيضاً: "إِذًا لِمَ تَكُنِ المسيحَ ولا إِيليَّا ولا النَّبيّ، فلِمَ تُعَمِّدُ إِذًا؟"
٢٦ أَجابَهُم يوحَنَّا: "أَنا أُعَمِّدُ في الماء، وبَينَكُم مَن لا تَعرِفونَه،
٢٧ ذاكَ الآتي بَعدي، مَن لَستُ أَهلاً لأَن أَفُكَّ رِباطَ حِذائِه".
٢٨ وجَرى ذلك في بَيتَ عَنْيا عِبْرَ الأُردُنّ، حَيثُ كانَ يوحَنَّا يُعَمِّد.

يوحنا: صوت الكلمة

طلب اليهود (وتعني عبارة اليهود هنا: السلطات اليهودية) من يوحنا المعمذان ان يحدد موقعه من الانتظار المسيحاني. وها هو يجيب بالنفي، وعلى ثلاث دفعات (ليس هو المسيح، ولا ايليا، ولا النبي). انه فقط الصوت الذي يفتح الطريق للمسيح.

كان اليهود، في زمن يسوع، ينتظرون مجيء **المشيح** (خريستوس باليونانية)، إلا ان هذا الانتظار كان على اشكال مختلفة. ونفهم كيف كان بوسع اليهود أن يعتبروا يوحنا المعمذان بمثابة المسيح، إذ يوحي نشاطه كمعمِّذ بمجيء الازمنة الاخيرة. وكان بوسع علاقته المحتملة مع اسّينيي قمران ان تفسّر هذه الالقاب الثلاثة، طالما ان الاسينيين كانوا بانتظار ثلاثة اشخاص حول المسيح. ويوحنا المعمذان ينفي كونه المسيح المنتَظَر، كما ينفي ايضاً كونه **ايليا** الذي كانت عودته متوقعة قبل مجيء المسيح. ذلك ان رفع ايليا على مركبته (٢ ملوك ٢:١١) كان قد تمخض عن اساطير حول حياة النبي الكبير وعودته. بل كان بعضهم يدّعي انه ما زال حيًّا، كما هي الحال مع سفر الاخبار الثاني الذي يورد رسالة لايليا الى الملك يورام من بعد رفعه (٢ اخبار ٢١:١٢). ومن بعد الجلاء، وُلدت اسطورة بموجبها يرجع ايليا في الازمنة الاخيرة. وهكذا أكّد النبي ملاخي: "هاءَنذا أرسل اليكم ايليا النبي قبل ان يأتي يوم الرب العظيم الرهيب" (ملاخي ٣:٢٣). وكان بوسع مظهر يوحنا الخارجي ان يوحي بملامح ايليا الذي كان عليه "لباس من شعر، وعلى حقويه إزار من جلد" (٢ ملوك ١:٨). **والنبي** المنتَظَر يشير الى الشخص الذي اعلن موسى عن مجيئه في سفر تثنية الاشتراع (١٨:١٥-١٨): "يقيم لك الرب الهك نبياً مثلي من وسطك، من اخوتك".

فيوحنا يطالب بدور مضاعف بالنسبة الى الذي يأتي: انه **اولاً**، الصوت الذي يفتح الطريق "لمن لا يعرفونه"، وذلك تلميح الى اشعيا ٤٠:٣ الذي يبشر بمجيء مرسَل يُعدّ طريق العودة لمسبيي بابل. ويسرد انجيل يوحنا، على غرار الازائيين، نبؤة اشعيا، ولَكن لا في النص العبري، بل في ترجمته اليونانية المسماة "السبعينية". وإذا كان اليهود لم يعرفوا المسيح، فليست تلك غلطة؛ إذ ان يوحنا ذاته هو من بين الذين لم يعرفوه (١:٣٣)، وذلك تلميح محتمل الى اسطورة شعبية يكون المسيح بموجبها مختفياً، ويعتلن فجأة للشعب.

وهو **من ثم** ذاك الذي يمنح عماذ التنشئة من اجل العماذ في الروح. فيسوع، بالنسبة الى المعمذان، يجب أن يُستَقبَل بصفته عطية الله السرية، ولا أحد يعرف أصله.

والمعمذان ذاته كان "غير أهلٍ لأن يفكّ رباط حذائه" -وتلك خدمة كانت من اختصاص العبيد. وهذا دليل على المسافة التي يقيمها بينه وبين يسوع.

ان هذه الشهادة الاولى هي بدء رسالة يوحنا؛ والراوي يضفي عليها شيئاً من الأبّهة حين يحدّد الموقع: "في بيت عنيا، عبر الاردن، حيث كان يوحنا يعمّذ" (١:٢٨). لقد طرح هذا الموقع مشكلة، حتى ان البعض، من بعد اوريجانس، قرأ بيث آبارا، بالقرب من الاردن. ولكن الافضل الإبقاء على اسم بيت عنيا الذي تؤيده غالبية المخطوطات. فلا ينبغي أن نخلط بين هذه المدينة (ولم يحدّد الآثاريون موقعها الجغرافي) وبين بيت عنيا محل سكنى لعازر. وفي الفصل العاشر، سيذكّر الانجيلي بهذا المشهد الاول كي يشدد على نجاح رسالة يوحنا المعمذان: "وعَبرَ الاردن مرة اخرى فذهب الى حيث عمّذ يوحنا (...) وقال كثيرون: ان يوحنا لم يأت بآية، ولكن **كل ما قاله في هذا الرجل كان حقاً**" (١٠:٤٠-٤٢). ذلك هو تأكيد على ان رسالته هي من مستوى الشهادة.

ثانيا: يوحنا المعمذان يشهد ليسوع (١:٢٩-٣٤)

٢٩ **وفي الغَد رأى يسوعَ آتياً نَحوَه فقال: "هُوَذا حَمَلُ اللهِ الَّذي يَرفَعُ خَطيئَةَ العالَم.**
٣٠ **هذا الَّذي قُلتُ فيه: يأتي بَعْدي رَجُلٌ قد تَقَدَّمَني لأَنَّه كانَ من قَبْلي.**
٣١ **وأَنا لم أَكُنْ أَعرِفُه، ولكنّي ما جِئْتُ أُعَمِّدُ في الماءِ إلاَّ لكَي يَظهَرَ أَمْرُه لإِسْرائيل".**
٣٢ **وشَهِدَ يوحَنَّا قال: "رَأَيتُ الرُّوحَ يَنزِلُ منَ السَّماءِ كأَنَّه حَمامَة فيَستَقِرُّ عَلَيه.**
٣٣ **وأَنا لَم أَكُنْ أَعرِفُه، ولكنَّ الَّذي أَرسَلَني أُعَمِّدُ في الماءِ هو قالَ لي: إِنَّ الَّذي تَرى الرُّوحَ يَنزِلُ فيَستَقِرُّ عَلَيه، هو ذاكَ الَّذي يُعَمِّدُ في الرُّوحِ القُدُس.**
٣٤ **وأَنا رأَيتُ وشَهِدتُ أَنَّه هو ابنُ الله".**

يسوع، حمل الله

بعد الشهادة التي قدمها يوحنا في سياق معاد، هوذا يشهد امام تلاميذه. وهنا تبدأ (عبر الصيغة المستخدمة مرات عديدة: "وفي الغد") سلسلة من المحطات الزمنية التي أراد بعضهم ان يرى فيها أثر اسبوع مواز لأيام الخلقة السبعة.

اما تشخيص يسوع بصفته "**حمل الله**"، فلن نجده من جديد لدى يوحنا إلا في ١:٣٦. ولعبارة "حمل الله" ثلاثة اسس في العهد القديم: إما **حمل اشعيا ٥٣:٧** ("كحمل سيق الى الذبح وكنعجة امام الذي يجزّونها")، وفي هذه الحالة يكون المعمذان قد رأى في يسوع صورة العبد المتألم الذي حمل في ذاته وضع العالم الخاطئ؛ وإما **الحمل المذبوح والقائم** في سفر الرؤيا الذي له قدرة على ان يغلب الخطيئة (رؤيا ٥:٦؛ ١٤:١٠؛ ١٧:١٤)؛ وإما **الحمل الفصحي** (وبحسب يوحنا ١٩:١٤ يكون يسوع قد صُلب في عين الساعة التي يبدأ فيها الكهنة بذبح الحملان لعيد الفصح). ولا ينبغي ان ننسى بان الانجيلي يكتب بعد القيامة ولمؤمنين. وهكذا يتضح ان بوسع هذا اللقب ان يتخذ ثلاثة معانٍ، ولن نعرف البتة معنى هذه التسمية على لسان يوحنا المعمذان.

قد يسجّل، في هذا المقطع، قارئ يجهل الخلفية الكتابية لهذه المفردات، تشبيهين مستعارين من العالم الحيواني: **حمل** الله و**الحمامة** الآتية من السماء. فهاتان الصورتان اللتان تعكسان الحِلم واللاعنف تناسبان جيداً كيان يسوع وصلته بعالم الله.

ابن الله

يقدم الانجيلي هنا قراءة شخصية، بكل معنى الكلمة، عن عماذ يسوع، تختلف كل الاختلاف عن الاناجيل الثلاثة الاخرى. هو يوحنا المعمذان الذي يرى الروح ينزل ويستقر على يسوع. وعيونه الجسدية ترى **انساناً** ("يأتي بعدي رجل قد تقدّمني"، (١:٣٠)؛ ذلك ان وحي الله منحه ان يرى **ابن الله** في يسوع. ونجد في عدد من المخطوطات عبارة "مختار الله" عوضاً عن "ابن الله". وفي هذه الحالة، بوسعنا أن نرى تواصلاً بين حمل العبد المتألم وبين العبد مختار الله. ولكني، مع معظم المخطوطات، أؤكد على قراءة "ابن الله".

أما اعادة قراءة العماذ بحسب الازائيين او بحسب يوحنا، فهي على جانب كبير من الاختلاف. ذلك ان الانجيلي يوحنا ينسب الى المعمذان ايماناً لم يكن ممكناً إلا بعد الوحي الفصحي: فيسوع بالنسبة له هو **حمل الله** (آ ٢٩)، **ذلك الذي هو منذ البدء** (آ ٣٠)، **ابن الله** الممتلئ من الروح (آ ٣٣-٣٤).

ثالثا. تلاميذ يوحنا المعمدان يأتون الى يسوع (١:٣٥-٥١)

٣٥ وكانَ يوحَنَّا في الغَد أيضاً قائماً هُناكَ، ومَعَه اثْنان من تَلاميذه.
٣٦ فحَدَّقَ إلى يَسوعَ وهو سائرٌ وقال: "هُوَذا حَمَلُ اللهِ!"
٣٧ فسَمِعَ التِّلْميذان كَلامَه فتبِعا يسوع.
٣٨ فالتَفَتَ يسوعُ فرآهُما يَتبَعانه فقالَ لَهما: "ماذا تُريدان؟" قالا له: "رابّي (أي يا مُعلّم) أينَ تُقيم؟"
٣٩ فقالَ لَهما: "هَلُمَّا فانظُرا!" فَذَهَبا ونظَرا أينَ يُقيم، فأقاما عِندَه ذلك اليَوم، وكانَتِ السَّاعَةُ نَحوَ الرَّابعَة بَعدَ الظُّهْر.
٤٠ كانَ أندرَاوُس أخو سِمْعانَ بُطرُس أَحَدَ اللَّذَينِ سَمعا كَلامَ يوحَنَّا فَتبِعا يسوع.
٤١ ولَقِيَ أَوَّلاً أخاهُ سِمْعان فقالَ له: "وَجَدْنا المَشيح" ومَعناهُ المسيح.
٤٢ وجاءَ به إلى يَسوعَ فحَدَّقَ إلَيه يسوعُ وقال: "أَنتَ سِمْعانُ بنُ يونا، وستُدعَى كِيفا"، أي صَخراً.
٤٣ وأَرادَ يسوعُ في الغَد أن يَذهبَ إلى الجَليل، فَلقِيَ فيلُبُّس فقالَ لَه: "اتْبَعْني!"
٤٤ وكانَ فيلُبُّس من بَيتَ صَيدا مَدينَة أَندَراوسَ وبُطرُس.
٤٥ ولَقِيَ فيلُبُّسُ نَتَنائيل فقالَ له: "الَّذي كَتَبَ في شأنه موسى في الشَّريعَة وذَكَرَه الأنبياء، وَجَدْناه، وهو يسوعُ ابنُ يوسُفَ منَ النَّاصِرَة".
٤٦ فقالَ له نَتَنائيل: "أَمِنَ النَّاصِرَة يُمكِنُ أَن يَخرُجَ شَيٌ صالِح؟" فقالَ له فيلُّبس: "هلُمَّ فانظُرْ؟"
٤٧ ورأى يسوعُ نَتَنائيلَ آتياً نَحوَه فقالَ فيه: "هُوَذا إسرائيليٌّ خالصٌ لا غشَّ فيه".
٤٨ فقالَ له نَتَنائيل: "مِن أَينَ تَعرِفُني؟" أجابَه يسوع: "قبلَ أَن يَدعوكَ فيلُبُّس وأَنتَ تَحتَ التِّينَة، رأَيتُك".
٤٩ أجابَه نَتَنائيل: "رابّي، أَنتَ ابنُ الله، أَنتَ مَلكُ إسرائيل".
٥٠ أجابَه يسوع: "أَلأَنّي قُلتُ لَكَ إنّي رأَيتُكَ تَحتَ التِّينَة آمَنتَ؟ سترى أَعظَمَ من هذا".
٥١ وقالَ له: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: سترونَ السَّماءَ مُنفَتِحَة، وملائِكَةَ اللهِ صاعِدينَ نازِلينَ فَوقَ ابنِ الإنسان".

دعوة الاثني عشر في انجيل يوحنا

في الآيات ٣٥-٥١ من الفصل الاول، يعرض يوحنا دعوة خمسة تلاميذ: اندراوس، تلميذ مجهول، بطرس، فيلبس، نثنائيل. وفي مكان آخر يذكر يهوذا الاسخريوطي؛ أو يذكر يهوذا آخر وتوما. وإذا كان قد تحدث أحياناً عن الاثني عشر (٦:٦٧؛ ٢٠:٢٤)، فليس لديه لائحة بالاثني عشر كما في الاناجيل الازائية.

ان دعوة التلاميذ الاولين، لدى يوحنا، مختلفة جداً عما نقلته الروايات الازائية، حيث كان بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا يصطادون حين جاء يسوع يدعوهم. فالمدعوون الاولون، لدى يوحنا، كانوا قبلاً تلاميذ يوحنا المعمذان. وتتفق كل الاناجيل بشأن وجود تلاميذ درّبهم يوحنا المعمذان على الحياة الروحية (مرقس ٢:١٨؛ لوقا ٥:٣٣؛ ١١:١). ويورد متى ١١:٢-٦ بان يوحنا المعمذان أرسل، من سجنه، بعضاً من تلامذته يسألون يسوع. إلا ان الانجيلي يوحنا هو الوحيد الذي يروي تحوّل قسم من تلامذة المعمذان الى يسوع. فمن المحتمل جداً انه كان يمتلك معلومات اصيلة بشأن العلاقات بين يسوع ويوحنا المعمذان. ولذا يلمّح الى نشاط محتمل ليسوع بصفة معمذان (يوحنا ٣:٢٢؛ ٤:١-٢). فمن الممكن ان يكون يسوع ويوحنا المعمذان منتميَين كلاهما الى حركة معمذانية انتشرت في غضون القرن الاول، وكانت بمثابة حركة اصلاح ضد ممارسات العبادة، ومتسمة بالمواهبية والشمولية. لذا يشدد يوحنا بان على المعمذان الآن ان يختفي ازاء هذا الذي جاء يبشر به.

ومن هنا وحتى الآية ١٢ من الفصل الثاني، يصف الانجيلي، يوماً بعد يوم، تقدّم التلاميذ في الايمان بيسوع. ولقد كثّف هنا موجزاً للاهوته المسيحاني، عبر عدد من القاب يسوع: **رابّي ومسيح** (آ ٣٥-٤٢)؛ الشخصية التي أُعلن عنها في **الناموس والانبياء: ابن الله وملك اسرائيل** (آ ٤٣-٥٠)؛ **ابن الانسان** (آ ٥١). واخيراً في ٢:١١، هوذا يسوع قد "**أظهر مجده** فآمن به تلاميذه". ومثل هذا التقدّم في الايمان لم يكن ولا شك حصيلة بضعة ايام: فالازائيون يروون لنا، بشكل اكثر واقعية، ولادة ايمان التلاميذ بيسوع، ويصفونها بانها كانت صعبة وبطيئة. ففي هذه النقطة بالذات، نراهم يعكسون الاحداث بطريقة يحتمل انها تكون قد جرت في الواقع.

التلميذان (آ ٣٥-٣٩)

يجاهر يوحنا المعمذان انه ليس سوى صوت يعلن مجيء الرب: "لا بد له من ان يكبر، ولا بد لي من ان اصغر" (٣:٣٠). وها هو يستخلص النتائج بتوجيه اثنين من

تلاميذه نحو يسوع. ومرة ثانية، يشير اليه بصفته "حمل الله". لقد كان هذا اللقب، ولا شك، ذا معنى لجماعة يوحنا المعمذان (وفي الكنيسة)، طالما انه أثار فضول تلميذين باتجاه يسوع بحيث حملَهما على ان يتركا المعمذان من اجل يسوع. وأحد هذين الاثنين هو اندراوس (١:٤٠). اما الآخر فلم يُذكر. ويظن الكثيرون ان المقصود هو التلميذ الذي أحبه يسوع، يوحنا بن زبدى.

هذا المقطع، من اربع آيات، هو ذو معنى كبير، إذ انه يستعرض الدوافع الكبرى في الانجيل.

انه **اول** ولاء ليسوع في الانجيل: فهو، لهذا السبب، يتخذ اهمية.

فيه نجد المفردات النموذجية للتعلق بيسوع: "تبع" (آ ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٣). وسنجد هذا الفعل في ٨:١٢؛ ١٠:٤، ٢٧؛ ١٢:٢٦؛ ١٣:٣٦؛ ٢١:١٩، ٢٢.

والولاء ليسوع لم يتم بفعل مبادرة يوحنا المعمذان حسب، وانما سبقه **اختيار حر ودعوة** بادر بها يسوع. وعلى هذين التلميذين اللذين يبحثان (ماذا تريدان؟) يعرض يسوع ان يأتيا وينظرا اين يقيم، كي يملأ هو ذاته انتظارهما (انظر ١٥:١٦).

فالتلميذ هو الذي "**يقيم**" مع يسوع. وفعل "يقيم" مستخدَم هنا ثلاث مرات. انه، في نظر يوحنا، فعل لاهوتي يسجّل اكتمال الايمان والتعلّق النهائي بيسوع (انظر على سبيل المثال ٦:٥٦؛ ٨:٣١؛ ١٠:٤٠؛ ١٥:٤). تلك هي الخطوات المؤسِّسة للايمان: **المجيء** الى يسوع، **رؤية** اين يقيم، **الاقامة** فيه.

لقد مكثوا معه من الرابعة بعد الظهر. فلا الاسباب موضحة (هل هو يوم سبت؟) ولا المكان! وقد يُسهم هذا التحفظ في إضفاء بُعد مفتوح وسرّي على الرواية: فكل مؤمن مدعو الى القيام بالخطوات عينها. ذلك ان الايمان يمرّ غالباً عبر تأملات بشرية. إلا ان الاساسي يكمن في نداء الرب وفي الولاء الحر والصادق ليسوع. وتفيدنا تتمة الرواية (١:٤١) انهما رأيا المسيح في شخص يسوع، أي ذاك الذي تحدثت عنه شريعة موسى وذكره الانبياء (١:٤٥).

اللقاء مع سمعان بطرس (آ ٤٢-٤٠)

أية كانت الظروف (سواء وساطة اندراوس تجاه بطرس، ام وساطة فيلبس بالنسبة الى نثنائيل، ام الدعوة المباشرة لفيلبس)، يسوع هو الذي يحتفظ دوماً بالمبادرة،

بفعل نظرته الثاقبة وكلمته الحاسمة التي تدعو الاشخاص وتعطي حكمها عليهم. ولا يقول لنا الانجيلي شيئاً عن تلقي بطرس النداء، بل يهتم بالكلام الذي به يعلن يسوع لبطرس انه سيتلقى اسماً جديداً: "كيفا". وهكذا يجيب الانجيلي الى هدف مضاعف: أولاً التشديد –كما سيفعل مراراً– على سلطة يسوع الذي يتصرف بصفته الكاشف؛ ومن ثم جعل بطرس، من البداية، في موقع السلطة، هو الذي سيكون الناطق باسم الاثني عشر (٦٧:٦) وراعي القطيع (فصل ٢١). فاليه توجهت كلمة يسوع الاولى المميزة في انجيل يوحنا.

اللقاء مع فيلبس ونثنائيل (٥١-٤٣)

فيلبس، من بعد اندراوس وسمعان بطرس، هو التلميذ الثالث الذي يدعى باسمه. وثلاثتهم جاءوا من بيت صيدا، مدينة الصيادين الواقعة على ضفة البحيرة في عبر الاردن. اما لدى الازائيين، فاسمه لا يُذكر إلا في لائحة الاثني عشر (مرقس ١٨:٣). ذلك ان في حوزة يوحنا مصدراً شخصياً من المعلومات بشأن فيلبس الذي يذكره مراراً (٥:٦، ٧؛ ٢١:١٢؛ ٨:١٤). وتتبنى دعوته صيغة مألوفة لدى الازائيين: "اتبعني" (انظر مرقس ١٤:٢).

إلا ان اللقاء مع نثنائيل، هو الذي يلفت اهتمام الراوي. فهذا الرسول الذي من قانا (٢:٢١)، لم يرد ذكره إلا في انجيل يوحنا. وشاء التقليد ان يماثله مع برتلماوس (وقد يكون السبب في ان اسمه، في لائحة الاثني عشر لدى مرقس ٣، يأتي مباشرة بعد فيلبس). وهناك آخرون، انطلاقاً من اشتقاق خاطئ، يماثلونه مع سمعان القناني كونه من قانا (مرقس ١٨:٣). والافضل هو الاعتراف بجهلنا: ففي الواقع، لا شيء يدل على انه في عداد الاثني عشر.

ان لتشككه تفسيراً، بعد ان عرف موطن يسوع: لم يكن بوسع المسيح ان يخرج من مدينة مجهولة في الكتاب المقدس كالناصرة. ذلك ان المفارقة بين المسيح الممجّد المنتَظَر وبين اصل يسوع الوضيع، انما هي عثرة التجسّد. ويترتب على الايمان أن يتغلب على عائق الجسد كي يرى، في الانسان يسوع، مرسَل الله. ولم يكن بوسع كثير من اليهود أن يتخطوا هذه العتبة: "أليس هذا ابن يوسف؟ نحن نعرف اباه وامه؟ كيف يقول الآن: اني نزلت من السماء؟" (٤٢:٦).

ويسوع، على غرار ما فعل مع بطرس، يكشف عن معرفة غير متوقعة بشأن نثنائيل: "وانت تحت شجرة التين رأيتُك". ذلك ان يسوع، لدى يوحنا، يدلل غالباً على معرفة فائقة بشأن الاحداث والاشخاص (٢:٢٥؛ ٦:٦١؛ ١٣:١). أما التلميح الى شجرة التين، فينقصه الوضوح: لقد رأى بعضهم فيها الشجرة المفضّلة التي تحت ظلّها كان الربابنة يدرسون الشريعة. وكان الربابنة يستخدمون عبارة "الجلوس تحت شجرة التين" للتعبير عن التأمل في الاسفار المقدسة؛ ويذهب بعضهم الى التفكير بشجرة المعرفة في الفردوس. فلنثنائيل "الاسرائيلي الحقيقي"، الباحث في الاسفار عن بشرى مجيء المسيح، يكون يسوع قد اعلن عن تحقيق انتظار اسرائيل في شخصه.

ونثنائيل هذا، سحرته شخصية يسوع حتى انه اطلق عليه لقبين: "ابن الله" و"ملك اسرائيل". ذلك ان لقب **"ملك اسرائيل"** تسمية تشير، لدى يوحنا، الى لقب مسيحاني، هو على المستوى القومي، اقل من عبارة "ملك اليهود" المستخدمة ابان الآلام (١٨:٣٣، ٣٩؛ ١٩:٣، ١٩، ٢١). فيسوع، لدى دخوله اورشليم، استُقبل بلقب مسيح اسرائيل (١٢:١٣). اما **ابن الله**، فهو لقب مسيحاني كان يُطلق على الملك في حفل تنصيبه (راجع ٢ صموئيل ٧:١٤). وقد شدد المزمور ٢:٦-٧ على العلاقة بين لقبي "ابن الله" و"ملك اسرائيل". ويتخذ لقب "ابن الله"، على لسان يوحنا ومن اجل قرائه، كل معناه بعد قيامة يسوع.

وسيرى نثنائيل "اموراً اعظم": فيسوع الذي يتجلى هنا بكلامه، يعلن عن آيات مقبلة، وبالاخص آية قانا التي فيها "سيُظهر مجده".

"ابن الانسان" (٥١)

لقد اثارت هذه الآية معضلات كثيرة للمفسرين. إلى مَن تتوجه العبارة بالمخاطب "سترون"؟ اية علاقة لهذه الكلمة مع كلام يسوع امام قيافا: "سترون بعد اليوم ابن الانسان جالساً عن يمين القدير وآتياً على غمام السماء" (متى ٢٦:٦٤)؟ واية كانت الصعوبات، يمكننا أن نكتفي بالقول بان هذا اللقب هو الوحيد الذي وُضع على لسان يسوع، وقد مُهِّد له بالصيغة الاحتفالية: "الحق الحق أقول لكم" -وقد استخدمت هنا للمرة الاولى في انجيل يوحنا. من المحتمل ان يكون هناك تلميح الى سُلّم يعقوب في سفر التكوين (٢٨:١٢): "فاذا سلّم منتصب على الارض وراسه يلامس السماء، وإذا ملائكة الله صاعدون نازلون عليه". وقد يعني ذلك ان يسوع، بصفته ابن الانسان، اصبح مكان اللقاء بين الله والانسان، بين السماء والارض.

ابن الانسان

وردت صورة "ابن الانسان"، في انجيل يوحنا، ١٣ مرة. في مرتين يتساءل الناس بشأن ابن الانسان هذا. والاعمى الذي سأله يسوع هل يؤمن بـ "ابن الانسان"، اجاب: "من هو؟" (٩:٣٥-٣٦). ويختص يسوع بوضوح شخصية ابن الانسان: قد رأيتَه، هو الذي يكلمك" (٩:٣٧). ويتساءل الجمع: "نحن عرفنا من الشريعة ان المسيح يبقى الى الابد، فكيف تقول انت انه لا بد لابن الانسان ان يُرفع؟ فمن ابن الانسان هذا؟ (١٢:٣٤).

في ١:٥١، نرى ابن الانسان، في نظر يسوع، مرتبطاً بعالم الله، طالما ان "الملائكة صاعدون نازلون فوق ابن الانسان". انه يلعب دوراً هاماً في الدينونة الاخيرة، لأن "الله أولاه سلطة إجراء القضاء لانه ابن الانسان" (٥:٢٧). وفي المقاطع الاخرى، نرى ابن الانسان ملحقاً بالعالم العلوي؛ لقد نزل ومن ثم صعد الى السماء (٣:١٣؛ ٦:٦٢) ورُفع (٣:١٤؛ ٨:٢٨؛ ١٢:٣٤) ومُجّد (١٢:٢٣؛ ١٣:٣١). وبصفته حاملاً طابع الله، فهو يعطي الخبز من السماء (٦:٢٧). ومَن يأكل جسده ويشرب دمه يحصل على الحياة الابدية (٦:٥٤).

في ضوء كل هذه المقاطع التي تبدو بالتالي متجانسة، يمكننا ان نصف ابن الانسان بانه المسيح الذي يحمل الى البشر الحياة، وهو الذي يدينهم الآن وفيما بعد، لانه جاء من السماء من اجل ذلك، وسيعود اليها.

معنى العبارة

هذه اللفظة، في اللغات السامية، تعني الانسان (وتحل محل ضمير المتكلم "انا"). والعهد القديم يستخدم غالباً هذه اللفظة، بالعبرية، في الكلام عن الانسان (ارميا ٤٩:١٨؛ ٥٠:٤٠؛ اشعيا ٥٦:٢). ويستخدمها كثيراً النبي حزقيال (٩٣ مرة) في الكلام عن ابن آدم.

وفي زمن قصير قبل مجيء يسوع، اخذ الادب الرؤيوي، وكتاب اخنوخ على سبيل المثال (كتاب شهير في زمن يسوع، وسيرفضه من ثم اليهود والمسيحيون على السواء)، يهتم كثيراً بالازمنة الاخيرة، وراح يأمل مجيء شخص سماوي سرّي يدعى " ابن الانسان". ولقي يسوع فيه لقباً جاهزاً، فاختصّه ووجد فيه هويته. فبالنسبة له، أنْ يبدو بصفة " ابن الانسان"، فذلك يعني انه طالبَ

بانسانية كاملة يسكنها الروح. انه ينبغي ان يكون ذلك الانسان الكامل (قد نجد في قول بيلاطس "هوذا الرجل"، هذا المعنى الخفي، ٥:١٩). فاذا شوهد من الارض، بعيون ابناء البشر المحدودين والمعاقين، فتلك اشارة الى انه حقق، على الاطلاق، الانسانية التي وجد الله فيها مسرّته، وانه هو " ابن الانسان" المنتَظر بصفته الانسان الكامل. وإذا شوهد من زاوية الله، عبر وحي الآب الفائق، فهو ابن الله، ومنه يستمد طبيعته. ذلك ان اللقبين يتكاملان، ولا ينبغي الفصل بينهما. ففي يسوع، يلتقي الله والانسان.

ومن الملاحظ ان هناك، في هذا الفصل الاول، تكثيفاً لألقاب يسوع: **الكلمة** (اللوغوس) (١:١٤)، **الله** (١:١٨)، **الحياة والنور** (١:٤، ٥، ٩)؛ **الابن الوحيد** (١:١٤، ١٨)؛ **ابن الله** (١:٣٤)؛ **المسيح** (١:٤١، ٤٥)؛ **ملك اسرائيل** (١:٤٩)؛ **ابن الانسان** (١:٥١). وفي آية قانا التي تلي، سيكون مجد يسوع الموحى به عبر هذه الالقاب، مرئياً بشكل اكبر.

الجزء الثاني:

من قانا الى قانا

(٢:١-٤:٥٤)

أولاً: عرس قانا [٢:١-١٢]

ثانياً: آية تطهير الهيكل [٢:١٣-٢٢]

فاصل [٢:٢٣-٢٥]

ثالثاً: الكاشف بازاء المسؤول اليهودي [٣:١-٣٦]

أ. نيقوديمس، المسؤول اليهودي [٣:١-٢١]

ب. شهادة يوحنا المعمدان الأخيرة [٣:٢٢-٣٠]

ج. خطاب ختامي [٣:٣١-٣٦]

رابعاً: يسوع والسامرية والسامريون [٤:١-٤٢]

أ. يسوع والسامرية [٤:١-٢٦]

ب. يسوع والتلاميذ [٤:٢٧-٣٨]

ج. يسوع والسامريون [٤:٣٩-٤٢]

خامساً: آية قانا الثانية [٤:٤٣-٥٤]

تصلح معجزة قانا (٢:١-١٢)، في آن واحد، كخاتمة للمقطع الاول وكفاتحة للمقطع الثاني. فهي تغلق الوحي الافتتاحي المعلَن للتلاميذ، وقد توسع فيه كثيراً الفصل الاول (١:١٩-٢:١٢). ويترتب على بحوثنا بشأن بنية الروايات ان تحتفظ دوماً بمرونة كبيرة، كما هي الحال دوماً في النصوص البيبلية. فلقد شاء بعضهم ان يجعلوا مشهد قانا في اليوم السابع من الاسبوع الافتتاحي الذي بدأ في ١:٢٩. وفي هذه الحالة، سيكون لنا تلميح الى رواية الخلقة (تكوين ١-٢:٤أ). وفكّر بعضهم بالاسبوع الذي، بحسب التقليد اليهودي، أعدّ تجلّي سيناء وعطية الشريعة. وكأن يوحنا شاء ان يرينا، في يسوع، ذاك الذي يتم وحي سيناء: "الشريعة اعطيت عن يد موسى، اما النعمة والحق، فعن يد يسوع المسيح" (١:١٧). ان هذه النظريات تسلّط بعض الضوء، حتى ولو ان الطريقة الغريبة في احتساب هذه الايام السبعة (انظر تسلسل عبارة "وفي الغد"، في ١:٢٩، ٣٥، ٤٣ -وقد تبعتها عبارة "وفي اليوم الثالث" ٢:١) ليست وسيلة الكاتب الفضلى والبديهية في وصف الاسبوع! انه على يقين من ان ايمان التلاميذ، في ٢:١-١٢، قد بلغ ذروته: "اظهر مجده فآمن به تلاميذه" (٢:١١ب). إلا ان هذه الآية، في الوقت ذاته، تفتتح سلسلة الآيات السبع: "هذه اولى آيات يسوع" (٢:١١أ).

لقد شاء الانجيلي ان يجمع بين الفصول ٢-٤؛ وها هو يشدد على ذلك عبر اسلوب "التطويق" (*inclusion*) والذي يقوم في استخدام، في النهاية، مفردات كان قد استخدمها في البداية، وذلك بهدف التأكيد على وحدة الرواية.

كان هناك عرس **في قانا الجليل** (٢:١)

وهذه **أولى الآيات في قانا الجليل** (٢:١١)

ورجع الى **قانا الجليل** حيث جعل الماء خمراً (٤:٤٦)

تلك **ثانية آيات** يسوع التي أتى بها... (٤:٥٤)

وتصف هذه الفصول الثلاثة لقاءات ثلاثة مع يسوع: الاول يضع على المسرح احد رؤساء الشعب اليهودي، والثاني يتعلق بسامرية هرطوقية، والثالث بصدد ضابط ملكي.

أولا: عرس قانا (٢:١-١٢)

١ ٢ وفي اليَومِ الثّالث، كانَ في قانا الجَليلِ عُرسٌ وكانَت أُمُّ يَسوعَ هُناك.
٢ فدُعِيَ يسوعُ أَيضاً وتلاميذُه إلى العُرس.
٣ ونَفِدَت الخَمْر، فقالَت لِيَسوعَ أُمُّه: "لَيسَ عندَهم خَمْر".
٤ فقالَ لها يسوع: "ما لي وما لَك، أَيَّتُها المَرأَة؟ لَم تَأتِ ساعتي بَعْد".
٥ فقالَت أُمُّه للخَدَم: "مَهما قالَ لَكم فافعَلوه".
٦ وكانَ هُناكَ ستَّةُ أَجْرانٍ من حَجَر لِما تَقْتَضيه الطَّهارةُ عِندَ اليَهود، يَسَعُ كُلُّ واحِدٍ منها مقدارَ مكيالَينِ أَو ثَلاثَة.
٧ فَقالَ يسوعُ لِلخَدَم: "امْلأُوا الأَجرانَ ماءً". فمَلأُوها إلى أَعْلاها.
٨ فقالَ لَهم: "اغرِفوا الآنَ وناولوا وَكيلَ المائدَة". فناوَلوه،
٩ فلَمَّا ذاقَ المَاءَ الَّذي صارَ خَمْراً، وكانَ لاَ يَدري من أَينَ أَتَت، في حينِ أَنَّ الخَدَمَ الَّذينَ غَرَفوا الماءَ كانوا يَدْرُون، دَعا العَريسَ
١٠ وقالَ له: "كُلُّ امرىء يُقَدِّمُ الخَمرَةَ الجَيِّدَةَ أَوَّلاً، فإذا سَكِرَ النَّاس، قَدَّمَ ما كانَ دونَها في الجُودَة. أَمَّا أَنتَ فحَفِظْتَ الخَمرَةَ الجَيِّدَةَ إلى الآن".
١١ هذه أُولى آيات يسوع أَتى بها في قانا الجَليل، فأَظهَرَ مَجدَه فآمَنَ به تَلاميذُه.
١٢ ونَزَلَ بَعدَ ذلكَ إِلى كَفَرناحوم هو وأُمُّه وإِخوَتُه وتَلاميذُه، فأَقاموا فيها بِضعَةَ أَيَّام.

أ. عرس غريب

هذه الرواية، كما هو الحال في اغلب نصوص يوحنا، هي في مستوى من البناء يبدو من العبث معها البحث عن معرفة ماذا حدث بالضبط. فيوحنا، انطلاقاً من ذكرى حقيقية، جعل في القصة تسامياً يحملنا بالأولى على الاهتمام باللاهوت الذي يختفي وراءها. ولمزيد من اليقين يكفي أن نضع المشاهد المختلفة وجهاً لوجه:

اليوم الثالث
في قانا الجليل
قالت الام
ليسوع .
قالت الام للخدم
يقول يسوع **للخدم**
املأوا
فملأوا
اغرفوا
فناولوا
وكيل المائدة لم يكن يعرف
الخدم كانوا يعرفون
وكيل المائدة
قال للعريس
في قانا الجليل
أظهر مجده

ب. دراسة النص

مقدمة (آ ١-٢). تعرض الآيتان الاوليان شخوص الرواية وعلاقاتهم المتبادلة. والظروف (العرس) معروضة، من دون الحديث عن العريسين، كما كان يُفترض. ولن يأتي قط ذكر العروس، كما ان العريس لن يتدخل إلا في اعقاب إحراج تعرض له وكيل المائدة.

اما باقي الشخوص، فهم يسوع، وام يسوع، وتلاميذه، والخدم، ووكيل المائدة. ونكتشف ان الشخوص يظهرون باجمعهم، وفق علاقتهم بيسوع: امه، تلاميذ. ولن يكون للتلاميذ أي دور فاعل: مع العلم ان لهم اهمية بصفتهم، في آن واحد، شهوداً على المشهد وموضوع تحوّل طرأ عليهم: انهم يصبحون بالتالي مؤمنين.

المشهد الاول: يسوع وامه (آ ٣-٤). يشكل النقص في الخمر -وهو العنصر الاساسي في كل عرس- نقطة الانطلاق للرواية. ففي الاعراس اليهودية التي كانت تستمر اسبوعاً كاملاً، كان من الضروري التحوّط لكمية كافية من المشروبات. لا نجد مبرّراً للنقص في الخمر، ولا يعير الراوي أية اهمية لذلك. وهيذي ام يسوع (وهي تدعى دوماً هكذا في انجيل يوحنا) تُبادر بالتدخّل. وهي تفعل ذلك، لا عبر طلب مباشر، وانما عبر

تأكيد (وتلك صيغة كياسة في الطلب يستخدمها غالباً انجيل يوحنا). فهكذا طلبت مرتا ومريم من يسوع ان يتدخل: "ان الذي تحبه مريض" (١١:٣). وفي المعتاد، كانت مهمة وكيل المائدة (والأوْلى مهمة العريس) أن يتدبّر هذه التفاصيل. وليس من قبيل الصدفة ان يكون المشهد بين يسوع وامه، في المخطط اعلاه، موازياً للمشهد بين وكيل المائدة والعريس.

ويمكننا ان نعتبر هذه الاستعاضة في الادوار مفتاحاً للرواية، كما سنراه في ما بعد. والحوار بين يسوع وامه لغزي هو، وقد شرحه المفسرون احياناً من منطلق افكارهم المسبقة، اكثر مما من معناه الحرفي. اما جواب يسوع (حرفياً قال: "ما الذي بينك وبيني؟")، فهو لا يدع أي شك في طبيعة الحديث. ذلك ان هذه الصيغة العبرية مشهود لها في العهد القديم، وتعني دوماً سوء تفاهم: إما لأن شخصاً طُلب إليه التدخل في شؤون آخر فرفض، وإما لأن شخصاً تدخل في شؤون آخر فصُرف

وبين المفسرين الذين يلطّفون من شدة العبارة -بافتراضها نبرة ودية في كلام يسوع او نظرة مليئة بالرقة- واولئك الذين، كيوحنا الذهبي الفم، قرأوا في هذا الحوار معاملة عنيفة تجاه مريم، هناك ولا شك امر وسط؛ ذلك ان جواب يسوع هو بمثابة مسافة وضعها: انها دعوة إلى امه الى تجاوز امومتها الجسدية كي تولد تلميذة!

لم تأت ساعتي بعدُ. هناك تفسيران محتملان. التفسير الاول يضع علامة استفهام في نهاية الجملة: "ألم تأتِ ساعتي؟"؛ وفي هذه الحالة، يكون يسوع قد أكّد ان الخمر، بحضوره، لا يمكن ان تنقص! اما التفسير الثاني، وهو الذي افضّله، فيقرأ الجملة على انها تأكيد، جعل فيه يسوع اول آية تصبح استباقاً واعلاناً للساعة التي ستتم على الصليب. فليس بوسع احد، حتى ولا امه، ان يقرر ساعته. ذلك ان الابن يتلقى من ابيه آية الاتمام.

وعلى الصليب، سيُشرِك يسوع امه مع التلميذ الذي يحبه (يوحنا ١٩:٢٥-٢٧). وكلاهما صورة اسرائيل الحقيقي، أي الجماعة التي تواصل حضور يسوع وعمله من بعد رحيله. ففي قانا اصبحت ام يسوع اولى التلاميذ.

المشهد الثاني: ام يسوع والخدم (آ ٥-٦). يشهد كلام أم يسوع للخدم بانها تجاوزت الحد الذي دعاها يسوع الى الالتزام به. "مهما قال لكم فافعلوه". وهذه الكلمة تعبّر عن ثقتها غير المشروطة. وهكذا تصبح الام الجسدية اولى التلاميذ.

المشهد الثالث: يسوع والخدم (آ ٧-٨). في المخطط المعروض اعلاه، يبدو هذا المشهد معزولاً: تلك علامة على كونه يحتل المكانة المركزية. فالانجيلي يشدد، وكأنه

يصف، بالحركة البطيئة، مختلف الافعال والاوامر وتنفيذها: "املأوا الاجران ماءً، فملأوها الى اعلاها. اغرفوا الآن وناولوا وكيل المائدة، فناولوه" (آ ٧-٨). انه زمن تتميم الامور العجيبة: فالنقص الذي كان في اصل ولادة الرواية قد اكتمل؛ وكل شيء، بوسعه أن يتم في الفرح والعيد.

المشهد الرابع: وكيل المائدة والخدم (آ ٨ب-٩). ويبدأ الآن، في الواقع، زمن سوء التفاهم. ذلك ان وكيل المائدة "لم يكن يدري من اين أتت الخمر". وهكذا يُحيل اصل الماء السرّي المتحول خمراً الى اصل يسوع السرّي وعطاياه. اما الخدم، بصفتهم صورة للمؤمنين الذي يطيعون الكلمة، فلقدكانوا يدرون، على العكس من وكيل المائدة.

المشهد الخامس: وكيل المائدة والعريس (آ ٩-١٠). لنُعدْ النظر في المخطط أعلاه: وكيل المائدة والعريس هما في موازاة مع ام يسوع ويسوع: ويبلغ سوء التفاهم ذروته. ذلك ان وكيل المائدة يجهل ان أحداً احتل مكانه بصفة وكيل مائدة؛ وهو يجهل ايضاً ان العريس لم يعد ذاك الذي تخيّله. فهو لا يعلم، ومع ذلك نراه يكتفي بالتذكير "بما هو مألوف" في مثل هذه الحالة. فما جرى الآن هو على العكس مما هو مألوف، ولكي يُرى ما جرى، يترتب تجاوز "هذا المألوف".

الخلاصة. تبين خاتمة الرواية القيمة الرمزية للآية: "أظهر مجده فآمن به تلاميذه". وهكذا، تكشف هذه الخاتمة عن أمر، هو غير الحدث الطارئ، كما ستبينه اضاءة الاسفار المقدسة والقيامة.

ج. نور الاسفار المقدسة

ان موضوع المأدبة المسيحانية، مع الاهمية المعطاة للخمر، نجد شواهد لها في العهد القديم: هوذا هوشع يحلم بأزمنة مسيحانية حيث "الارض تُجيب القمح والنبيذ والزيت، وهنّ يُجبن يزرعيل" (هوشع ٢:٢١-٢٤). وهوذا اشعيا ينتظر الازمنة الاخيرة: "الذين جمعوا الحَنطة، هم يأكلونها ويسبحون الرب؛ والذين جمعوا قطاف العنب، هم يشربونه في ديار قدسي" (اشعيا ٦٢:٩). اما الوفرة في العطاء (المكيال هو نحو ٤٠ لتراً، وهذا يوازي حوالي ٧٠٠ لتر ماء حُوِّلت الى خمر!)، فيعني ان الازمنة المسيحانية هي قيد التحقيق في شخص يسوع.

وبوسع التلميح الى الاجران الستة الفارغة، المعدة لشعائر الطهارة لدى اليهود، ان يؤيد هذا المعنى الرمزي. فالعرس بين اسرائيل وإلهه بلغ الى طريق مسدود: والرقم ٦ يسجّل النقص في الكمال (٧-١). فضلاً عن ان الحوار بين يسوع وامه، في مفرداته، يذكّر بحوارات اخرى في العهد القديم. فحين كانت مصر بحاجة الى الخبز، هوذا فرعون يدعو الشعب للتوجه الى يوسف: "لما جاعت كل ارض مصر، صرخ الشعب الى فرعون لأجل الخبز. فقال فرعون لجميع المصريين: اذهبوا الى يوسف، فما يقلْه لكم فافعلوه" (تكوين ٤١:٥٥). وهكذا يبدو يسوع بصفة يوسف الجديد الذي يُطعم الشعب ويمكّنه من الانتقال من القحط الى الوفرة. إلا ان المقاربة الاكثر وضوحاً تتجلى في خروج ١٩:٨، حين وافق الشعب على العهد بهذه العبارة: "كل ما تكلم الرب به، نفعله". وهكذا تصبح ام يسوع صورة اسرائيل الجديد.

د. رواية في ضوء الفصح

لقد كتبت معجزة قانا لخدمة مؤمنين اختبروا الايمان الفصحي، بعد ان قطعوا علاقاتهم مع الدين اليهودي. يُستَشَفّ ذلك من بنية الرواية. فالبداية والخلاصة تضعان القارئ في سياق فصحي: عبارة **"اليوم الثالث"** تذكّر بالقيامة حيث تجلى **مجد** (٢:١١) يسوع، وحيث اصبح ايمان التلاميذ كاملاً. والرواية كيف يتم الانتقال من اليهودية الى المسيحية عبر يسوع. والدين اليهودي الذي قطع المسيحيون صِلتهم به، وُصف هنا بانه حركة دينية في طريق الزوال. والاجران الستة المعدة لتطهير اليهود فارغة. والمسؤولون عن العرس لم يأخذوا احتياطاتهم: فالمأدبة المسيحية هي على وشك النفاد. وحين تدخل يسوع ومكّن العرس من الاستمرار المدهش وغير المتوقع، كان وكيل المائدة، وكذلك العريس (صورة اسرائيل)، غير قادرَين على تلقّي الجدّة التي مُنحت بيسوع: هوذا وكيل المائدة يكتفي بالالتفات الى الماضي وتكرار "ما هو مألوف".

وهيذي ام يسوع حاضرة هنا: فبواسطتها، كان بوسع العيد بين الله والبشرية ان يصبح ممكناً من جديد. انها تقود اسرائيل الجديد (وقد رُمز اليه عبر الخدم) نحو يسوع. وبفعلها هذا، تصبح هي ذاتها المرأة -صورة اسرائيل الجديد- التي تخضع لابنها: "مهما قال لكم فافعلوه". اما كمية الخمر ونوعيته الفريدة، فتعنيان ان العيد المسيحاني قد بدأ، وان الخمر منذئذ لن تعود تنقص. وتساءل احد آباء الكنيسة: "هل شربوها باكملها؟ فأجاب: لا، لاننا ما زلنا نشرب منها"!

ثانياً: آية تطهير الهيكل (٢:١٣-٢٢)

تروي الاناجيل الاربعة آية الهيكل (مرقس ١١:١٥-١٧ وما يقابله). غير ان بين يوحنا والازائيين الثلاثة اختلافات هامة. والاختلاف الاكثر اهمية يتعلق بزمن الحدث: في بدء حياة يسوع العلنية بحسب يوحنا، وفي آخرها بحسب الازائيين. فضلاً عن ان يوحنا ينفرد بإضفاء امتداد لطرد الباعة، عبر طلب اليهود آية وجواب يسوع بشأن خراب الهيكل وإعادة بنائه في ثلاثة ايام. اما تحويل زمن الحدث، فيرجع الى يوحنا. انه يسجّل، منذ بداية حياة يسوع العلنية، القطيعة مع الديانة اليهودية (وهذا ما ينطبق على وضع كنيسته التاريخي). وتؤيد ذلك المفردات المستخدمة: كان "فصح اليهود"؛ وهذه الصيغة التي نجدها ايضاً في ٦:٤ و١١:٥٥ (وفي ٧:٢ بمناسبة عيد المظال) تكشف عن المسافة، لا بل عن القطيعة بين المسيحيين الاولين والجماعة اليهودية.

١٣ وكانَ فصحُ اليَهود قَريباً، فصَعدَ يسوعُ إلى أُورَشَليم،
١٤ فوَجَدَ في الهَيكَلِ باعةَ البقَرِ والغَنَمِ والحَمامِ والصَّيارِفَةَ جالسين.
١٥ فَصَنَعَ مجلَداً من حبال، وطَرَدَهم جَميعاً مِنَ الهَيكَلِ مع الغَنَمِ والبَقَر، ونَثَرَ دَراهِمَ الصَّيارِفَة وقَلَبَ طاولاتهم،
١٦ وقالَ لباعَةِ الحَمام: "ارفَعوا هذا من ههُنا، ولا تَجعَلوا من بَيتِ أَبي بَيتَ تِجارَة".
١٧ فتَذَكَّرَ تلاميذُه أَنَّه مَكْتوب: *"الغَيْرَةُ على بَيتِكَ ستَأكُلُني"*.
١٨ فأجابَه اليَهود: "أَيَّ آية تُرينا حتَّى تَعمَلَ هذَه الأَعْمَال؟"
١٩ أَجابَهم يسوع: "انقُضوا هذا الهَيكَلَ أُقيمُهُ في ثَلاثَة أَيَّام!"
٢٠ فقالَ اليَهود: "بُنيَ هذا الهَيكَلُ في ستٍّ وأَربَعينَ سَنَة، أوَأَنتَ تُقيمُه في ثَلاثَة أَيَّام؟"
٢١ أَمَّا هو فكانَ يَعْنِي هَيكَلَ جَسَدِه.
٢٢ فلمَّا قامَ من بَينِ الأَموات، تذكَّرَ تَلاميذُه أَنَّه قالَ ذلك، فآمنوا بِالكِتاب وبِالكَلِمَةِ الَّتي قالَها يسوع.

مقدمة (٢:١٣-١٤)

تحدد المقدمة المكان والاطار. ذلك ان "صعود" يسوع الى اورشليم هو الاول، وهو يتم حين كان "فصح اليهود" قريباً. وهذه الصيغة التي ترددت ثلاث مرات في الانجيل

(٤:٦، ٥٥:١١) تؤيد صحة معلومات يوحنا. فاعياد الفصح الثلاثة توافق سنتين ونصف من حياة يسوع العلنية. اما الموازاة التي وضعها يوحنا بين الاعياد اليهودية وبين احداث هامة من حياة يسوع، فتوحي بان الاعياد اليهودية قد اتخذت، بيسوع، معنى آخر.

لقد كان الباعة في باحة الوثنيين (باليونانية ***hieron***، وقد ترجمت الى كلمة "هيكل") وليس في داخل الهيكل. وكان لا بد لهم من ان يكونوا هناك ليتسنى للحجاج، في فرصة مجيئهم الى اورشليم، أن يبدّلوا عملاتهم كي يقدّموا حيوانات للذبائح. ويسوع، بصفته نبياً غيوراً على حقوق الله، اعتبر ذلك تدنيساً للهيكل ذاته.

الحركة النبوية (٢:١٥-١٦)

ينتمي تدخّل يسوع الى الحركات النبوية التي كان الانبياء يستخدمونها لابلاغ رسالتهم بشكل افضل. فهو يكمن في فعل وفي قولين تفسيريّين. والحركة هي اكثر اتساعاً مما هي في الرواية الازائية: صُنْع مِجْلَد، وجود بقر وغنم في الهيكل. وكان هناك، على امتداد وادي قدرون او على جبل الزيتون، سوق للحيوانات أقامه السنهدريم من اجل الذبائح. وقيافا، بدافع المنافسة مع السنهدريم، فتح سوقاً في باحة الهيكل. ويسوع، ازاء مثل هذا التدنيس، احتج في خط افعال انبياء سبقوه، من امثال ارميا (٧:١٤) او ملاخي (١:٣) او اشعيا (٧:٥٦). انه يعطي علامة بان مسار تطهير الهيكل المنتظر في آخر الازمنة قد بدأ.

ويحمل كلامه صيغة مزدوجة: انه يطلب، اولاً، ان يوضع حدٌّ لممارسة غير لائقة بالله. ولسنا بازاء مرجع مباشر من الاسفار المقدسة، حتى وإن كان يوحي بزكريا ٢١:١٤ "لا يكون من بعد تاجر في بيت ربّ القوات في ذلك اليوم". وهنا يتصرف يسوع بصفة مدافع عن حقوق الله. وها هو يكشف النقاب عن علاقته الفريدة مع **ابيه**. ومن ثم يستجيب يسوع الى طلب الآية، من خلال قول سرّي عن الهيكل (ولسنا بعدُ بازاء كلمة ***hieron***، وانما ***naos*** التي تعني المقدس بكل معنى الكلمة).

والمقارنة هنا مع الاناجيل الازائية تحمل مزيداً من النور. هناك جملة قريبة من هذه، ولكن مع بعض الاختلافات الهامة: فالنبؤة عن خراب الهيكل، لدى الازائيين، وردت على لسان شهود زور بهدف الاساءة؛ وها هي، لدى يوحنا، نأتي على لسان يسوع. في انجيل مرقس، يُنسب الى يسوع خراب الهيكل: "سأنقض" (٥٨:١٤)؛ اما في انجيل يوحنا، فنرى ان الكلام موجه الى محاوريه: "انقضوا هذا الهيكل". وبالاضافة الى ذلك، هوذا يوحنا يستخدم، بشكل مقصود، لفظة "أُقِمْهُ" التي تستخدم في البناء، ولكنها تستخدم ايضاً في القيامة.

التفسير (٢ ١٧-٢٢)

ليس من السهل معرفة الاساس التاريخي لهذه الرواية. ويمكننا ان نتخيل عملاً رمزياً قام به يسوع ضد انحرافات تجري في الهيكل. اما وجود الصيارفة، فكان ضرورياً ليتسنى للمسافرين ان يبدّلوا القطع النقدية المزينة بصورة الاباطرة، بنقود لا تعتبر نجسة. وكذلك كان بيع الحيوانات للذبائح، ضرورة تفرض نفسها. إلا إذا تخيلنا معارضة جذرية قام بها يسوع ضد العبادة... إلا ان مجمل الانجيل ليس في هذا الاتجاه. ويكفي ان نلفت الانتباه الى ان الفساد في بيت حنّان، عظيم الكهنة الاسبق، قبل قيافا، كان امراً مشهوراً. وبالمقابل، فان انتقاداً للذبائح بهذه الجذرية، قد تكون شددت عليه جماعة يوحنا التي نشأت بعد خراب الهيكل، حين كان زمن الذبائح قد انتهى.

ويبقى الكاتب متحفّظاً حول هذه المسائل: لأن اهتمامه هو في اتجاه آخر. وها هو يبرهن عليه حين ادخل في روايته ملاحظات تفسيرية. لنذكر بعضاً منها:

أ) القربى مع **معجزة قانا**. هناك، في الواقع، بين المشهدين عدة نقاط مشتركة. فالمشهدان يرويان انتقالاً: الاجران **فارغة**؛ الهيكل **أفرغ**. وهناك تشديد على الصلة مع الفصح في الرواية الاولى: **"اليوم الثالث، المجد"**، وفي الرواية الثانية: **"عيد الفصح"**، **"أُقِمْهُ في ثلاثة ايام"** (٢:١٩)، **"ولما قام من بين الاموات"** (٢:٢٢).

ب) **تعليقات** الانجيلي. حين أضفى الكاتب تعليقاته الخاصة على الرواية، فلكي يوّجه قراءتنا: "وتذكّر تلاميذه..." (٢:١٧). والمزمور ٦٩:٩-١٠ الذي أنار الجماعة اليوحنانية الاولى قال: "صرت لاخوتي غريباً ولبني امي اجنبياً، لأن غيرة بيتك أكلتني وتعييرات معيّريك وقعت عليّ".

هكذا فهم يوحنا عزلة يسوع بالنسبة الى تلاميذه (وإلى شعبه بشكل اوسع)، ومصيره المأساوي ايضاً: ذلك ان غيرة يسوع على بيت الله ستذهب به الى الموت. غير ان التفكير الثاني للانجيلي كان يمهّد لموضوع القيامة: "تذكّروا... فآمنوا".

في هذه الرواية حيث يأخذ الهيكل الجديد، المسيح، مكان الهيكل القديم (وقد زال في زمن كتابة الاناجيل)، نعجب كيف ربط المؤلف، بذكاء، الاسفار المقدسة وافعال يسوع والقراءة المجدَّدة للفصح.

انتقال (٢:٢٣-٢٥)

٢٣ ولَمّا كانَ في أُورَشَليمَ مُدَّةَ عيدِ الفِصْح، آمَنَ بِاسمِه كثيرٌ مِنَ النَّاس، لَمّا رَأَوا الآياتِ الَّتي
أَتى بها.
٢٤ غَيرَ أَنَّ يسوعَ لم يَطمَئِنَّ إِلَيهم، لأَنَّه كانَ يَعرِفُهم كُلَّهم
٢٥ ولا يَحتاجُ إِلى مَن يَشهَدُ لَه في شَأنِ الإِنْسان، فقَد كانَ يَعلَمُ ما في الإِنسان.

المشهد التالي يشكّل انتقالاً ذكياً بين مشهدي قانا والهيكل وبين مقطع نيقوديمس. وبوسعنا ان نرى فيه خلاصة لا لبس فيها عن القطيعة الرسمية مع الدين اليهودي، وقد برزت في مشهد قانا وفي حركة طرد الباعة من الهيكل النبوية. وفي الوقت ذاته، يبدو هذا الفشل بمثابة إعداد للّقاء مع شخص يمثل اليهودية: نيقوديمس، الذي بالرغم من ارادته الصالحة، سيبدو غير قادر على اتباع يسوع في متطلباته. وتقع هذه الحالة من "ضعف الايمان" بين النبذ المخطط من قبل اليهودية الرسمية وبين ايمان التلاميذ. ولا يوضح يوحنا طبيعة الآيات التي صنعها يسوع في اورشليم (انظر ايضاً ٤:٤٥).

ثالثا: الكاشف بازاء المسؤول اليهودي (٣:١-٣٦)

أ. نيقوديمس، مسؤول يهودي (٣:١-٢١)

يجب ان يندرج اللقاء بين يسوع ونيقوديمس في سلسلة لقاءات ثلاثة مع الكاشف: نيقوديمس، **المسؤول اليهودي** (٣:١-٢١)، السامرية **"الهرطوقية"** (٤:١-٤٢)؛ الموظف الملكي **الوثني** (٤:٤٦-٥٤).

ملاحظات حول النص

حتى وإن خفي علينا منطق يوحنا، يجب ان نكون منتبهين الى المؤشرات الداخلية للنص والتي تكشف عن معناه:

أ) تختم الرواية بتطويق ذي تعارض: ليل/وضوح
نيقوديمس جاء **ليلاً** (آ ٢)
من يعمل الحق يأتي الى **النور** (آ ٢١)

ب) تنقسم الرواية بشكل واضح الى قسمين: احدهما مع نيقوديمس (آ ١-١٠)، والآخر من دونه (آ ١١-٢١). وهناك "تطويق" يؤيد هذا التقسيم:

نحن نعلم
انك جئت معلماً (آ ٢)
انت معلّم في اسرائيل
وتجهل هذه الاشياء (آ ١٠)

فضلاً عن ان القسم الاول يستخدم ضمائر المفرد: انا-انت، بينما يستخدم القسم الثاني ضمائر الجمع: نحن-انتم، كما لو ان المتحاورين قد تبدّلوا.

ج) في داخل الرواية يجب ملاحظة الاشارات التي وضعها الراوي، وهو يسجّل تقدماً في الفكرة: "الحق الحق أقول لك" (ثلاث مرات في ٣، ٥، ١١).

١. يسوع ونيقوديمس (٣:١-١٠)

٣ ١ **وكانَ في الفرِّيسيِّينَ رَجُلٌ اسمُه نيقوديمُس وكانَ من رُؤَساءِ اليَهود.**
٢ **فجاءَ إلى يَسوعَ ليلاً وقالَ له: "رابِّي، نحنُ نَعلَمُ أَنَّكَ جئتَ من لَدُن الله مُعَلِّماً، فما مِن أَحَدٍ يَستَطيعُ أَن يَأتيَ بتلكَ الآياتِ الَّتي تَأتي بها أَنتَ إلاَّ إذا كانَ اللهُ معَه".**
٣ **فأَجابَهُ يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لَكَ: ما من أَحَد يُمكنُه أَنْ يَرى مَلَكوتَ الله إلاَّ إذا وُلِدَ من عَلُ".**
٤ **قالَ لَهُ نيقوديمُس: "كَيفَ يُمكِنُ الإِنسانَ أَنْ يُولَدَ وهوَ شَيخٌ كَبير؟ أَيَستَطيعُ أَن يَعودَ إِلى بَطنِ أُمِّه ويُولَد؟"**
٥ **أَجابَ يَسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكَ: ما مِن أَحَدٍ يُمكِنَه أَن يَدخُلَ مَلَكوتَ الله إِلاَّ إِذا وُلِدَ منَ الماءِ والرُّوح.**
٦ **فَمَولودُ الجَسد يَكونُ جَسداً ومَولودُ الرُّوحِ يَكونُ روحاً.**
٧ **لا تَعْجَبْ من قَولي لَكَ: يَجبُ عَلَيكم أَن تُولَدوا من عَلُ.**
٨ **فالرِّيحُ تَهُبُّ حَيثُ تَشاء فتَسمَعُ صَوتَها ولكنَّكَ لا تَدْري مِن أَينَ تَأتي وإِلى أَينَ تَذهَب. تلكَ حالَةُ كُلِّ مَولود للرُّوح".**
٩ **أَجابَه نيقوديمُس: "كَيفَ يَكونُ هذا؟"**
١٠ **أَجابَ يسوع: "أَأَنتَ مُعلِّمٌ في إِسرائيل وتَجهَلُ هذِه الأَشْياء؟"**

مقدمة (آ ١-١٢)

كثّف الراوي، في هاتين الآيتين، العناصر الاعلامية: هوية الشخص، صفته كفرّيسي ويهودي معروف، ظروف اللقاء (ليلاً). ومن جهة أخرى، ورد ذكر نيقوديمس

مرتين في الانجيل: في ٧:٥٠ وفي ١٩:٣٩ (وفي كل مرة، هناك تذكير بالليلة الشهيرة: "وهو ذاك الذي جاء قبلاً الى يسوع"). انه يبدو بصفة صديق ليسوع حتى نهاية الانجيل. فلقد كان ولا زال متعاطفاً (هل يجب ان نفسّر خطوته الواردة في ١٩:٣٩ وكأنها اهتداء؟ هذا ما اعتقده بعضهم، وقد فسّروا مساعيه للحصول على جسد يسوع بمثابة انتماء اليه). إلا ان يوحنا، في هذا الفصل، يركّز اهتمامه على رهان اللقاء: فنحن في صدد الايمان بهوية يسوع الحقيقية، في ملئها المسيحاني الكريستولوجي.

والاشارات الطريفة التي تفتتح الفصل، تعرض جيداً الاشخاص مع رهان الحوار. فالليل هو وقت يلفه السر ويسمح للخائف أن يتستّر، ولكنه بالاكثر الوقت المفضّل للتأمل في سرّ الله. لقد كان الربابنة يحبّون خلاله أن يغوصوا في دراسة الاسفار المقدسة... والذي جاء ليلتقي يسوع هو ممثل للشعب اليهودي. وهكذا اتخذت زيارته صفة رسمية، كما لو ان يسوع مدعو الى تحديد موقفه بشكل ادق، داخل الدين اليهودي. فكل المعلومات مكثفة في هاتين الآيتين الاوليين: ومن ثم، تختفي العناصر الطريفة كي تفسح المجال لابراز فحوى الحوار، مع الكشف الذي يسفر عنه.

الحوار الأول: انك نعرف، أم انك نولد (٣ب-٢ب)

يقول نيقوديمس: "نحن نعلم"! انه يبدو بمثابة الناطق باسم السلطات اليهودية. فهو يبدأ بالاعتراف بيسوع مرسَلاً من قبل الله. والآيات التي يصنعها تؤيد في الواقع ان الله معه. وكان ربابنة آخرون قبله قد اعتُرف بهم على هذا الشكل بصفة انبياء حقيقيين. ونيقوديمس يضع يسوع في سلسلة مرسَلي الله في تاريخ الخلاص (وقد يكون رأى فيه النبي الذي بشّر موسى بقدومه في سفر تثنية الاشتراع ١٨:١٨).

الحق، الحق اقول. هذه العبارة، لدى يوحنا، تعني كشفاً احتفالياً. ويلعب جواب يسوع على وتر سوء التفاهم. فحين أجاب يسوع على مستوى يختلف عن مستوى السؤال المطروح، فهو انما زعزع قناعة محاوره، وتظاهر انه فهم كلام نيقوديمس وكأنه سؤال شخصي (على غرار الوجيه الذي كان يريد ان يعرف "ماذا عليه ان يفعل كي يرث الحياة الابدية، لوقا ١٠:١٨). فلقد تمركز نيقوديمس على مستوى المعرفة (معلّم يخاطب معلّماً)؛ بينما اقترح يسوع ولادة جديدة: "كنت تريد ان تعرف، وها انا اقترح عليك ان تولد من جديد". كان نيقوديمس قد ركّز سؤاله على يسوع وعلى هويته. اما يسوع، فقد شاء الآن أن يختفي كي يتوجه، عبر نيقوديمس، الى كل انسان: **"لا أحد**

يستطيع ان يرى الملكوت". وتشدد العبارة (ولدى الازائيين يُقال "الدخول الى الملكوت") على البُعد الوجودي: فالمطلوب هو القيام بخبرة، بلقاء، بمشاركة. وكان بوسع يسوع هنا ان يعطي تلميحاً أولاً الى رسالته الخاصة: أليست رؤية يسوع هي رؤية الآب ("يا فيلبس، من رآني، فقد رأى الآب"، يوحنا ١٤:٩)؟

فيسوع، في الوقت الحاضر، يشدّد على الحاجة الملحة لكل انسان في الانتقال من "المعرفة" الى "الولادة". وان الكلمة الظرفية *باليونانية* anôthen غامضة: فقد تعني "من فوق" او "من جديد" او "منذ البداية". وهذا الاتساع في التعبير، قصده الانجيلي ولا شك. اولاً، لأن هذه الولادة تأتي "من فوق"، أي بمعنى انها عمل الله وحده، وأنها ولادة جديدة، وأنها أيضاً بداية جديدة. اما الازائيون، فيتحدثون عن "صيرورة كالاطفال" (متى ١٨:٣)، وهذا ما يشدّد بالاحرى على النداء الى الاهتداء. وهكذا اختفى التشبه لدى يوحنا: فأنْ "نصبح اطفالاً"، فذلك يعني ان نولد من جديد.

الحوار الثاني (٣-١٠)

يبدو نيقوديمس عاجزاً عن الارتقاء الى مستوى يسوع. وعلى غرار الحوارات الرابينية، نراه يوجه اعتراضين الى يسوع: "كيف يمكن الانسان ان يولد وهو شيخ كبير؟" . ومن ثم: "أيستطيع ان يعود الى بطن امه ويولد؟". ويتعمد يوحنا في إطالة سوء التفاهم (يمكن ان نقارن مع ٤:١٥؛ ٦:٣٤، ٥٢؛ ٨:٥٧؛ ١٤:٨)، كي يمكّن يسوع من توضيح وحيه.

فعلى سؤال نيقوديمس عن "الكيفية"، يجيب يسوع بشكل دقيق واحتفالي (تكرار عبارة "الحق الحق"). وهكذا يُزال غموض الكلمة الظرفية *anôthen*. فمن الله وحده، يستطيع الانسان ان يتلقى القدرة على ان يولد من جديد. يجب ان نولد "من الماء والروح"! واضطرب عدد من المفسرين من ذكر الماء، حتى أنهم جعلوه نتيجة قراءة اسرارية مجددة لانجيل يوحنا (مما سمح بتطبيقها على العماذ المسيحي). ولكن يجب الإقرار بأن ليس هناك مخطوطة واحدة تؤيد هذا التفسير. فالانجيلي كتب انجيله بعد القيامة بمدة طويلة، وكان من الطبيعي جداً ان يكمّل الصيغة: الولادة بالروح تتم عبر وساطة ماء المعموذية. ذلك ان يوحنا، في روايته عن يسوع، يهمه غالباً ان يبيّن بان الالتزامات التي كانت نافذة في زمن الحضور التاريخي ليسوع، ما زالت نافذة لزمن الكنيسة.

ان نولد من الروح: على مدى صفحات الكتاب المقدس، يدعو الله شعبه إلى ان "يتلقى قلباً جديداً" (حزقيال ١١:١٩؛ انظر ايضاً ٣٦:٢٦-٢٧؛ اشعيا ٤٤:٣؛ ارميا ٣١:٣٣). وهذا ما كان بوسع نيقوديمس ان يفهمه، ومن خلاله الجماعة اليهودية برمتها. إلا ان الغالبية الساحقة من الشعب اليهودي –وقد تمثّلت هنا في شخص نيقوديمس– تبدو عاجزة عن قبول هذه الخلقة الجديدة التي يدعوها اليها يسوع.

ويشدد هذا الجزء الثاني من الحوار على "فاعل" هذا التغيير، وعلى مردوداته. فالفاعل الوحيد، العامل بروحه –والكلمة اليونانية ***pneuma*** (روح، ولكن ايضاً: ريح) تكررت اربع مرات في الآيات ٥-٨. ذلك ان عالم الله هنا (وهو لا يُدرك في ينبوعه: "لا يعلم من اين يأتي ولا الى اين يذهب")، هو على طرفي نقيض مع عالم الانسان: "الجسد"، أي الوجود الضعيف، الارضي. ومردوداته وحدها تكون ظاهرة: فكما ان الريح يُسمَع، هكذا تُشاهَد اعمال البشر التي خلقها الروح من جديد (تلك هي كنيسة يوحنا): "تلك حالة كل مولود للروح".

فيسوع الذي يقود هذا الحوار بسلطة، وضع حدًّا للحديث مع الذي جاءَه بصفته معلماً في اسرائيل. وهكذا يُختم القسم الاول من الفصل بملاحظة ساخرة قام بها يسوع: "أنت معلم في اسرائيل وتجهل هذه الاشياء؟" (٣:١٠). فالمعلّم أُعيد الى دراسته! لا شك انه ذهب بعيداً في لقائه مع يسوع، وسيبقى من البداية الى النهاية ذاك المتعاطف مع الفريق المسيحي، وهذا ما ستؤكده تتمة الانجيل؛ ومن المحتمل ان يكون قد اصبح مؤمناً فيما بعد. إلا ان يوحنا، هنا، يركّز روايته على فشل نيقوديمس، ولا يعير اهمية كبرى للمعلومات الطريفة. وهوذا القديس اوغسطينس المتأثر بالرمزية يعلّق: "يأتي نيقوديمس نحو الرب، ولكنه يأتي ليلاً. انه يأتي نحو النور، ولكنه يأتي في الظلمات. في الظلمات يبحث عن النهار (...)، ولكنه بالتالي، انطلاقاً من ظلمات جسده، يتكلم". لقد اصبح نيقوديمس هنا صورة؛ ومن خلاله، تمخّضت المجادلة الليلية والحقيقية بين الدين اليهودي ويسوع عن سوء تفاهم: هو سوء التفاهم ذاته الذي، باستثناء المشاعر العدائية المؤسفة، ما زال يفصل بين المسيحيين واليهود. انه سوء تفاهم حول هوية يسوع. فهو، بالنسبة الى البعض (لنيقوديمس وللعديد من يهود زمانه)، نبي ارسله الله. اما بالنسبة الى الآخرين (للمسيحيين)، فهو كائن لا يستطيع ان **يراه** إلا الذين يولدون من جديد من الماء والروح.

٢. اكتمال الوحي (٣: ١١-٢١)

١١ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكَ: إِنَّنا نتكلَّمُ بما نَعلَم، ونَشهَدُ بِمَا رَأَينا ولكنَّكُم لا تَقبَلونَ شَهادَتَنا.
١٢ فإذا كُنتُم لا تُؤمِنونَ عِندَما أُكَلِّمُكم في أُمورِ الأَرْضِ فكَيفَ تُؤمِنونَ إِذا كلَّمتُكُم في أُمورِ السَّماء؟
١٣ فما مِن أَحَد يَصعَدُ إِلى السَّماء إِلاَّ الَّذي نَزَلَ مِنَ السَّماء وهو ابنُ الإِنسان.
١٤ وكما رَفَعَ مُوسى الحَيَّةَ في البَرِّيَّة فكذلكَ يَجِبُ أَن يُرفَعَ ابنُ الإِنسان
١٥ لِتَكونَ بِه الحَياةُ الأَبديَّةُ لِكُلِّ مَن يُؤمِن.
١٦ فإِنَّ اللهَ أَحبَّ العالَمَ حتَّى إِنَّه جادَ بِابنِه الوَحيد لِكَي لا يَهلِكَ كُلُّ مَن يُؤمِنُ بِه بل تكونَ له الحياةُ الأَبديَّة
١٧ فإِنَّ اللهَ لَم يُرسِلِ ابنَه إِلى العالَم لِيَدينَ العالَم بل لِيُخَلِّصَ به العالَم
١٨ مَن آمَنَ بِه لا يُدان ومَن لم يُؤمِنْ بِه فقَد دِينَ مُنذُ الآن لأَنَّه لم يُؤمِنْ بِاسمِ ابنِ اللهِ الوَحيد.
١٩ وإِنَّما الدَّينونَةُ هي أَنَّ النُّورَ جاءَ إِلى العالَم ففضَّلَ النَّاسُ الظَّلامَ على النُّور لأَنَّ أَعمالَهم كانت سَيِّئَة.
٢٠ فكُلُّ مَن يَعمَلُ السَّيِّئات يُبغِضُ النُّور فلا يُقبِلُ إِلى النُّور لِئَلاَّ تُفضَحَ أَعمالُه. وأَمَّا الَّذي يَعمَلُ للحَقّ فيُقبِلُ إِلى النُّور
٢١ لِتُظهَرَ أَعمالُه وقَد صُنِعَت في الله".

اعتباراً من هذه الآية، راحت الجماعة تأخذ مكان يسوع: فضمير الجمع الذي يهيمن منذئذ، يوحّد بين كلام يسوع وبين جماعته. فالفرد " نيقوديمس" يفسح المجال لحمل الشعب اليهودي (وقد كان لسان حاله)، اقله في الآيات ١١-١٣. ومن ثم، منذ الآية ١٣، يختفي الحوار؛ ولا يبقى سوى الكلام الموحى. وهذا الكلام يتخذ عمقاً اكبر: فمن "امور الارض" (آ ١٢) ننتقل الى "امور السماء". وبوسعنا ان نفصّل هذا الكشف على الوجه التالي:

يسوع هو الكاشف الوحيد (آ ١٣)

والجملة مقتضبة جداً. انها تؤكد بان معرفة الله الاصيلة الوحيدة هي تلك التي تأتي من ذاك الذي نزل من السماء، ابن الانسان. ولكم اشار العهد القديم الى هذا الحلم

بمعرفة الله معرفة مباشرة: "من الذي صعد الى السماء ونزل؟" (امثال ٣٠:٤). ويتساءل كاتب سفر الحكمة: "ما في السموات، من الذي اكتشفه؟" (حكمة ٩:١٦-١٨).

يسوع هو، إذن، هذا الكاشف الذي لم يقوَ نيقوديمس (والشعب اليهودي من خلاله) على اكتشافه (انظر: ١:١٨؛ ٦:٤٦؛ ١٤:٧-٩). وسيصبح يسوع، والمسيحيون من خلاله، عبر هذه المطالَبة، على طرفي نقيض، لا فقط مع يهود زمانهم، ولا حتى مع اولئك الذين هم قريبون منهم من امثال نيقوديمس، وانما مع كل المذاهب الغنوصية التي تدّعي تقديم معرفة لأسرار الله خارجاً عن يسوع.

مضمون كشفه (آ ١٤-١٧)

كان على يسوع، كي يمنح لكلامه مصداقية، ان يجذّره، اولاً، في تاريخ اسرائيل. فالجدّة التي يأتي بها، هي بحاجة الى ان تكون اتماماً للاسفار المقدسة. فالحية **المرفوعة** في البريّة، كما جاء في سفر العدد ٢١:٤-٩، نجّت من الموت العبرانيين غير الامناء. من هذا المقطع السرّي، نتوقف عند السمات التي بوسعها ان تنير الكشف التالي:

أ) الحية كانت قد **رُفعت**، كما **سيُرفع** ابن الانسان على الصليب. هذه المقارنة الاولى تتسم بالحرفية.

ب) الموت الذي كان يهدد الشعب مرتبط مع **عدم ايمانه**. فلقد كان هذا الطقس ينجّي العبرانيين، لا بصورة سحرية، وانما بفضل المعنى الرمزي الذي أُضفي عليه، اعني الايمان بالله. وهذا ما فهمه جيداً مؤلف سفر الحكمة: "فكان الملتفت اليها (الحية) يخلص، لا بذلك الذي كان يراه، بل بك يا مخلص جميع الناس" (١٦:٧). ذلك ان الخلاص، في الواقع، من الله يأتي.

ج) وبشكل اوسع، فان التذكير بقصة الحية النحاسية يقيم الصلة بين مجيء يسوع واحداث الخروج. ذلك ان يسوع هو موسى الجديد، ولكنه اكثر من ذلك، في نظر الانجيلي.

يجب على **ابن الانسان**
ان يُرفع
لتكون به الحياة الابدية
لكل من **يؤمن**

فان الله
احبّ العالم
حتى انه **جاد بابنه الوحيد**
لكي لا يهلك كل من **يؤمن** به
بل تكون له الحياة الابدية

هذه الجملة الاخيرة توجز الكشف: فنحن هنا بازاء "امور السماء" التي تحدثت عنها الآية ١٢. ونلاحظ البنية السامية المقابلة: بوسع تقسيم الآية أن يرينا عناصر الجُمَل التي تتلاقى. "يجب ان يُرفع ابن الانسان": وهكذا فان ظروف موت يسوع تبقى في الظل، وكذلك الفاعلون الحقيقيون. فالانجيلي لا يحتفظ إلا بهذه الضرورة" (يجب) التي تندرج وتتجذر في ارادة الله. وصيغة المجهول في فعل "يُرفَع"، قد تعكس اسلوباً لتجنّب استخدام لفظة "الله". إلا ان ترتيب النص يكشف جيداً الموازاة بين الله الذي يحب وبين الذي يرفع. فمن هذه الجملة التي نجد فيها خلاصة للوحي، تبرز النقاط التالية:

أ) الرفع لدى يوحنا، يتوافق، مع الموت على الصليب (انظر ٨:٢٨؛ ١٢:٣١-٣٤). ما معنى ان يكون الارتفاع على الصليب -وهو "عثار لليهود وحماقة للوثنيين" (١ قورنتس ١:٢٣)- قمة الوحي لدى يوحنا (انظر ١٩:٣١-٣٧)؟

ب) لأن الصليب هو الموقع الذي فيه يتجلى **حب الله** (انظر الاطار حول "الحب في انجيل يوحنا"/القسم الثاني). وتظهر هذه اللفظة هنا للمرة الاولى في انجيل يوحنا. وستُستَخدَم كثيراً في القسم الثاني من الانجيل. "**احب الله فجاد** بابنه". والفعلان هما في صيغة الماضي الحاضر اليونانية —وهي صيغة لا نجدها في غير اليونانية- تشير الى زمن دقيق وواضح من الماضي، والمقصود هنا فعل التجسّد في دقّته التاريخية (وهو يشمل مسيرة يسوع التاريخية التي بلغت ذروتها على الصليب). فبفضل عطاء الله هذا، استطاع يوحنا ان يتكلم عن الحب. انه حب **معلَن** (١ يوحنا ٤:١٠). ذلك ان التجسد هو اعتلان الحب الذي يبلغ ذروته على الصليب.

ج) ليس الصليب ينبوع خلاص عبر وجهه الذبائحي والدموي. ولكونه تعبيراً أقصى عن حب الله، فبوسعه ان يصبح للمؤمنين ينبوع حياة. فما أبعَدَنا عن بعض تصوّرات يصبح الصليب بموجبها مكان غضب الله، ومكان تخلي الله عن ابنه كي يفتدي

خطيئة البشر! اما هنا، فالابن والآب يشتركان في الحب ذاته من اجل العالم. فلسنا بازاء بروميتاوس الذي عاقبه الاله وسمّره على جبال القوقاز، لانه سرق النار وحملها الى البشر! وراحت الجوقة تفسّر اسباب موته الاليم: "انه عدو لزوس، ذاك الذي ناله غضب كل الآلهة، **لانه بالغ في حب البشر**"! اما في انجيل يوحنا، فان حب البشر، يتقاسمه الله وابنه.

د) بالرغم من ان نيقوديمس اختفى بشكل غريب، إلا ان موضوعاً واحداً يوحّد هذا الجزء الثاني من الرواية مع الجزء الاول الذي جرى فيه تدخل نيقوديمس: فنيقوديمس، المتردد، لم يشأ ان يؤمن بان بوسع رجل شيخ ان يولد من جديد. وهنا نرى ان لابن الله الذي على الصليب قدرة على ان يحيي البشر الذين يؤمنون به.

ان نؤمن او لا نؤمن (آ ١٨-٢١). إذا كان حب الله في المسيح من دون حساب، فهو ينتظر جواب الانسان. ذلك ان حضور يسوع يتطلب من كل واحد ان يختار **الآن**: فالدينونة تجري **الآن**. وهذا الطابع الحاسم والمباشر للدينونة، انما هو نتيجة حضور الكاشف: لما كان هو ذاته حاضراً، فلا مناص للانسان من ان يقوم بخيار؛ ومن هذا الخيار يُفتح، منذ الآن، الخلاص او الحكم. ويذكّر التضاد بين الظلمات والنور بنصوص قريبة جداً من جماعة قمران. غير ان يوحنا يتجنب الجانب القدَري الذي يتصف به الاسينيون: ذلك ان حرية كل واحد، هي التي تؤدي الى الفصل، ومن ثم الى الدينونة. وستعود خاتمة القسم الاول من الانجيل (١٢:٤٦-٤٨) الى هذه المواضيع ذاتها، وبعين المفردات، حتى ان عدداً من المفسّرين اعتقدوا ان نص يوحنا ٣:١٦-١٩ ونص يوحنا ١٢:٤٦-٥٠ قد يكونان قراءتين لكرازة واحدة ترجع الى جماعة يوحنا. إلا ان فضل هذه النظرية (ولا يمكن البتّ فيها) هو انها تبين كيف استطاع الانجيلي ان يؤلف انجيله: لقد كانت في متناوله مصادر عديدة، وكان عليه ان يُجري فرزاً. فضلاً عن ان هناك مقاطع أُضيفت ابان طبقات الانشاء المختلفة. ومع ذلك، فان المؤلف الذي أضفى اللمسات الاخيرة على الانجيل، هو المسؤول عن مجمل ما جاء فيه.

ان الحديث مع نيقوديمس والكشف الذي تلاه، يؤلفان قمة في اللاهوت الكريستولوجي (لاهوت المسيح) في انجيل يوحنا. ذلك ان الجماعة اليوحنانية، في مواجهتها لليهودية، أُضطُرّت الى تحديد هوية يسوع، والى الانفصال عن التيارات اليهودية التي كانت قريبة منها (كما كان نيقوديمس)، طالما ان هذه التيارات لم تكن مستعدة للاعتراف بان يسوع هو الكاشف عن الله، وهو الابن الذي به قال الله كلمته الاخيرة للبشر.

ب. شهادة يوحنا المعمذان الأخيرة (٣:٢٢-٣٠)

٢٢ وبَعدَ ذلكَ ذَهَبَ يسوعُ وتلاميذُه إلى أَرضِ اليَهوديَّة، فَأَقامَ فيها معَهم وأَخذَ يُعَمِّد.
٢٣ وكانَ يوحَنَّا أَيضاً يُعَمِّدُ في عَيْنون، بِالقُرْبِ مِن سالِيم لِما فيها مِنَ الماء، وكانَ النَّاسُ يَأتونَ فيَعتَمدون،
٢٤ لأَنَّ يوحَنَّا لَم يَكُنْ وقتَئذٍ قد أُلقِيَ في السِّجن.

٢٥ وقامَ جِدالٌ بَينَ تَلاميذ يوحَنَّا وأَحَد اليَهود في شَأن الطَّهارَة،
٢٦ فجاؤوا إِلى يوحَنَّا وقالوا له: "رابِّي، ذاكَ الَّذي كانَ معَكَ في عِبْرِ الأُردُنّ، ذاك الَّذي شَهِدتَ له، ها إِنَّه يُعَمِّدُ فيَذهَبُ إِليه جَميعُ النَّاس"
٢٧ أَجابَ يوحَنَّا: "لَيسَ لأَحد أَن يَأخُذَ شَيئاً لم يُعطَه مِنَ السَّماء.
٢٨ أَنتُم بِأَنفُسكم تَشهَدونَ لِيَ بِأَنِّي قُلتُ إِنِّي لَستُ المَسيح، بل مُرسَلٌ قُدَّامَه.
٢٩ مَن كانَت لَه العَروس فهوَ العَريس. وأَمَّا صَديقُ العَريس الَّذي يَقِفُ يَستَمِعُ إِلَيه فإِنَّه يَفرَحُ أَشدَّ الفَرَحِ لِصَوتِ العَريس. فهُوذا فَرَحي قد تَمَّ.
٣٠ لا بُدَّ له مِن أَن يَكبُر. ولا بُدَّ لي مِن أَن أَصغُر.

طُرحت العلاقات بين يوحنا المعمذان ويسوع في الفصل الاول، بدرجة أولى. وها هو الانجيلي يعطي الكلام من جديد، وللمرة الاخيرة، الى يوحنا المعمذان (انظر التلميحات في ٣:٥، ٣٦؛ ١٠:٤٠-٤٢). ويبدأ المقطع بهذه العبارة: "وبعد ذلك". وهذه الصيغة هي في الغالب، لدى يوحنا، اشارة الى انتقال مصطنع.

وهوذا التلاميذ يظهرون من جديد —وكان ذكرهم بمعية يسوع يرقى الى رواية قانا (٢:١٢). وكان الحديث مع نيقوديمس قد جرى، وجهاً لوجه، من دون شاهد. واية كانت المصادر التي كانت في حوزة الانجيلي، يجب الاعتراف دوماً بنشاطه الخلاّق بصفة كاتب ولاهوتي.

معموذية يسوع (آ ٢٢). "كان يسوع يعمّذ": انه تأكيد مدهش، وسيُعاد ذكره (مع تصحيح) في ٤:١-٢ (هم تلاميذه الذين كانوا يعمّذون). اما في الاناجيل الازائية، فلم يعطِ يسوع امراً لتلاميذه بان يعمذوا إلا بعد قيامته. ومع ذلك، فان لتأكيد يوحنا

حول نشاط يسوع العماذي حظًّا كبيراً من الصحة. فيسوع، قبل ان يصبح نبيًّا جوّالاً، عمّذ هو ايضاً. ولا شيء يوحي بانه مارس هذه الرسالة في المكان الذي كان يوحنا يعمذ فيه؛ كما يُستبعَد انه كان احد تلاميذه. غير ان هذا العماذ يفتح نافذة على امكانية صلات كانت ليسوع مع الاوساط المعمذانية. وسرعان ما تخلى عن هذا العمل ليتفرغ لرسالته الخاصة.

الجدال (آ ٢٥). ها نحن ازاء جدال بين تلاميذ يوحنا وبين يهودي بشأن الطهارة. قد نفكّر بخلاف بشأن قيمة معموذية يوحنا، مقارنة مع طقوس التطهير لدى اليهود؛ او بشأن العلاقة بين معموذية يسوع ومعموذية يوحنا. وتميل تتمة النص إلى هذا الاتجاه.

شهادة يوحنا (آ ٢٦-٣٠). كان يسوع يعمّذ "في ارض اليهودية" (آ ٢٢). هذه الاشارة تنقصها الدقة؛ وقد يكون المكان في وادي الاردن، بعيداً الى حدّ ما عن المكان الذي كان يوحنا يعمذ فيه: عَينون "لما فيها من الماء" (ولفظة "عَينون" هي صيغة الجمع لكلمة ارامية تعني "عيون" او ينابيع). فيوحنا كان يعمّذ في عبر الاردن؛ ولا نعرف المكان بالتحديد، وهو ليس بيت عنيا كما جاء في ١:٢٨. وهكذا فان كلام يوحنا بشأن يسوع يدمج بين ١:٢٠ (لست المسيح) و١:٦ ("ظهر رجل مرسَل من لدن الله").

العريس والصديق (آ ٢٩-٣٠). في تقليد الزواجات اليهودية، "**الشوشبين**" (الاشبين)، صديق العريس، هو الذي يُعدّ الزواج، ويحرص على سير العيد، يوم الزواج (يتسمع الضجة، أي "صوت" الموكب الذي يقود العريس نحو خطيبته). وحينئذ يتوقف دوره، كما توقف دور يوحنا المعمذان. هذا التشبيه ذاته نجده في الاناجيل الازائية (مرقس ٢:١٨-١٩) بصدد التضاد بين زمن الصوم (بالنسبة الى تلاميذ يوحنا) وزمن الفرح (زمن يسوع). ولقد احتفظت الليتورجيا بذكرى هذه العلاقة بين يوحنا ويسوع. فيُحتَفل بعيد يوحنا في ٢٤ حزيران، اقصر يوم من المدار الصيفي، حين تبدأ الايام **تتناقص**؛ بينما حُدّد ميلاد يسوع في ٢٥ كانون الاول، اقصر يوم من المدار الشتوي، حين تبدأ الايام **تطول**: "لا بد له من ان يكبر، ولا بد لي من ان اصغر". وأجاد القديس اوغسطينس في تلخيص مكانة يوحنا مقارنة مع يسوع:

أصغي: هو الذي يتكلم (٣:٢٩)

لقد استنرت: هو النور (١:٦-٩)

انا الأذن: هو الكلمة (٣:٢٩)

ج. خطاب هو خلاصة (٣:٣١-٣٦)

٣١ إنَّ الَّذي يأتي منَ عَلُ هو فَوقَ كُلِّ شَيء والَّذي مِنَ الأَرض هُوَ أَرضِيّ يتكلَّمُ بِكلامِ أَهلِ
الأَرض. إنَّ الَّذي يأتي منَ السَّماء
٣٢ يَشهَدُ بما رأى وسَمِع وما من أَحَد يَقبَلُ شَهادَتَه.
٣٣ مَن قَبِلَ شَهادَتَه أَثبَتَ أَنَّ اللهَ حَقّ.
٣٤ فإنَّ الَّذي أَرسَلَه الله يتَكَلَّمُ بِكَلامِ الله. ذلكَ بِأَنَّ اللهَ يَهَبُ الرُّوحَ بِغيرِ حِساب.
٣٥ إنَّ الآبَ يُحِبُّ الابن فجَعَلَ كُلَّ شيء في يَدِه.
٣٦ مَن آمَنَ بِالابن فلهُ الحَياةُ الأَبديَّة ومَنْ لم يُؤمِنْ بالابن لا يَرَ الحَياة بل يَحِلُّ علَيه غَضَبُ
الله".

يرى بعض الكتّاب في هذه الآيات تتمة مباشرة للآية ١٢. وفي هذه الحالة تكون الآيات ١٣-٢١ بمثابة تتمة للآية ٣٦. إلا ان المفسرين اليوم يرفضون اجراء تغييرات في الترتيب الحالي للانجيل. وبوسعنا ان نشير الى القربى بين هذه الآيات والآيات ١٣-٢١ (وقد قوطعت بمشهد يوحنا ويسوع). إذ ان هذه الآيات تُبرِّز التأكيد المتناغم في الآية ١٣، مؤكدة بان بوسع ابن الانسان وحده ان يكشف عن سر الله.

رابعا: يسوع والسامرية والسامريون (٤:١-٤٢)

يحتل مشهد السامريين مكاناً كبيراً في الرواية. فلقد كانت الاقامة في اورشليم مليئة بالاخفاقات: تطهير الهيكل، عدم ايمان الناس، اللقاء مع نيقوديمس من دون نتيجة، تحفظات الفريسيين (٤:١). والتلميح الى الاسباب التي حملت يسوع على مغادرة اليهودية الى الجليل، هو في غاية الغموض. كما ان القوسين اللذين فَتَحْتهما الآية ٢ للقول بان "يسوع لم يكن يعمّذ..." يتعارض مع ما جاء في ٣:٢٢ حيث كان التأكيد على نشاط يسوع العماذي. وهكذا يمكننا الاعتقاد بان هذه الآية قد أُضيفت في زمن لم يعودوا فيه يذكرون الفترة التي كان يعمذ فيها يسوع (والازائيون لا يتحدثون عن ذلك)، ولعلّ السبب هو تجنب المقارنة مع يوحنا المعمذان!

ويمكننا ان نجد هنا نهاية نشاط يسوع العماذي؛ فهو منذ الآن يتفرغ كلياً لرسالته بصفة نبي جوّال موهوب: وستكون الاقوال والآيات، من الآن فصاعداً، طريقته في الكشف.

ويتوسع الانجيلي طويلاً في هذا المقطع الذي يتمحور على السامرة. ويمكننا الاعتقاد بان ليوحنا اهتماماً خاصاً بالسامريين الذي كانوا يؤلّفون ولا شك فريقاً هاماً من جماعته. وفي اللحظة التي يروي فيها يوحنا هذا المقطع بشأن السامرة -حين كانت كرازة يسوع لدى اليهود قد لاقت فشلاً واضحاً- يطيب ليوحنا ان يتوقف طويلاً عند هذا النجاح الاول الذي لم يعترِه خلط، بصدد الكشف الذي قام به يسوع.

ينفرد يوحنا في نقل هذه القصة. كان متى ١٠:٥ قد حذّر من الدخول في مدن السامريين. ولوقا ايضاً منح مكاناً للسامريين (١٠:٢٩-٣٧؛ ١٧:١١-١٩)، ولكنه يختلف كثيراً عن يوحنا. فاية مصداقية تاريخية تعطى لهذه الرواية؟ من المؤكد ان الانجيلي يعرف جيداً الجغرافية، كما يعرف عادات السامريين ومعتقداتهم. إلا ان القصة كانت فرصة لخدمة تعليم محكم البناء، لذا لا ينبغي أن نرى فيها تحقيقاً مباشراً من موقع الحدث. وينقسم هذا المقطع الى ثلاثة اجزاء:

أ. يسوع والسامرية (آ ١-٢٦)
ب. يسوع والتلاميذ (آ ٢٧-٣٨)
ج. يسوع والسامريون (آ ٣٩-٤٢)

أ. يسوع والسامرية (٤:١-٢٦)

اضاءات على النص

بعد المقدمة (آ ١-٦)، نرى المشهد بين يسوع والسامرية يمتد على ثلاث مراحل:

١. حول **البئر** (آ ٧-١٥)

أعطيني لأشرب (آ ٧)

أعطني من هذا الماء (آ ١٥)

لكي لا أعود الى **الاستقاء**

٢. حول **الزوج** (آ ١٦-١٩)

٣. حول **العبادة** (آ ٢٠-٢٦)

مقدمة

٤ ١ **ولَمَّا عَلِمَ يسوعُ أَنَّ الفِرِّيسِيِّينَ سَمِعوا أَنَّه اتَّخَذَ مِنَ التَّلاميذ وعمَّدَ أَكثَرَ مِمَّا اتَّخَذَ يوحَنَّا وعَمَّدَ**

٢ **(مَعَ أَنَّ يسوعَ نَفسَه لم يكُنْ يُعمِّد بل تَلاميذُه)،**

٣ **تَركَ اليَهوديَّة ورجَعَ إلى الجَليل.**

٤ **وكانَ علَيه أَن يَمُرَّ بالسَّامِرَة.**

٥ **فوَصَلَ إلى مدينةٍ في السَّامِرَة يُقالُ لَها سيخارَة، بالقُرْبِ مِنَ الأَرضِ الَّتي أَعْطاها يَعقوبُ لابنه يُوسُف،**

٦ **وفيها بئرُ يَعقوب. وكانَ يسوعُ قد تَعِبَ مِنَ المَسير، فَجَلَسَ دونَ تَكَلُّفٍ على حافَةِ البِئر. وكانَتِ الساعةُ تُقارِبُ الظُّهر.**

يقدم الراوي، بشكل ذكي جداً، اغلب عناصر الرواية. وتشير الملاحظة "**كان عليه** ان يمر بالسامرة" الى ان هناك ضرورة سرّية: وكان الطريق (وهو اكثر صعوبة بسبب الحرارة) عبر وادي الاردن ممكناً، علماً بان المرور بالسامرة النجسة لم يكن محبَّذاً بالنسبة الى اليهود الذين يهمهم ان يحافظوا على الطهارة الطقسية. ومثل هذا التوضيح يفسح المجال للتفكير بان ليسوع هدفاً دقيقاً وهاماً. فمن جهة، نجدنا بازاء ضرورة، ومن جهة اخرى، بازاء صدفة (لم تكن النساء عادة يستقين الماء في وقت الظهيرة، والحرارة في ذروتها). وها نحن بازاء شخصين، كل شيء يفصلهما عن بعضهما (الأصل الجغرافي، الجنس، الدين)، ولكنهما سيقومان بلقاء حاسم سيسفر عن تغيير في حياة السامرية، وعن كشف يقوم به يسوع. اما عن يسوع، المسافر، فتوضح المقدمة بانه كان قد تعب من السير، مما يشير الى سمة من انسانيته.

والبئر، في الحضارات السامية، هي مكان رمزي. ففي محيط موحش في الغالب، متسم بالقحل والجو الصحراوي، تصبح البئر مكان الحياة؛ كما انها المكان المميّز للّقاءات العاطفية (انظر تكوين ٢٤؛ تكوين ٢٩؛ خروج ٢:١٥-٢٢). اما الذين لهم الفة مع الكتاب المقدس، فيرون فيها ايضاً صلة مع الخروج وصلة مع الشريعة بنوع خاص. هناك تفسير يهودي يتحدث عن إقامة العبرانيين في الصحراء بهذه العبارات: ان الهدف من الاربعين سنة هو "ان يجعلهم يأكلون المن ويشربون من ماء البئر **كي تصبح الشريعة مهضومة في جسدهم**". ويورد سفر العدد (٢١:١٧) نشيد البئر: "أصعدي ماءَك يا بئر".

وهناك تفسير من جماعة قمران لهذا المقطع يقول: "**البئر هي الشريعة**". وان كثرة المفردات في الرواية، من اصول كلمة "اعطى، عطاء" توجّه هي الاخرى القارئ اليهودي نحو الشريعة، وهي **عطية الله** بامتياز، في نظر الربابنة. وهكذا، من خلال مشاهد البئر في الكتاب المقدس، وعبر الرمزية المرتبطة بهذه الاماكن، يصبح القارئ على أهبة ليسمع اكثر مما يستطيع قارئ عصري ان يجده. وحين تصل المرأة، يكون كل شيء معدًّا لمشهد هو في الوقت ذاته مليء بالالوان والرومانسية، ومحمَّل بالكشف.

١. حول اعطاء الحي (٤:٧-١٥)

٧ **فجاءَت امرَأَةٌ منَ السَّامرَة تَستَقي. فقالَ لَها يسوع: "اسْقيني".**
٨ **وكانَ التَّلاميذُ قَد مَضوا إِلى المَدينَة ليَشتَروا طَعاماً.**
٩ **فقالَت له المرأَةُ السَّامريَّة: "كَيفَ تَسأَلُني أَن أَسقيَكَ وأَنتَ يَهوديٌّ وأنا امرَأَةٌ سامريَّة؟" لأَنَّ اليَهودَ لا يُخالطونَ السامريِّين.**
١٠ **أَجابَها يسوع: "لَو كُنتِ تَعرِفينَ عَطاءَ الله ومَن هوَ الَّذي يقولُ لَكِ: اسقيني، لَسَأَلته أَنت فأَعطاك ماءً حَيّاً".**
١١ **قالَت لَه المَرأَة: "يا ربّ، لا دَلْوَ عندَكَ، والبئرُ عَميقة، فَمن أَينَ لَكَ الماءُ الحَيّ؟**
١٢ **هل أَنتَ أَعظَمُ من أَبينا يعقوبَ الَّذي أَعْطانا البِئْرَ، وشرِبَ منها هو و بَنوهُ وماشيَتُه؟"**
١٣ **أَجابَها يسوع: "كُلُّ مَن يَشرَبُ من هذا الماء يَعطَشُ ثانيَةً**
١٤ **وأَمَّا الَّذي يَشرَبُ منَ الماء الَّذي أُعطيه أَنا إِيَّاه فلَن يَعطَشَ أَبداً بلِ الماءُ الَّذي أُعطيه إِيَّاهُ يصيرُ فيه عَينَ ماء يَتفَجَّرُ حَياةً أَبديَّة".**
١٥ **قالَت له المَرأَة: "يا ربّ، أَعطِني هذا الماء، لِكَي لا أَعطَشَ فأَعودَ إِلى الاستِقاءِ من هُنا".**

يجري الحوار بين يسوع والمرأة على مرحلتين:

أ. من الطلب الى العطية (آ ٧-١٠)

يكشف طلب يسوع عن حاجته: متعب من الطريق، وقد جلس (آ ٦)، عطشان، ويطلب ماء. فهو يكشف عن نقص (يعكس ضعفاً وانسانية) لن يدور عنه الحديث فيما بعد البتة. هذا الطلب، لم تستجب له المرأة. وبحسب الترجمة المعتمدة، قد يكون لرفض المرأة سببان: إما "لأن اليهود لا يأكلون في الصحون عينها التي يأكل فيها

السامريون"، وإما "لأن اليهود لا يشاؤون ان تكون لهم اية شركة مع السامريين". ففي الحالة الاولى، يُحتمل ان رفضها هو بدافع الاحترام ليسوع (كي لا يتنجّس)؛ وفي الحالة الثانية، قد نجدنا بازاء تعصّب او سخرية. ومما نعرفه عن تاريخ السامريين وعن علاقاتهم باليهود، سنميل الى تبني النظرية الثانية.

المهم هو ان رفض المرأة السامرية هو عنصر اساسي في القصة، إذ سيمكّن يسوع العطشان من ان يبقى عطشان حتى نهاية الرواية، وفي الوقت ذاته، يتخذ المبادرة بشكل حاسم. اما جواب يسوع، في مفرداته وفي بنائه الانشائي، فهو محمَّل مسبقاً بالتعليم:

لو كنتِ **أنتِ** تعرفين **عطيةَ الله**
ومَن هو الذي يقول لك
اعطيني لأشرب
لكنت **انتِ** سألته **هو**
ولكانَ **هو** **أعطاكِ** ماءً حياً

هذه الجملة، تُدخل المرأة، بشكل لغزي، في عالم غريب: فهي تفسح المجال للتفكير بأن هناك صلة وثيقة بين **عطية الله** وبين **الذي يتكلم**، مَن بوسعه ان يعطي الماء الحي. وهكذا يتحول الانتباه من البئر المادية باتجاه هذا الرجل، هذا اليهودي المتعَب والعطشان، الذي يبدو، بالرغم من حاجته، قادراً على العطاء. ولم تعد للعطية المقترحة اية صلة مع ماء البئر: انه ماء حي. وهكذا يبقى يسوع على حافة البئر دون حراك، فيصبح، في شخصه، ينبوعاً جديداً يفوق البئر الاولى في السمّو والبهاء. انه يُدرج في الحوار بُعداً سرّياً: فمن البئر المادية التي كان قد طلب الماء، هوذا يحوّل الانتباه الى ذاته، بصفته عطية الله، القادر ان يعطي ماءً حيّاً.

ب. النبع الداخلي (آ ١١-١٥)

لقد تضعضعت المرأة وقبلت ان يقودها هذا الرجل؛ وتغيرت نظرتها اليه، كما يَشهد بذلك الاختلاف في المناداة. فلقد كان اولاً "يهودياً" (آ ٩)؛ وها هو الآن "رب" (آ ١١)، كائن سرّي ("من اين لك الماء الحي؟")، قد يكون اعظم من يعقوب (آ ١٢).

السامريون

سقطت مملكة الشمال (وعاصمتها السامرة) عام ٧٢١ ق.م.، ومن مزيج من سكان ما بين النهرين ومن اليهود الذين بقوا، ولد الشعب السامري. لقد كانت العلاقات بين اليهود والسامريين تسوء تدريجياً، ولا سيما بعد العودة من الجلاء. وكان مقترح السامريين لبناء هيكل اورشليم قد لقي رفضاً من قبل اليهود الذين يعتبرونهم شعباً نصف وثني (٢ ملوك ١٧:٢٤-٤١). وفي غضون القرن الرابع ق.م.، اخذ السامريون يبنون لهم هيكلاً على جبل جرزيم. وهكذا كُرّس الانشقاق.

وخلال القرون التي سبقت مجيء يسوع، تفاقمت العلاقات. ففي عام ١٨٠ كتب يشوع بن سيراخ: "امّتان مَقتَتْهما نفسي، والثالثة ليست بأمّة: الساكنون في جبل سعير، الفلسطينيون، والشعب الاحمق الساكن في اورشليم" (٥٠:٢٥-٢٦). وتصاعد التوتر كثيراً حين اجتاح الملك يوحنا هرقانس (١٣٥-١٠٤ ق.م.) شكيم وهدم هيكل جبل جرزيم (عام ١٢٩). وفي زمن يسوع، كانت المناوشات متواترة، وبلغت احياناً الى سفك الدم. وفي عام ٦ قبل يسوع، نثر السامريون حطام عظام في هيكل اورشليم، بضعة ايام قبل عيد الفصح، مما جعل الهيكل مدنّساً. وكان العداء قد بلغ بالعديد من اليهود الى اعتبار السامريين اشبه بوثنيين. لذا فان ملاحظة يوحنا الانجيلي بشأن غياب العلاقات بين اليهود والسامريين (٤:٩) تُضفي على لقاء يسوع مع السامرية طابعاً مثيراً لم يخفَ على التلاميذ (٤:٢٧).

وكما كان يسوع قد فعل مع نيقوديمس، نراه هنا يُدرِج سوء تفاهم حول هذا الماء. ذلك ان خطاب يسوع الذي تجاوز المرأة والزمن الحاضر والوضع الحالي، هو خطاب شامل (**كل من** يشرب من هذا الماء...)، مفتوح على المستقبل (الماء الذي **سأُعطيه** اياه)، ومفصول عن هذا المكان الخاص: "يصير **فيه** عَين ماء يتفجر حياة ابدية".

وكان على المرأة ان تقطع طريقاً طويلاً. فلقد كانت في موقع مناسب، متجذّرة في تقليدها الديني ("بئر يعقوب")، يلفّها الحذر من هذا الرجل اليهودي... وها هي تقوم بخبرة تقلب حياتها في العمق. وإذا كان جوابها شبيهاً بسوء التفاهم الذي غالباً ما يستخدمه

يوحنا، ولكنه ايضاً جواب يخفي معرفة جديدة لهذا الذي هو هنا ليغمر اشواقها الاكثر سرّية، ويتجاوز كل توقعاتها. فقبل ان نُرَوْحِن هذا اللقاء بين الرب والسامرية، يجب علينا ان نضع هذه اللوحة في سياقها الثقافي: رجل وامرأة على حافة البئر. ومثل هذا الوضع معروف في العالم البيبلي، حيث تنسَج روابط ودّية حول المكان الذي يتاح فيه للرجل ان يلتقي المرأة بشكل عفوي. وفي سفر نشيد الاناشيد، لا يتردد النشيد من تشبيه المرأة بالبئر (٤:١٢-١٥): "اختي العروس، جنّة مُقفَلة وينبوع مختوم. قنواتك فردوس رمّان (...) ينبوع جنّات **وبئر مياه حية**، وانهار من لبنان". وسفر الامثال يتكلم ايضاً عن المرأة بهذه العبارة: "إشرب ماءً في جُبّك ومعينا مما في بئرك" (٥:١٥).

وهكذا يصبح خطاب يسوع صالحاً لقراءات عديدة: فبوسعنا ان نقرأه بصفته بشرى خصوبة لهذه المرأة: "الماء الذي اعطيه يصير عين ماء يتفجر حياة ابدية". وتتلقى المرأة هذا العرض، وها هي تطلب بالفعل: "اعطني من هذا الماء". لقد استشف الراوي ذاته هذا الغموض حين اضاف هذا التعليق: "وتعجب التلاميذ من انه يكلّم امرأة" (آ ٢٧).

٢. المرأة وازواجها (٤:١٦-١٩)

١٦ **قالَ لَها: "اذهَبي فَادْعي زَوجَك، وارجعي إلى ههُنا".**
١٧ **أَجابَت المَرأَة: "لَيسَ لي زَوج". فقالَ لَها يسوع: "أَصَبت إذ قُلت: لَيسَ لي زَوج.**
١٨ **فَقَد كَانَ لَكِ خَمسَةُ أَزْواج، والَّذي عِندَكِ الآنَ لَيسَ بِزَوجِكِ، لَقَد صَدَقتِ في ذلكَ".**
١٩ **قَالَتِ المَرأَة: "يا ربّ، أَرى أَنَّكَ نَبِيّ.**

موضوع الرجل/المرأة، على خلفية القسم الاول من الحوار برمته، يصبح بيّناً: "اذهبي فادعي زوجك". ويجد المفسرون حرجاً في تبرير هذا المقطع: لماذا طلب يسوع اليها ان تذهب وتنادي زوجها؟ ما هو المبرّر من إدراج هذا الموضوع الجديد. هناك تفسيران، من بين تفسيرات اخرى، يبدوان لي ممكنين:

أ) كان المقطع الاول يتحدث عن البئر، وهي **صورة الشريعة** في الادب اليهودي. وهذه القراءة تَدعمها المفردات الحاضرة دوماً بشأن "العطية": أليست الشريعة هي العطية الكبرى؟ والشريعة تستدعي الانبياء. ذلك ان الشريعة تعلن العهد في مجمله وفي متطلباته الشاملة. والنبي يشجب الانتهاكات المنفردة ضد الشريعة. فالشريعة تتكلم بشكل

عام: "لا تسرق"؛ اما النبي، فيتكلم بشكل خاص: "لقد سرقتَ". وهذا بالضبط ما يجري هنا. فيسوع، بالقرب من البئر، كشف عن انه هو الذي يحيي —وتلك مهمة الشريعة (تثنية الاشتراع ٣٠:١٥). وهنا، ومن دون أن يعطي درساً في الاخلاق، يكشف عما هو خفي: ذلك ان هذه المرأة هي في حالة قطيعة مع الشريعة. وكان الربابنة ومفسرو الشريعة، قد بدأوا بوضع تحفّظات بعد الزواج الثالث. وفهمت المرأة ذلك حتى انها استخلصت النتيجة: "أرى انك **نبي**". يُحتَمَل ان يرمز الازواج الخمسة الى آلهة السامريين الخمسة (٢ ملوك ١٧:٢٩-٤١). وفي هذه الحالة، يكون قد احتُرم منطق الاحداث: فبعد الكشف عن الشريعة الجديدة الباطنية، أخذ يسوع ينتقل الى فضح خطيئة الشعب السامري.

ب) ويستند التفسير الثاني الى القوة الانتروبولوجية للرواية: رجل وامراة حول بئر. والمرأة، بعد ان بدت متباهية ومثيرة، أخذت ترى تدريجياً، في يسوع، شخصاً يتجاوز ازواجها الخمسة السابقين. والرقم "٥" يهدف الى التشديد على عدم استقرار المرأة واحباطها، وهي تبحث عبثاً عن رجل يجعلها تحيا بصدق. ففيما كانت تنتقل من رجل الى اخر، توقفت في ضياعها حين لقيت "بعلها" (سيدها). ويسوع، بكلامه، جعلها تكتشف وجودها بشكل يختلف ويتجاوز جمالها الزائل، وتدرك ان كرامتها بصفتها امرأة تفوق قدرتها على الإغراء. ويندمج التفسيران جيداً: ذلك ان من عادة الكتاب المقدس أن يقارن بين العلاقات البشرية والعلاقات مع الله.

٣. يسوع والمرأة والعبادة (٤:٢٠-٢٦)

٢٠ تَعَبَّدَ آباؤُنا في هذا الجَبَل، وأَنتُم تَقولونَ إِنَّ المَكانَ الَّذي فيه يَجِبُ التَّعَبُّد هو في أُورَشَليم".

٢١ قالَ لَها يسوع: "صَدِّقيني أَيَّتُها المَرأَة تَأتي ساعةٌ فيها تَعبُدونَ الآب لا في هذا الجَبَل ولا في أُورَشَليم.

٢٢ أَنتُم تَعبُدونَ ما لا تَعلَمون ونَحنُ نَعبُدُ ما نَعلَم لأَنَّ الخَلاصَ يَأتي مِنَ اليَهود

٢٣ ولكن تَأتي ساعةٌ –وقد حَضَرت الآن– فيها العِبادُ الصادِقون يَعبُدونَ الآبَ بِالرُّوحِ والحَقّ فمِثْلَ أُولئكَ العِباد يُريدُ الآب.

٢٤ إِنَّ اللهَ رُوح فعَلَى العِبَاد أَن يَعبُدوهُ بالرُّوحِ والحَقّ".

٢٥ قالَت لَه المرأة: "إِنِّي أَعلَمُ أَنَّ المَسيحَ آتٍ، وهو الَّذي يُقالُ لَه المسيح، وإِذا أَتى، أَخبَرَنا بِكُلِّ شَيء".

٢٦ قالَ لَها يسوع: "أَنا هو، أَنا الَّذي يُكَلِّمُك".

ندخل هنا في الزمن الثالث للكشف الذي قام به يسوع. فلقد كشف عن كونه **عطاء الله**، هو الذي على يده تُعرض شريعة جديدة. وهذه الشريعة ليست خارجة عن الانسان: انما تكشف عن **حقيقته الداخلية**. وها هي المرأة تريد ان تذهب الى ابعد في مسيرتها الداخلية: فما دام يسوع قد كشف لها انه يفوق يعقوب أباه، ذاك الذي يعترف السامريون انه احد آبائهم في الايمان، فماذا من ديانته؟ وهكذا تسجّل الازمنة الثلاثة من اللقاء بالسامرية تدرّجاً في المأساة، يحمل معه علاقة جديدة مع الشريعة ومع الذات ومع الديانة. والخيط المشترك الذي يخترق هذه المراحل هو حالة الاستبطان. وهكذا استعيض عن النبع **الخارجي** بنبع **داخلي** في اعماق كل واحد، يكشف عن حقيقة كل مؤمن **الداخلية** ليسفر عن عبادة **داخلية**.

الساعة (آ ٢٠-٢٤)

ويُعرَض كشف يسوع بشكل احتفالي، عبر الاشارة المضاعفة الى الساعة الآتية (آ ٢١ و٢٣)، وهي تُؤطر تذكيراً تاريخياً بالعلاقات بين اليهود والسامريين.

تأتي ساعة

لا في هذا الجبل ولا في اورشليم

تعبدون فيها الآب

تأتي ساعة

فيها **العباد** الصادقون يعبدون الآب

بالروح والحق

ان التذكير بالعلاقات بين اليهود والسامريين وباولوية اليهود (آ ٢٢) قطع جملة مبنية حصراً بشكل مواز. ومن المحتمل ان هذه الجملة ارادت أن توضح ما يتعلق بتاريخ العلاقات المضطرب بين اليهود والسامريين، وتؤكد على ان الامانة يجب البحث عنها، لا في التقليد السامري (حتى بعد اهتداء كثير من السامريين)، بل في التقليد اليهودي الذي يجد يسوع ذاته فيه (ومعه كاتب الانجيل): "نحن نعبد".

كان لا بد ان يتم التذكير بهذه الحقيقة؛ إلا ان هذه الحقيقة تجاوزتها ساعة أتت لتقلب النظام القديم. ذلك ان العباد الحقيقيين لن يوجدوا، لا في اورشليم ولا في جرزيم السامريين؛ وانما هم اولئك الذين يعبدون **بالروح والحق**. وهذه الساعة الآتية، بالنسبة الى

يسوع، سبقت ان أتت بالنسبة الى الراوي الذي يشدد عليها: وهي **الآن**. لنذكّر بالخيط المنطقي: الشريعة الداخلية (آ ٧-١٥) كشفت عن الحقيقة الداخلية (آ ١٦-١٩) واسفرت عن عبادة داخلية (آ ٢٠-٢٤). وهذه العبادة الروحية ناتجة عن طبيعة الله بالذات (الله روح). ما هو معنى هذه الصيغة؟

ان العبادة بالروح والحق هي العبادة التي يؤديها للآب كل مؤمن يسكنه الروح. وهي عبادة داخلية، لا لانها متمركزة في الجزء الاكثر عمقاً من كل واحد، وانما لانها فعل الروح: انه السجود **الحقيقي** الذي يحرّكه فينا الروح القدس -وهو **بالحقيقة** (بمعنى الكشف)- سجود ينبع من حضوره وديمومته فينا. فالساعة الآتية هي ساعة الروح. وفي زمن السامرية التاريخي، كان يجب ان تأتي؛ اما في زمن الانجيلي، فها هي الآن هنا.

ان ولادة عبادة روحية متأصلة في العمق كهذه، تستند على كشف لسر الله: "الله روح" (آ ٢٤). ومثل هذا التأكيد يضع مسافة كبيرة ازاء كل التصوّرات والمعابد والصور. ذلك ان الله هو فوق لغة الانسان بالذات. انه على النقيض مما هو "جسدي" (بمعنى اللحم). وفي مثل هذا الوحي، تصبح الاماكن والارض ذاتها نسبية. ومنذئذ لم يعد الله مرتبطاً بارض، اية كانت قداستها، وانما يسكن في قلب كل انسان جعل الروح فيه مسكنه.

الكشف (آ ٢٥-٢٦)

لقد ذهبت المرأة الى اقصى خبرتها الروحية. انها تبعت يسوع حين اعلن لها عن عطية الروح، وحين كشف لها عن حقيقتها الداخلية، كما حين وضّح علاقتها بالديانة. وحتى ذلك الحين، كان يسوع كاشفاً لزمن جديد. ولم يبقَ سوى اجتياز الخطوة الاخيرة من هذا الغوص في عمق عالم الوحي. وبوسعنا أن نصوغ كلام المرأة الاخير على النحو التالي: "فانت الذي كشفت لي كل ما فعلت، ألا تكون المسيح المزمع ان يكشف لنا عن كل هذه الاشياء؟" وهوذا يسوع يكشف عن ذاته بشكل لن يفعله ابداً في انجيل يوحنا: "**انا هو**، انا الذي يكلّمك" (آ ٢٦). والصيغة اليونانية غامضة بشكل مقصود، لانها كررت لقب الرب في سيناء: **انا هو**، كما نقلها اشعيا النبي "آني بو" (وترجمت الى اليونانية "*ego eimi*" أي "انا هو"). وحينذاك، كان بوسع المرأة ان تذهب تاركة جرّتها (آ ٢٨)، لانها لن تعود بحاجة اليها. فتلك التي لم تقوَ على إرواء عطشها الى الوجود والحياة، لقيت شخصاً وضع فيها نبع حياة يعطيها استقلالاً ومعنى.

ب. يسوع والتلاميذ (٤:٢٧-٣٨)

٢٧ ووَصَلَ عندَئذ تَلاميذُه، فعَجِبوا مِن أنَّه يُكَلِّمُ امرَأَة، ولكِن لم يَقُلْ أَحَدٌ مِنهم: "ماذا تُريد؟" أَو "لِمَاذا تُكَلِّمُها؟"
٢٨ فتَركَت المَرأَةُ جَرَّتَها، وذَهبَت إلى المَدينة فقالَت للنَّاس:
٢٩ "هَلُمُّوا فَانظُروا رَجُلاً قالَ لي كُلَّ ما فَعَلتُ. أَتُراهُ المَسيح؟"
٣٠ فخَرَجوا مِنَ المَدينةِ وساروا إليه.

٣١ وكانَ تَلاميذُه خلالَ ذلكَ يقولونَ لَه مُلحِّين: "رابِّي، كُلْ".
٣٢ فقالَ لَهم: "لي طَعامٌ آكُلُه أَنتُم لا تَعرِفونَه".
٣٣ فأَخَذَ التَّلاميذُ يتساءلون: "هل جاءَهُ أَحَدٌ بما يُؤكَل؟".
٣٤ قالَ لَهم يسوع: "طَعامي أَن أَعمَلَ بمَشيئَةَ الَّذي أَرسَلَني وأَن أُتمَّ عَمَلَه.
٣٥ أَما تَقولونَ أَنتُم: هي أَربعةُ أَشهُرٍ ويأتي وَقْتُ الحَصاد؟ وإِنِّي أَقولُ لَكم: ارفَعوا عُيونَكم وانظُروا إلى الحُقُول، فقَد ابْيَضَّت للحَصاد.
٣٦ هُوَذا الحاصِدُ يَأخُذُ أُجرَتَه فيَجمَعُ الثَّمَرَ للحَياة الأَبديَّة فيَفرَحُ الزَّارِعُ والحاصِدُ معاً
٣٧ وبذلكَ يَصدُقُ المَثَلُ القائل: الواحدُ يَزرَعُ والآخَرُ يَحصُد.
٣٨ إِنِّي أَرسَلتُكُم لِتَحصُدوا ما لم تَتعَبوا فيه. فغَيرُكُم تَعِبوا وأَنتُم دَخلْتُم على ما تَعِبوا فيه".

نلاحظ ان المرأة والتلاميذ يقومون بادوار متوازية. انهم يتناوبون في حضورهم بين يدي يسوع، بحيث تزامن وصول المرأة مع مغادرة التلاميذ، والعكس بالعكس. وهكذا تبرز نقاط كثيرة مشتركة بين المشهدين:

- في كل مرة، يجري حديث عن غذاء سرّي: الماء بالنسبة للمرأة، والخبز بالنسبة للتلاميذ.
- في كل مرة، يمتنع يسوع عن الاكل والشرب.
- يذكّر سوء التفاهم بشأن الغذاء (آ ٣١-٣٣) بسوء التفاهم بشأن الماء (آ ٧-١١).
- يمكّن النص الثاني من فهم أفضل لعلاقة النص الاول مع الشريعة: "طعامي ان **اعمل بمشيئة**...". فذاك الذي بدا للمرأة بصفته الماء الجديد، الشريعة الجديدة، يؤكد هنا انه بدأ، هو ذاته، بتطبيقها. ذلك انه، قبل ان يكون شريعة جديدة، جعل من ذاته ابناً للشريعة.

- على غرار المقطع الاول، يعطي المقطع الثاني اهمية كبرى للزمن: "هي اربعة اشهر... ولكني اقول لكم: ارفعوا عيونكم". ذلك ان زمن الانتظار قد انتهى. "الواحد يزرع، والآخر يحصد"... **فالساعة** تتم حين يأتي **الحصاد**.

ج. يسوع والسامريون (٤:٣٩-٤٢)

٣٩ **فآمَنَ به عَدَدٌ كَثيرٌ من سامِريِّي تلكَ المَدينَة عن كَلامِ المَرأَةِ الَّتي كانَت تَشهَدُ فتَقول: "إِنَّه قالَ لِيَ كُلَّ ما فَعَلتُ".**

٤٠ **فلَمَّا وصَلَ إِلَيه السَّامرِيُّونَ سَأَلوهُ أَن يُقيمَ عِندَهم، فَأَقامَ هُناكَ يَومَيْن.**

٤١ **فآمَنَ منهُم عَدَدٌ أَكبَرُ كَثيراً عن كلامه،**

٤٢ **وقالوا لِلمَرأَة: "لا نُؤمِنُ الآنَ عن قَولِكِ، فقَد سَمِعناهُ نَحنُ وعَلِمنا أَنَّهُ مُخَلِّصُ العالَمِ حَقاً".**

وتعود الخلاصة لتتحدث، من جديد، عن المرأة التي لا تبحث عن الاحتفاظ لذاتها، بانانية، بذاك الذي كشف ذاته لها. فلقد سعى يسوع الى الارتقاء بها الى شكل من الاستقلال. وها هي بدورها، تجتذب شعباً الى يسوع: فالسامريون آمنوا، وباعداد كبيرة: "علمنا انه مخلص العالم حقاً" (٤:٤٢). وهكذا بلغ سبيل الايمان الى غايته: ففي هذا الرجل التعب، هذا اليهودي العطشان، الجالس على حافة البئر، رأى السامريون مخلص العالم. ذلك ان هناك هوة بين ايمان اليهود الناقص والمستند الى رؤية الآيات (٢:٢٣-٢٥)، وايمان المثقف نيقوديمس المستعد لأن يرى في يسوع مُرسَلاً من الله، وليس بوسعه ان يؤمن به بالكامل، وبين المسعى الكامل الذي اتصفت به السامرية ومعها السامريون؛ فالرواية تحكي الولاء المتدرج لسر يسوع لدى امرأة (ومن خلالها لدى جماعة برمتها): يسوع، اليهودي (آ ٩)، الرب (آ ١١)، الذي هو اعظم من ابينا يعقوب (آ ١٢)، النبي (آ ١٩)، المسيح (آ ٢٦-٢٩)، مخلص العالم (آ ٤٢).

خامسا: آية قانا الثانية (٤:٤٣-٥٤)

٤٣ **وبَعدَ انقضاءِ اليَومَين مَضى من هُناكَ إِلى الجَليل.**

٤٤ **وكانَ يَسوعُ نَفسُه قَد أَعلَنَ أَن لا يُكَرَّمُ نَبِيٌّ في وَطَنِه.**

٤٥ فلَمَّا وَصَلَ إلى الجَليل، رَحَّبَ به الجَليليُّون، وكانوا قد شاهَدوا جَميعَ ما صَنعَ في أُورَشَليمَ مُدَّةَ العيد، لأَنَّهم هم أَيضاً ذَهَبوا للعيد.

٤٦ ورَجَعَ إلى قانا الجَليل، حَيثُ جَعَلَ الماءَ خَمراً. وكانَ هُناكَ عامِلٌ لِلمَلِك له ابنٌ مَريضٌ في كَفَرناحوم.

٤٧ فلمَّا سَمِعَ أَنَّ يسوعَ جاءَ مِنَ اليَهوديَّةِ إلى الجَليل، ذهَبَ إِلَيه وسأَلَه أَن يَنزِلَ فيُبرِئَ ابنَه وقَد أَشرَفَ على المَوت.

٤٨ فقالَ له يسوع: "إذا لم تَرَوا الآيات والأَعاجيبَ لا تُؤمنون؟"

٤٩ فقالَ له عامِلُ المَلِك: "يا ربّ، انزِلْ قَبلَ أَن يموتَ وَلَدي"

٥٠ فقالَ له يسوع: "اذهَبْ، إِنَّ ابنَكَ حَيّ". فآمَنَ الرَّجُلُ بالكَلِمَةِ الَّتي قالَها يسوعُ وذَهبَ.

٥١ وبَينما هو نازِل، تَلَقَّاهُ خَدَمُه فقالوا له إِنَّ وَلَدَه حَيّ.

٥٢ فاستَخبَرَهم عَنِ السَّاعةِ الَّتي فيها تَعافى. فقالوا له: "أَمْسِ في السَّاعَةِ الواحِدَةِ بَعدَ الظُّهْر فارَقَته الحُمَّى".

٥٣ فعَلِمَ الأَبُ أَنَّها السَّاعةُ الَّتي قالَ له فيها يسوع: "إِنَّ ابنَكَ حَيّ". فآمَنَ هو وأَهلُ بَيتِه جَميعاً.

٥٤ تِلكَ ثانِيَةُ آياتِ يسوع، أَتى بِها بَعدَ رُجوعِه مِنَ اليَهوديَّةِ إِلى الجَليل.

انتقال (آ ٤٣-٤٥). فيما كان الحديث مع السامرية جارياً، هوذا يسوع "يرجع الى الجليل" (٤:٣). ونجد الاشارة الزمنية ذاتها مكررة هنا: "مضى من هناك الى الجليل" (٤:٤٣). وتثير الآية ٤٤ مشكلة بصدد النبي الذي لا يكرم في وطنه، إذ تناقضها الآية ٤٥: "رحّب به الجليليون". ورأى بعضهم خطأً في النص الحالي، كأن يوحنا يتكلم عن استقبال اليهودية السيء له. ولكن الواقع هو ان يوحنا حين يتكلم عن "وطنه" (يوحنا ١:٤٥؛ ٦:٤٢؛ ٧:٣)، فهو انما يقصد دوماً الجليل، وليس اليهودية البتة. إلا إذا كان يعني ان اورشليم التي لم تستقبل يسوع جيداً هي وطنه الحقيقي. ويُحتَمَل ان يكون الراوي قد ادرج قولاً من التقليد، طالما ان المشهد يجري في الجليل.

وضع حرج (آ ٤٦-٤٧). من قانا الى كفرناحوم، هناك حوالي ٢٥ كليومتراً. ووُصف والد الطفل المريض بلفظة تعني غالباً شخصاً من دم ملوكي، او خادماً في بيت الملك (ويكون الملك هنا هيرودس التترارخس، امير الربع). وقد يكون ايضاً جندياً: وفي هذه الحالة، ينتفي كونه يهودياً. اما ابنه، فهو على مسافة بعيدة من هنا، وفي خطر الموت (آ ٤٧-٤٩).

الحوار (آ ٤٨-٥٠). يجيب يسوع الى استغاثة الرجل بحكم عام على ايمان ناقص لدى اولئك الذين يطلبون "الآيات والاعاجيب" (وهي عبارة مألوفة في العهد القديم، وتقصد هنا ايماناً متعلقاً بالظواهر الى حد كبير). ويسوع، كي يمتحن ايمان الرجل، يضع مسافة تجاه طلبه، كما كان قد فعل تجاه أمّه بالذات (٤:٢). وازاء الطلب الثاني الذي تقدم به الرجل، اجاب يسوع، لا بحضوره الشخصي، وانما بكلامه: "اذهب، ان ابنك حي" (آ ٥٠). وآمن الرجل بالكلام، وهذا ما يميزه عن المؤمنين السيّئين في آ ٤٨.

الاعجوبة المشهودة (آ ٥١-٥٣). لقد اصبحت فاعلية كلام يسوع ملموسة: ففي الساعة التي قال يسوع فيها "ابنك حي"، كان الطفل قد رُدّ الى الحياة. ومنذئذ آمن الرجل بشكل مطلق، من دون صفة اخرى، ومن دون اية حدود (مع اسرته).

خلاصة (آ ٥٤). وتقيم خاتمة الرواية ربطاً مع آية قانا الاولى، كما كانت قد فعلت في البداية (آ ٤٦). وفي الواقع، تبدو بنية الاعجوبتين متقاربة: يصل يسوع الى الجليل؛ وهوذا شخص يعرض عليه طلباً؛ ويبدو لأول وهلة انه يرفض؛ لكن المتحدث مع يسوع يلحّ في الطلب؛ ويقوم يسوع بآية مدهشة؛ وينتج عنها ايمان عدد كبير. وليس هناك أي خطاب لتفسير الاعجوبة التي تتم في السر والخفاء.

يوحنا والازائيون

ينقل متى ولوقا رواية قريبة الى حد كبير من هذه الرواية (متى ٥:٨-٣؛ لوقا ١:٧-١٠). وهذه هي ابرز النقاط المشتركة:

- كفرناحوم، نجدها في الروايات الثلاث (متى ٥:٨؛ لوقا ١:٧؛ يوحنا ٤٦:٤).
- شخص **ذو مكانة** يتقدّم بطلب الى يسوع [قائد مئة في انجيلي متى ولوقا، أي جندي وثني؛ وهو، في انجيل يوحنا، خادم لدى هيرودس (يهودياً كان ام وثنياً)].
- المريض هو **ابن** الرجل (لدى يوحنا)، وهو **خادمه** لدى لوقا، **وابنه** او **خادمه** لدى متى.
- الطفل **مقعد** لدى متى ٦:٨، وهو مريض مشرف على الموت لدى لوقا ٢:٧، ومريض قارب الموت لدى يوحنا (آ ٤٧-٥٢).

- **يشفي** الطفل **عن بُعد**، لدى الثلاثة.

وبوسعنا أن نعتقد بان للانجيليين الثلاثة تقليداً مشتركاً.

الهدف اللاهوتي لدى يوحنا

وُصفت هذه الآية بوضوح بصفتها عملاً ليسوع لا مجال للنقاش فيه، على غرار شفاء الاعمى (ف ٩) او احياء لعازر (ف ١١). وقد تحقق كثيرون من هذه الآية. فيسوع هو حقاً سيد الحياة، ونور العالم. لذا يجب تجاوز الآيات، في وجهها العجيب، كي يُصار الى ايمان تام بالرب: يترتب، إذن، ان نتجاوز الايمان عبر الآيات، للبلوغ الى الايمان وحده، الايمان بكلام يسوع.

الجزء الثالث:

يسوع واعياد اليهود الرئيسة

(٥:١-٤٢:١٠)

أولاً: يسوع والسبت [٥:١-٤٧]

أ. شفاء المريض [٥:١-١٦]

ب. جدالات مع اليهود [٥:١٧-٤٧]

ثانياً: يسوع في عيد الفصح [٦:١-٧١]

أ. تكثير الخبزات [٦:١-١٥]

ب. السير على الماء [٦:١٦-٢١]

ج. الخطاب في كفرناحوم [٦:٢٢-٧١]

ثالثاً: يسوع في عيد المظال [٧:١-٨:٥٩]

مقدمة [٧:١-١٣]

أ. المشهد الاول [٧:١٤-٣٦]

ب. المشهد الثاني [٧:٣٧-٥٣]

المرأة الزانية [٨:١-١١]

ج. المشهد الثالث [٨:١٢-٥٩]

رابعاً: انعكاسات عيد المظال [٩:١-١٠:٢١]

أ. الاعمى منذ مولده [٩:١-٤١]

ب. يسوع، الباب والراعي [١٠:١-٢١]

خامساً: يسوع في عيد التجديد [١٠:٢٢-٤٢]

أ. يسوع هو المسيح [١٠:٢٢-٣٠]

ب. يسوع هو ابن الله [١٠:٣١-٣٩]

خلاصة مؤقتة [١٠:٤٠-٤٢]

يتوسع الكشف ابتداءً من الفصل الخامس. والمستفيدون منه لم يعودوا اشخاصاً منفردين حسب، بل كل "اليهود". ومنذئذ تتخذ الخطابات مكانة، تدريجياً، اكثر فاكثر. وتلعب الاعياد اليهودية دوراً هاماً في هذا القسم من الانجيل: عيد لليهود (٥:١)، الفصح (٦:٤)، عيد المظال (٧:٢)، تجديد الهيكل (١٠:٢٢).

ونلاحظ ايضاً ميلاً متصاعداً الى المبالغة في اضفاء الطابع المأساوي على شخص يسوع المهدَّد. فبعد حماس البدايات (١:١-٥١)، والكشف في قانا (٢:١-١٢)، واللقاءات "الزيهة"، كلقاء يسوع ونيقوديمس (يوحنا ٣)، والاهتداءات غير المتوقعة من مثل اهتداء السامرية والسامريين، وشفاء ابن الضابط الملكي، اخذت تبدأ مشاهد المجادلة والرفض والتهديد. ذلك ان اليهود راحوا يعارضون يسوع اكثر فاكثر، ويفصحون عن تهديداتهم: "واشتد سعي اليهود لقتله" (٥:١٨)؛ "وارسل عظماء الكهنة حرساً ليمسكوه"، وإن من دون جدوى (٧:٣٢، ٤٥، ٤٦)؛ "واخذوا حجارة ليرموه بها" (٨:٥٩)؛ وهكذا تصاعدت التهديدات ضده وضد اخصائه (٩:٢٢)؛ وفي اثناء عيد التجديد، ارادوا ايضاً ان يرجموه (١٠:٣١) ويعتقلوه (١٠:٣٩). وتقرر موته في اعقاب قيامة لعازر (١١:٥٣)؛ وصدر أمر بالبحث عن محل اختفائه (١١:٥٧).

"اليهود" في انجيل يوحنا

كلمة "يهودي" هي ترجمة للكلمة العبرية (ييهودي)، وهي اللفظة التي استخدمت منذ الجلاء للاشارة الى سكان اليهودية، ومن ثم امتدت الى كل سكان فلسطين. وهذا هو معنى الكلمة في زمن يسوع.

اما عبارة "اليهود"، فهي كثيرة الاستخدام في انجيل يوحنا (حوالي ٦٠ مرة مقابل ٥ أو ٦ مرات في سائر الاناجيل). ومثل هذا الاستخدام يكشف، في حد ذاته، عن المسافة وعن التباعد الذي ترسّخ بين المسيحيين واليهود في زمن تدوين التقاليد الانجيلية. وفي الواقع، لما كان معظم الشخوص الذين يُذكرون في الرواية الانجيلية يهوداً (لقد سميّ "يهودياً" على لسان السامرية (٩:٤)، وكذلك تلاميذه بنوع خاص)، فلا يمكن ان يرقى الى زمن يسوع هذا الفرز لمثل هذه المجموعة.

واذا امعنّا النظر في النصوص، نرى ان لهذه العبارة معاني عديدة. فهي تارة تعني فريقاً عرقياً (قومياً) (٩:٤؛ ١٨:٣٥؛ انظر عبارة "ملك اليهود" في الفصل ١٩). وفي بعض الروايات، تشير العبارة الى فريق بشري، لا بل الى مجموعة بوسعها ان تشمل يسوع ذاته، كما في ٩:٤ أو ٢٢:٤. ومثل هذه التسمية -وهي ايجابية احياناً- تعبّر في الواقع عن مسافة يضعها المتكلم: هكذا هي الحال في ١٩:١١، ٣١، ٣٣، ٣٦. وهنا، ولو ان كل الاشخاص يهود، إلا ان هناك مَن يُفرز وراء هذه التسمية. لنذكر التلميحات بهذا المعنى الى "اعياد اليهود" (١٣:٢؛ ١:٥؛ ٤:٦؛ ٢:٧). وبوسع هذا التمييز ان يذهب الى تشخيص موقف يكشف عن عدم الايمان (٤١:٦، ٥٢؛ ١١:٧، ١٥،٣٥)، لا بل الى موقف عدائي (١٨:٥؛ ١:٧؛ ٣١:١٠؛ ٨:١١) ترافقه صيغ قاسية: "وكان اليهود يريدون قتله".

وازاء مثل هذه النصوص، يتوجب علينا ان نعترف بالتأثير الذي لعبته العلاقات المقيتة بين اليهود والمسيحيين في نهاية القرن الاول. وقد ترك هذا العداء المتبادل آثاراً في النصوص الانجيلية، وكانت له بالاكثر امتدادات وخيمة بحيث "ألهمت" بعض المقاطع اقوالاً وتصرفات "لا سامية" في تاريخ الكنيسة. فالانجيل هو ولا شك كلام الله، ولكنه يبقى مع ذلك، الى حد معين، كلام بشر، مع ما يرافقه من ملابسات. لذا كان على قارئ اليوم ان ينتبه في تفسيره ويتجنب عبارات عمومية من مثل كلمة "يهود"، طالما ان هناك اليوم يهوداً يحملون هذا الاسم، وليست لهم علاقة البتة مع الرؤساء اليهود الذين قاوموا يسوع وقتلوه.

ولكن بالرغم من ثقل هذه الظلال على يسوع، هوذا الراوي يسعى الى تعميق صورة المسيح لدى قرائه، عبر ابراز القاب يسوع المختلفة: فهو الغذاء (الفصل ٦)، وهو النور، في الخطابات كما في الآيات.

ويعتبر عدد كبير من المؤلفين ان الانجيل، في صيغته الحالية، ينقصه الترتيب، وفق النظرية التي بموجبها يكون قد طرأ حادث على الكتاب منذ البداية. ويكون الترتيب الاكثر منطقية (!) للفصول ٤-٦ كالآتي: الفصل الرابع، يليه السادس، ومن ثم الخامس، فالسابع.

لا شك ان ١:٦، بحسب منطقنا، لا يرتبط جيداً بالفصل ٥ (من حيث تغيير المكان)، بل يصبح ارتباطه افضل مع ٤:٥٤؛ كما ان الفصل ٧ يجد مكانه بعد الفصل ٥ (راجع ١٨:٥ و١:٧)، افضل بكثير من مكانه بعد الفصل ٦؛ فيما يندرج الفصل ٤ بشكل منطقي مع الفصل ٦. ومع ذلك، فمن الافضل ان نتنازل عن الرغبة في اعادة ترتيب الانجيل الحالي: إلى حدّ الآن لم يجد احد تفسيراً مقنعاً لهذا التغيير في المكان والذي لا اثر له في كل المخطوطات. ذلك ان للانجيلي دوافعه: ومن الافضل ان نخضع لترتيبه.

فاعجوبة شفاء المقعد، ليس لها ما يوازيها في الروايات الازائية، حتى وان كانت بعض الصيغ تذكّر بمرقس ١:٢-١٢. وبالمقابل، ليست رواية اعجوبة الشفاء هذه دون صلة مع الفصل ٩. ففي الحالتين، نجد ذكراً للصفات الشفائية التي للماء، في بركتين باورشليم، مع ما يرافقها من ممارسات شعبية (الملاك الذي يحرّك الماء في ٧:٥، واستخدام الطين في ٦:٩). والايتان تجريان في يوم سبت، وهذا العنصر حاسم في الرواية. وما الجدال مع اليهود في الحالتين سوى نتيجة لهذه الآية. غير ان هذه النقاط المشتركة تُقرأ على خلفية من الاختلافات: أولاً على صعيد المكان، ومن ثم على مستوى عدم جدوى الماء في الآية الاولى، واستخدامه في الآية الثانية، وبالاخص من خلال تصرّف الرجلين المعافَين.

أولاً. يسوع والسبت (٥:١-٤٧)

يحكي القسم الاول (آ ١-١٦) الاعجوبة ومردوداتها. وتفسح الآية المجال للانجيلي كي يدرج موضوع عداء اليهود، ويتوسع في "ادّعاءات" يسوع المسيحانية عبر خطاب تفسيري طويل (آ ١٧-٤٧).

أ. شفاء المريض (٥:١-١٦)

٥ ١ وبَعدَ ذلك كانَ أَحَدُ أَعياد اليَهود، فصَعدَ يسوعُ إلى أُورَشَليم.
٢ وفي أُورَشَليمَ بِرْكَةٌ عندَ بابِ الغَنَم، يُقالُ لها بالعبريّة بَيتَ ذاتا، ولها خَمسَةُ أَروِقَة،
٣ يَضطَجِعُ فيها جُمْهورٌ مِنَ المَرْضَى بَينَ عُمْيان وعُرْجٍ وكُسْحان.
٥ وكانَ هُناكَ رَجُلٌ عَليلٌ مُنذُ ثَمان وثَلاثينَ سَنَة.
٦ فرَآهُ يسوعُ مُضطَجِعاً، فعَلِمَ أَنَّ لهُ مُدَّةً طَويلَةً على هذه الحال. فقالَ لـه: "أَتُريدُ أَن تُشفى؟"
٧ أَجابَه العَليل: يا ربّ، ليسَ لي مَن يَغُطُّني في البِركَةِ عِندَما يَفورُ الماء. فبَينَما أَنا ذاهِبٌ إِلَيها، يَنزِلُ قَبْلي آخَر".
٨ فَقالَ له يسوع: "قُم فَاحمِلْ فِراشَكَ وامشِ".
٩ فشُفِيَ الرَّجُلُ لوَقتِه، فحَمَلَ فِراشَه ومشى.
وكَانَ ذلكَ اليَومُ يومَ السَّبْت.

١٠ فقالَ اليَهودُ لِلَّذي شُفِيَ:هذا يَومُ السَّبْت، فلا يَحِلُّ لك أَن تَحمِلَ فِراشَكَ".
١١ فأَجابَهم: "إِنَّ الَّذي شَفاني قالَ لي: احمِلْ فِراشَكَ وامْشِ؟"
١٢ فسأَلوه: "مَنِ الرَّجُلُ الَّذي قالَ لكَ: اَحمِلْ فِراشَكَ وامشِ؟"
١٣ وكانَ الَّذي شُفِيَ لا يَعرِفُ مَن هو، لأَنَّ يسوعَ انصَرَفَ عَنِ الجَمْعِ الَّذي في المَكان.
١٤ ولَقيَه يسوعُ بَعدَ ذلكَ في الهَيكل، فقالَ له: "ها إِنَّكَ قد تَعافَيتَ، فلا تَعُدْ إِلى الخَطيئَة، لئَلاَّ تُصابَ بأَسوَأَ".
١٥ فَذَهَبَ الرَّجُلُ إلى اليَهود، فأَخبرَهُم أَنَّ يسوعَ هوَ الَّذي شَفاه.
١٦ فأَخذَ اليَهودُ يَضطَهِدونَ يسوع لأَنَّه كانَ يَفعَلُ ذلكَ يَومَ السَّبْت.

الاطار (آ ١-٢). انها اقامة ثانية ليسوع في اورشليم (٢:١٣) بمناسبة عيد لم يوضَّح. وحضور يسوع في اورشليم يتيح لنا الاعتقاد باننا بصدد احد الاعياد الثلاثة الكبرى (سواء كان الفصح ام العنصرة ام المظال) والتي كان المؤمنون ملزمين فيها بالحج الى اورشليم. اما بالنسبة للراوي، فلم يكن هذا التفصيل مهماً: إذ يكفيه، لبناء روايته، ان يشير الى ان المشهد يجري يوم سبت.

اما مكان المشهد، فهو مشخّص في بيت ذاتا (ويحتمل ان الاسم الاصلي المدعوم من قمران هو **بيت حسدا**، ويعني "بيت الحوض") وهو يُطلق على المحلة الشمالية من

مدينة اورشليم، شمال الهيكل. وكان باب الخراف هو الباب الذي كانت تدخل منه الخراف المعدّة للذبائح الى ساحة الهيكل. وهذه البركة التي وصفها يوحنا اكتُشفت حديثاً واجريت فيها حفريات. فلقد كانت مؤلفة من حوضين كبيرين بعمق ١٤ متراً، يفصلهما سدّ عرضه ٦,٥٠م. ومساحة الحوض الجنوبي —وهو الاكبر- تبلغ ٥٥×٤٨م. كما اكتُشفت ايضاً، بالقرب من الحوضين، حمامات صغيرة كانت جزءاً من بناء لعبادة الاله سيرابيس، الاله الشافي. وهذه التفاصيل تدعم مصادر الانجيلي الرصينة.

وصف المريض (آ ٣-٥). في معظم طبعات الكتاب المقدس، يقفز الترقيم من آ ٣ إلى آ ٥، إذ ان الآيتين ٣ب و٤ غائبتان عن اقدم المخطوطات.

فاذا كانت البركة قريبة من الحمامات المرتبطة بالاله سيرابيس، يصبح من المعقول ان يكون هناك مرضى كثيرون، وبشتى الامراض. وهوذا يسوع يلمح احدهم في وسط هذا الجمع ويأخذ المبادرة. ولكَم بحث المفسرون لمعرفة ماذا يعني ذكر الـ ٣٨ سنة من المرض. ورأى القديس اوغسطينس في هذه الاشارة طابع عدم الكمال (٤٠-٢=٣٨): كان يَنقصه الايمان والمحبة! وفكّر الاب بوامار بزمن البرية الذي، بحسب تثنية ١٤:٢ دام ٣٨ سنة! وعلى كل حال، يشير هذا الرقم، على الاقل، الى فترة طويلة. وهكذا كان الرجل مصاباً بعوقَين: من جهة، انه مريض منذ فترة طويلة جداً بحيث يمكننا الاعتقاد بانه مصاب بمرض لا يُشفى؛ ومن جهة اخرى، لم يكن قادراً ان يستفيد من مفعول الماء المعدّ للنازل الاول فيه، إذ لم يكن هناك من يغطسه في الماء. وهذه الاشارة تشدد على عزلته وعلى الاستسلام لقدره، حتى ان اقرباءه تخلوا عن وضعه، وقد اعتبروا ان لا أمل فيه.

تدخل يسوع (آ ٦-٩أ). يبادر يسوع موجّهاً نظره الى المريض. انه يستفسر عن مدة مرضه ويسأله عن رغبته. وازاء عجزه المعلن، هوذا يسوع يفعل تجاهه -وهو الاكثر فقراً من كل هؤلاء المرضى المساكين- ما كانت المياه الساخنة تمنحه لأكثرهم قوة. انه يتدخّل لصالحه هو وحده. وهكذا جعل هذا التوازي بين المياه الشافية ويسوع، لصالح يسوع. وإذا كان واحد منهم يُشفى بفرصة تحرّك المياه، فبالنسبة الى يسوع، كان كلامه كافياً، دون ان تكون هناك حاجة الى آية الماء: "وشفي للحال".

مردودات الشفاء في يوم سبت (آ ٩ب-١٥). كانت الرواية، الى حد الآن، مركّزة على قدرة يسوع الفائقة التي كان بوسعها ان تجعل رجلاً اعزل، مريضاً، عاجزاً، يقف على قدميه. ويبرز هنا موضوع السبت بصفته الدافع الى الخلاف بين يسوع والمؤسسات اليهودية (او السلطات). ففي انجيل يوحنا، باستثناء الجدال الفكري بين نيقوديمس ويسوع، نجدنا بازاء اول نزاع جاد بين نبيّ الجليل وسلطات اورشليم.

"**اليهود**" (٥:١٠): ليست هذه التسمية في محلّها، إذ في زمن يسوع، كان كل الاشخاص يهوداً، وبضمنهم يسوع. انها تعكس زمن يوحنا، حين تميّز المسيحيون عن "اليهود". وهذا الجزء من الرواية يشبه –وإن بشكل مقتضب– المجابهة بين الاعمى منذ مولده والسلطات اليهودية (فصل ٩). فالرجل المعافى يعبّر بايجاز عن تفاعله مع هذا التحوّل الذي تلقّاه من يسوع:

أ) انه يفضّل ان يطيع يسوع اكثر من طاعته لوصية السبت: "ان الذي شفاني قال لي: احمل فراشك...".

ب) انه لا يعلم من هو يسوع، وها نحن نجده في الهيكل (لكي يمجّد الله؟).

ج) وفي الهيكل، يلتقي بيسوع الذي كشف له عن ذاته. فبوسعنا ان نرى هنا علامة على ان يسوع حلّ محلّ الهيكل. وها هو يتلقى من يسوع دعوة الى "ألا يعود الى الخطيئة". وتدهشنا هذه الملاحظة، كما لو ان يسوع يجمع بين المرض والخطيئة. لكن الاحرى بنا ان نفهم كلمة يسوع بصفتها علامة بان الشفاء هو، في الوقت ذاته، غفران للخطايا. وبوسعنا ان نلاحظ بان كلمة "معافى" تكررت ٧ مرات في الرواية (وهو رقم الكمال)، مما يدعم فكرة خلاص كامل: ذلك ان الرجل الذي خُلّص في جسده وفي نفسه، مدعو الى العيش بصفته مخلّصاً بالتمام.

د) وما ان عرف من هو مخلّصه، وإذا به يحمل الخبر الى اليهود. لا ينبغي ان نرى في ذلك وشاية على مخلّصه. فليس هناك ما يشير الى دافعه، سواء من الخير او من الشر: ذلك ان ما يهم الانجيلي هو شخصية يسوع وسلطته، اكثر من اهتمامه بقصة المقعد المعافى. وعودة الرجل المعافى نحو اليهود، انما هي للكشف عن هوية يسوع والاعداد للمشهد التالي. ومنذئذ، لن تكون الاهمية لصالح الاعجوبة ذاتها، بقدر ما هي للظروف التي تمت فيها، يوم السبت: وها **هي** دعوى تسجَّل ضد يسوع، باسم الشريعة. ويسوع، بحكم هويته الالهية، سيكون بمثابة الحاكم للمشتكين عليه.

ب. جدالات مع اليهود (٥:١٧-٤٧)

مقدمة (آ ١٧-١٨)

١٧ **فقالَ لَهم: "إنَّ أَبي ما يَزالُ يَعمَل، وأَنا أَعملُ أَيضاً".**

١٨ **فاشْتَدَّ سَعْيُ اليَهود لقَتله، لأَنَّه لم يَقتَصِرْ على استِباحَةِ حُرمَةِ السَّبْت، بل قالَ إِنَّ اللهَ أَبوهُ، فَساوى نَفْسَه باللهِ.**

هاتان الآيتان تفتتحان الخلاف الطويل بين يسوع واليهود وتوجزانه. وتبرّر الآية ١٧ تدخّل يسوع في يوم السبت، لا بدافع عطف انساني (كما هي الحال في مرقس ٣:٤؛ ولوقا ١٣:١٥)، وانما بسبب علاقته الخاصة بأبيه (ونجد هنا قربى مع متى ١٢:٦-٨). وهذا ما فهمه الخصوم جيداً: "لقد ساوى نفسه بالله" (آ ١٨). وتنقسم هذه المجادلة الى زمنين: اولاً، في الآيات ١٩-٣٠، يبدو يسوع انه الحياة والديّان؛ وتبرّر الآيات ٣١-٤٧ من ثم هذا الادّعاء.

ج. مدح يسوع: هو الذي يحيي ويدين (٥:١٩-٣٠)

١٩ فقالَ لَهم يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: لا يَستَطيعُ الابنُ أَن يَفعَلَ شيئاً مِن عنده بل لا يَفعَلُ إلاَّ ما يَرى الآبَ يَفعَلُه. فما فَعَلَه الآب يَفعَلُه الابْنُ على مثاله

٢٠ لأَنَّ الآبَ يُحبُّ الابنَ ويُريه جَميعَ ما يَفعَل وسيُريه أَعْمالاً أَعظَمَ فتَعجَبون.

٢١ فكَما أَنَّ الآبَ يُقيمُ الموتى ويُحييهم فكَذلكَ الابنُ يُحيي مَن يَشاء.

٢٢ لأَنَّ الآبَ لا يَدينُ أَحَداً بل أَولى القَضاءَ كُلَّه للابْن

٢٣ لكَي يُكرِمَ الابنَ جَميعُ النَّاس، كما يُكرِمونَ الآب: فمَن لم يُكرِم الابن لا يُكرِمِ الآبَ الَّذي أَرسَلَه.

٢٤ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: مَن سَمِعَ كَلامي وآمَنَ بِمَن أَرسَلَني فلَه الحَياةَ الأَبَديَّة ولا يَمثُلُ لَدى القَضاء بل انتَقَلَ مِنَ المَوت إلى الحَياة.

٢٥ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: تَأتي ساعَةٌ -وقد حَضَرَت الآن- فيها يَسمَعُ الأَمواتُ صَوتَ ابنِ الله والَّذينَ يَسمعَونَه يَحيَوْن.

٢٦ فكَما أَنَّ الآبَ له الحَياةُ في ذاته فكذلكَ أَعْطى الابنَ أَن تَكونَ له الحَياةُ في ذاته

٢٧ وأَولاهُ سُلطَةَ إجْراء القَضاء لأَنَّه ابنُ الإنسان.

٢٨ لا تَعجَبوا مِن هذا فتَأتي ساعةٌ فيها يَسمَعُ صوتَه جَميعُ الَّذينَ في القُبور

٢٩ فيَخرُجونَ منها. أَمَّا الَّذينَ عَمِلوا الصَّالحات فيَقومون لِلحَياة وأَمَّا الَّذينَ عَمِلوا السَّيِّئات فيقومونَ للقضاء.

٣٠ أَنا لا أَستَطيعُ أَن أَفعَلَ شَيئاً مِن عندي بل أَحكُمُ على ما أَسمَع وحُكمي عادِل لأَنِّي لا أَتَوَخَّى مَشيئَتي بل مَشيئَةَ الَّذي أَرسَلَني.

ملاحظات حول النص. تتوسع خطابات يسوع وفق منطق يصعب احياناً متابعته. وسيكون من مصلحة القارئ أن يحسب حساباً للنقاط المرجعية التي وضعها الكاتب في نصّه. فمن جهة، تمهّد عبارة "الحق الحق اقول لكم" (آ ١٩، ٢٤، ٢٥) لثلاث مراحل من الكشف؛ ومن جهة أخرى، نجد ان الحميمية العميقة بين الآب وابنه تحتضن الرواية، عبر التطويق الذي تقوم به الآية ١٩: "لا يستطيع الابن ان يفعل شيئاً من عنده" والآية ٣٠: "لا أستطيع ان افعل شيئاً من عندي".

الابن والآب (آ ١٩-٢٣). ويبدأ الكشف بما يمكن ان يشبه مثلاً عائلياً يذكّر بان كل ابن يميل الى تقليد ابيه؛ والأب، لكونه يحبه، يعلّمه ما ينبغي ان يفعل. الا ان النداء الى متحدثيه بعبارة "ستعجبون" (٢٠:٥) يرينا كيف يتحدث يسوع عن علاقته الفريدة بالله ابيه، وهي علاقة حب وطاعة.

ومنذئذ، يبرر يسوع حريته تجاه يوم السبت، إذ عليه ان يتصرّف على غرار ابيه: أن يحيي اولاً (آ ٢١)؛ وان يدين من ثم (آ ٢٢-٢٣)، طالما ان الآب أعطاه مهمة الدينونة. وهذه الدينونة، في العهد القديم، هي من اختصاص الله، وهي امر مستقبلي. اما هنا، فنراها من **امتياز الابن**، وقد اعطي له ذلك الامتياز **منذ الآن**. وهكذا يصبح الاحتجاج على عمل يسوع، يوم السبت، نقطة انطلاق للكشف عن هويته بصفته الابن.

ان نسمع (الابن) ونؤمن (بالآب) (آ ٢٤). وعبر انقلاب في الاوضاع، هوذا يسوع، المشتكى عليه، يجعل من نفسه ديّاناً للبشر. وتتم الدينونة منذ الآن عبر الاصغاء الى يسوع والايمان بالآب، وكلاهما (السماع والايمان) مرتبطان بشكل وثيق، كما ان الابن مرتبط بالآب. فأنْ نسمع (الابن) ونؤمن (بالآب)، فتلك حقيقة واحدة بكل معنى الكلمة. وهذا يعني ان السماع والايمان لا ينفصلان الواحد عن الآخر، بحيث يكون من يرفض يسوع ينكر الآب. اما بالنسبة الى المؤمن الذي يمنح ولاءه للآب والابن، في حركة واحدة، فتلك هي عطية الحياة المباشرة، وهي في الوقت ذاته نهاية الدينونة.

سلطات الابن (آ ٢٥-٣٠). يتوسع هذا الجزء من النص، وفق اسلوب سامي الى حد كبير، في المواضيع المطروحة اعلاه: هوذا ابن الانسان -وقد سبق ان سُمّي في ٥١:١- يظهر الآن (آ ٢٧) بصفته وجهاً يرتبط بالدينونة الاخيرة، بحسب سفر دانيال (١٣:٧)، وبحسب سفر اخنوخ المنحول. وفيما عرض يوحنا ٢٤:٥ اسكاتولوجيا (ما يتعلق بالاخروية) **قد تحققت**، نجدنا، في ٢٩:٥، بازاء **اسكاتولوجيا مستقبلية**. ذلك انه،

بمجيء يسوع، افتتحت الازمنة الاخيرة. والدينونة ستقوم على قبول يسوع او رفضه. "تأتي ساعة -وقد حضرت الآن-"! وها نحن، مع يسوع، قد دخلنا في هذا "**الآن**"، بمسيرة نحو القيامة النهائية التي لم تأت "**بعدُ**". والوسيط لهذه الحياة الابدية يحمل اسماً مضاعفاً: "ابن الله" (٢٥:٥) و"ابن الانسان" (٢٧:٥). والشرط الوحيد يكمن في الاصغاء الى صوته. وسيكون بوسع كل قارئ، حتى بعد غياب يسوع، ان يكون في حالة اصغاء للكلمة، وهكذا يحصل، منذ الآن، على الحياة الابدية.

وان الاسكاتولوجيا المحققة لن تلغي القيامة النهائية. ويوحنا الذي يمنح الاولوية للحياة الابدية المعطاة منذ الآن، لا يسهب في الحديث عنها بمقدار الازائيين، ولكنه يمنح مكاناً هاماً في تعليمه للاسكاتولوجيا المستقبلية. والآية ٣٠ "لا افعل شيئاً من عندي" تكرر فحوى الآية ١٩: "لا يستطيع الابن ان يفعل شيئاً".

د. شهود يدعمون يسوع (٥:٣١-٤٧)

٣١ لو كُنتُ أَشهَدُ أَنا لنَفْسي لَما صَحَّت شَهادَتي.
٣٢ هُناكَ آخَرُ يَشهَدُ لِيَ وأَنا أَعلَمُ أَنَّ الشَّهادَةَ الَّتي يَشهَدُها لي صادِقَة.
٣٣ أَنتُم أَرسَلْتُم رُسُلاً إِلى يوحَنَّا فشَهِدَ للحقّ.
٣٤ أَمَّا أَنا فلا أَتَلَقَّى شَهادَةَ إِنسان ولَكِنَّي أَقولُ هذا لتَنالوا أَنتُمُ الخَلاص.
٣٥ كانَ يوحَنَّا السِّراجَ المُوقَدَ المُنير ولقَد شئتُم أَنتُم أَن تَبتَهِجوا بنوره ساعةً.
٣٦ أَمَّا أَنا فَلي شَهادَةٌ أَعظَمُ من شَهادة يوحَنَّا: إِنَّ الأَعمالَ الَّتي وَكَلَ إِلَيَّ الآبُ أَن أُتِمَّها، هذه الأَعمالُ الَّتي أَعمَلُها هي تَشهَدُ لي بأَنَّ الآبَ أَرسَلَني.
٣٧ والآبُ الَّذي أَرسَلَني هو شَهِدَ لي. أَنتُم لَم تُصغُوا إِلى صَوته قَطّ ولا رأَيتُم وَجهَه.
٣٨ وكَلِمَتُه لا تَثبتُ فيكم لأَنَّكم لا تُؤمنونَ بمَن أَرْسَل
٣٩ تَتصَفَّحونَ الكُتُب تظُنُّونَ أَنَّ لكُم فيها الحَياةَ الأَبديَّة فهِيَ الَّتي تَشهَدُ لي
٤٠ وأَنتُم لا تُريدونَ أَن تُقبلوا إِليَّ فتَكونَ لكُمُ الحَياة.
٤١ لا أَتَلَقَّى المَجدَ من عندِ النَّاس.
٤٢ قد عَرَفْتُكم فَعَرَفتُ أَنَ لَيْسَت فيكم مَحَبَّةُ الله.
٤٣ جئتُ أَنا باسمِ أَبي، فلَم تَقبَلوني. ولو جاءَكُم آخَرُ باسمِ نَفْسه لَقَبلتُموه.
٤٤ كَيْفَ لَكُم أَن تُؤمنوا وأَنتم تَتَلَقَّونَ المَجدَ بَعضُكم مِن بَعض وأَمَّا المَجدُ الَّذي يأتي مِنَ اللهِ وَحدَه فَلا تَطلُبون؟
٤٥ لا تَظُنُّوا أَنّي سأَشْكوكُم إِلى الآب فهُناكَ مَن يَشكوكم: مُوسى الَّذي جَعَلتُم فيه رَجاءَكم.

٤٦ **لو كُنتُم تُؤمنونَ بموسى لآمَنتُم بي لأَنَّهُ في شَأني كَتَب.**
٤٧ **وإذا كُنتُم لا تُؤمِنونَ بِكُتُبِه فكَيفَ تُؤمِنونَ بِكَلامي؟".**

كان المقطع السابق مثقلاً بالكشف عن هوية يسوع. لذا فان هناك ثلاثة شهود، متدرجين بالاهمية، يستدعيهم الخطاب.

١. ثلاثة شهود (آ ٣١-٤٠): **يوحنا المعمذان** (آ ٣٣-٣٥) المرسَل من الله (يوحنا ١:٦)؛ **عجائب** يسوع (آ ٣٦) —في الاناجيل الازائية، هو يوحنا المعمذان الذي يتلقى عجائب يسوع بمثابة شهادة (متى ١١:٥) ؛ **الآب** ذاته. وشهادة الآب، لا تعيدنا الى حدث معيّن (كعماذ يسوع على سبيل المثال)، بقدر ما تعيدنا الى شهادة العهد القديم برمتها (الاسفار المقدسة هي التي تشهد لي، آ ٣٩).

٢. عدم الايمان (آ ٤١-٤٧). وتصبح الهجمة عنيفة، كما كانت الهجمة ضد الفريسيين، لدى الازائيين (متى ٢٣): إذا كان اليهود لا يؤمنون، فذلك لأن ليس لهم حب الله فيهم (آ ٤٢). وبالتالي، سيكون الشاهد المكلّف بالشكوى على الشعب اليهودي: موسى، أي هذه الاسفار المقدسة عينها التي يستندون اليها كي يرفضوا يسوع.

في الفصل الخامس، نرى ان الفكرة تتوسع وتُبنى في منطق ساميّ للغاية، بعيد جداً عن منطقنا الغربي. وسيتقدّم القارئ في الفهم، إن هو اعاد قراءة هذا الفصل، مركّزا على ما يدلي به، عبر الرواية والخطاب، بشأن سر يسوع ودوره كمخلّص. اليكم بعض الالقاب المسيحانية المنتقاة من هذا الفصل:

يسوع **الشافي**، ذاك الذي يوجه انتباهه الى ما هو اكثر ضعفاً، وهو الفقير بمحض اختياره ("فقد افتقر لاجلكم وهو الغني" ٢ قورنتس ٨:٩) مقابل فقير بحكم الحاجة.

يسوع **رب السبت**، لانه بذلك يقتدي بأبيه الخالق.

يسوع، **الابن في علاقة مع الآب**.

يسوع **المساوي لله** (٥:١٨). والسخرية اليوحنانية جعلت اتهام اليهود هذا يصبح حقيقة في نظر المسيحيين.

يسوع **مركز الاسفار المقدسة**: وقد أُتّهم بنقض الشريعة، وهو في القلب من الاسفار المقدسة، في نظر المسيحيين.

يسوع **مخلص**: وتبدو مطالبة يسوع بهذه الهوية اساسية، إذ ان قدرته على ان يحيي تتعلق بما هو عليه.

يسوع، ابن الله

لا تستخدم لفظة "ابن" بالمعنى المطلق إلا نادراً في الاناجيل الازائية (متى ١١:٢٧؛ مرقس ١٣:٣٢؛ متى ٢٨:١٩). وبالعكس، نرى في انجيل يوحنا ان مفهوم "الآب-الابن" حاضرٌ جداً، بحيث ان عبارة "الابن" تظهر ١٨ مرة في الانجيل (ولا سيما في الفصلين ٣ و٥) وكذلك في الرسائل: ٥ مرات في الرسالة الاولى، ومرة واحدة في الرسالة الثانية.

وعلاوة على ذلك، يتوجه يسوع الى الله كما الى أب، او يدعوه بهذا الاسم حوالي ٥٠ مرة (بينها ٨ مرات بهذه الصيغة: "الاب الذي ارسلني")، وهي عبارة قوية جداً، تحتل مكان القلب من الكريستولوجيا (لاهوت المسيح). ومن الصعب احياناً ان نعلم إذا كانت تلك عبارة ليسوع ذاته، او هو لقب لاحق اطلقته عليه الجماعة؟ ومع ذلك، فالانجيل، كما هو الآن -بصفته استذكاراً تاريخياً ليسوع، وقراءة ايمانية مجددة قامت بها الكنائس- يضع امامنا يسوع على المسرح، بصفته مرتبطاً بابيه، ومعلناً للناس اسم الله الحقيقي.

فالله، يتكلم عنه يسوع غالباً بصفته "الآب الذي ارسلني" (٥:٣٧؛ ٦:٤٤؛ ٨:١٦، ١٨؛ ١٢:٤٩؛ ١٤:٢٤). ويسوع يعلن انه تلقى كل شيء من هذا الآب: اسمه (١٧:١١-١٢)، مجده (١٧:٢٢، ٢٤)، العمل الذي اعطاه ان يحققه (٥:٣٦؛ ١٧:٤). فلقد اعطى للابن ان تكون له الحياة في ذاته (٥:٢٦). وهذه الحميمية العميقة التي تجعل الآب متحداً بالابن، لا تُستَهلك بشكل اناني في علاقة تنافس. انها موجّهة الى الخارج: الآب وَكَل الى ابنه كل هؤلاء المؤمنين (٦:٣٧، ٣٩)، لكي لا يهلك احد. فعلى مثال الخراف الموكلة الى راع: يصبح كل المؤمنين تحت حماية الآب والابن المزدوجة: "انا والآب واحد" (١٠:٣٠). فيسوع هو عطية الآب للبشر (٦:٣٣). والتجسد يجعل البشر يعرفون، لا فقط ان الله ويسوع هما متحدان بشكل وثيق في علاقة فريدة: اب/ابن؛ ولكن، وبالاخص، ان هذا الحب يفيض على البشر؛ وعلى هذا النحو يكشف عن هوية الله الحقيقية: "الله احب العالم حتى جاد بابنه الوحيد" (يوحنا ٣:١٦).

بهذا الشكل، يصف انجيل يوحنا اتحاداً وثيقاً بين الاب والابن: فالابن لا يعمل ولا يقول إلا ما رآه وسمعه وتعلّمه لدى الآب (٨:٢٨، ٣٨، ٤٠؛ ١٢:٤٩؛ ١٥:١٠). وفي الواقع، لقد سلمه الآب كل شيء (١٣:٣)، ومن رأى يسوع

رأى الآب؛ ألم يقل يسوع لفيلبس: "من رآني رأى الآب"، فكيف تقول: أرِنا الآب؟ ألا تؤمن باني في الآب وانّ الآب فيّ؟" (١٤:٩-١٠). وحين يعود يسوع الى الله، يوضح انه يذهب "إلى ابي وابيكم، الهي والهكم". فالمؤمن المولود من الروح اصبح "ابن الله" (٢٠:١٧). إلا ان هذه البنوّة بالتبني ليست مطابقة لبنوّة "الابن الوحيد" (١:١٤) الموجود منذ الازل. فمن الصفحة الاولى من الكتاب المقدس حتى الاخيرة، نشهد كشفاً تدريجياً عن الله. ويسجّل انجيل يوحنا المرحلة الاخيرة من هذا الكشف. ذلك ان يسوع يعلن عن كونه كلمة الله الاخيرة. فالكلمة صار بشراً، ولكنه يبقى كلمة الله، معلناً في كشفه ان الله يعتلن في شخصه. ولوصف يسوع، هناك عدة القاب ممكنة: ابن الانسان، الرب. ولكن من المؤكد ان التعبير الافضل عن سر الله، الآب والابن، يكمن في العلاقة بينهما.

ثانيا: يسوع في الفصح (٦:١-٧١)

يقرأ عدد من المؤلفين هذا الفصل قبل الفصل الخامس، وبالضبط بعد ٥:٤: "تلك ثانية آيات يسوع، اتى بها بعد رجوعه من اليهودية الى الجليل". لا شك ان الفصل السابع يرتبط موضوعياً (مدح يسوع منذ شفاء المقعد) بالفصل الخامس، وان الفصل السادس يقطع تتابعاً منطقياً.

ويؤلف مجمل هذا الفصل وحدة، ولكنها معزولة في الانجيل، إذ لم يرد في مكان آخر منه قط موضوع "خبز الحياة". ولكن هذا الفصل الطويل، على ما هو، يندرج جيداً في حركة الانجيل الروائية؛ انه يسجّل منعطفاً حاسماً في كرازة يسوع. فان كشفاً هاماً يُجرى على شخص يسوع؛ ذلك ان هويته تتوضح، كما تتبيّن لليهود والتلاميذ ضرورة اتخاذ خيارات واضحة ازاء هذا الذي يدّعي انه "ابن الآب" (٦:٤)، في حين انهم يعرفونه "ابن يوسف" (٦:٤٢). وهكذا يجد القارئ ذاته بازاء مشهد يتداخل فيه زمن يسوع وزمن الكنيسة، مع الخيارات ذاتها التي يترتب دوماً على الجميع ان يجددوها ازاء المسيح.

ينقسم هذا الفصل الى ثلاثة اقسام، يتمركز كل منها في مكان مختلف:

١. تكثير الخبزات (آ ١-١٥) ويتم على الجبل؛

٢. السير على الماء (آ ١٦-٢١)، ويتم على البحيرة؛

٣. الخطاب في كفرناحوم (آ ٢٢-٧١) ويجري في المجمع.

أ. تكثير الخبزات (٦:١-١٥)

٦ ١ وعبَرَ يسوعُ بَعدَ ذلك بَحرَ الجَليل (أي بُحَيرَةَ طَبَريَّة).
٢ فتبِعَه جَمعٌ كثير، لما رَأوا منَ الآيات الَّتي أجْراها على المَرْضى.
٣ فصَعدَ يسوعُ الجَبَل وجَلَسَ مع تلاميذه.
٤ وكانَ قد اقتَرَبَ الفصحُ، عيدُ اليَهود.
٥ فرَفَعَ يسوعُ عَينَيه، فرأى جَمعاً كثيراً مُقبلاً إلَيه. فقالَ لِفيلبُّس: "مِن أينَ نَشتَري خُبزاً ليأكُلَ هؤلاء
٦ وإنَّما قالَ هذا لِيمتَحنَه، لأنَّهُ كانَ يَعلَمُ ما سَيَصنَع.
٧ أجابَه فيلبُّس: "لو اشتَرَينا خُبزاً بِمائَتي دينار، لما كفَى أن يَحصُلَ الواحِدُ مِنهُم على كسرَة صَغيرة".
٨ وقالَ له أحَدُ تَلاميذه، أندَراوَس أخو سِمْعانَ بُطرُس:
٩ هُنا صَبيٌّ معَهُ خَمسَةُ أرغفَة من شَعير وسَمَكتان، ولكن ما هذا لمثل هذا العَدَد الكَبير؟
١٠ فقالَ يسوع: "أقعِدوا النَّاس". وكان هُناكَ عُشبٌ كَثير. فَقَعَدَ الرِّجالُ وكانَ عَدَدُهم نَحوَ خَمسةَ آلاف.
١١ فأخَذَ يسوعُ الأرغِفَةَ وشَكَر، ثُمَّ وزَّعَ مِنها على الآكِلين، وفَعَلَ مِثلَ ذلك بالسَّمَكَتين، على قَدْرِ ما أرادوا.
١٢ فلَمَّا شَبِعوا قالَ لتلاميذه: "اجمَعوا ما فَضَلَ منَ الكِسَرِ لئلاَّ يَضيعَ شَيءٌ منها".
١٣ فجَمَعوها ومَلأُوا اثنَتَي عَشْرَةَ قُفَّةً مِنَ الكِسَرِ الَّتي فَضَلَت عنِ الآكِلينَ مِن خَمسَةِ أرغِفَةِ الشَّعير.
١٤ فلَمَّا رأى النَّاسُ الآيةَ الَّتي أتى بِها يسوع، قالوا: "حَقاً، هذا هوَ النَّبيُّ الآتي إلى العالَم".
١٥ وعَلِمَ يسوعُ أنَّهم يَهُمُّونَ باختِطافِه لِيُقيموهُ مَلِكاً، فانصَرَفَ وعادَ وَحدَه إلى الجَبَل.

العلاقة مع الازائيين

هذه الرواية هي الاعجوبة الوحيدة التي يرويها الانجيليون الاربعة. فمن المحتمل جداً ان تقليداً قديماً جداً، موازياً لتقليد الازائيين، كان امام يوحنا، وكان يحتوي على هذه المقاطع: تكثير الخبزات، عبور البحيرة، اعلان ايمان بطرس (انظر مرقس ٨). ولكنه طبعها بطابعه الشخصي.

مقدمة (آ ١-٤)

افتتحت الرواية بصيغة غامضة، تصلح في كل مكان، ولكنها مألوفة جداً لدى يوحنا: "بعد ذلك" (ونجدها بهذا المعنى في ٣:٢٢؛ ٥:١، ١٤؛ ٦:١؛ ٧:١؛ ١٩:٣٨؛ ٢١:١). يسوع، التلاميذ، الجمع ("جمع كثير" —وهي عبارة استثنائية لدى يوحنا)، الجبل، على الشاطئ الاخر، زمن الفصح؛ وهكذا، منذ البداية، هناك توضيح بشأن الاشخاص وظروف المكان والزمان. وفي الوقت ذاته نجد موضوع "اتّباع يسوع" مدرَجاً، حتى انه سيصبح المحرّك لكل الفصل. ذلك ان اقتراب عيد الفصح، وتحديد المكان على الجبل، والتذكير بالآيات (شفاء المرضى)، تُحدث في نفوس القراء المتتبعين مقاربة (سوف تتوضح اكثر فاكثر) مع الخروج ومع موسى.

الآية (آ ٥-١٣)

تتمحور الرواية، منذ الانطلاق، حول يسوع. انه الشخص الذي يقود كل شيء: فهو يرى الجمع، ويسأل فيلبس -مع **علمه** بما سوف يفعل- ويأمر بدعوة الناس إلى الجلوس. وهو يحتفظ بالمبادرة، حتى في ما يتعلق بتوزيع الخبزات. وفيما تقوده دوماً معرفته السابقة "**وعلم** يسوع انهم يَهمّون باختطافه ليُقيموه ملكاً" (آ ١٥)، انسحب وحده الى الجبل.

اما الخلفية البيبلية، فهي مضاعفة: لدينا اولاً ذكرى اليشاع (٢ ملوك ٤:٤٢-٤٤) الذي كان قد كثّر **ارغفة الشعير**، حتى "فضل عنهم، كما قال الرب"؛ وبالاخص التذكير **بالمنّ** الذي اعطاه الله لشعبه بكمية محدَّدة. وعلى خلاف زمن الخروج، تهيمن هنا اللامحدودية (فلقد فضلت اثنتا عشرة قفة) والاجواء الرائعة (يذكّر العشب الاخضر بالمراعي الخضراء في المزمور ٢٣:١-٤ حيث سيقود الراعي المسيحاني قطيعه). كما ان زمن الخروج الذي كان اليهود ينتظرون عودته في نهاية الازمنة، ها قد جاء. فالنبي هو هنا، والجمع يريد ان يقيمه ملكاً.

لنضف بان الرواية، مع استنارتها بحدث الخروج، تجعلنا نفكر غالباً **بالافخارستيا**: فالمفردات هي عينها التي كانت جماعة يوحنا قد ألفت سماعها ابان الاحتفالات الافخارستية: "اخذ الارغفة، شكر" (آ ١١). ويوحنا لا يستخدم ولا شك الصيغة التقليدية التي نجدها لدى الازائيين، ولا نجد اثراً لتعبير ("كَسَرَ"). ولكننا نجد الصيغة ذاتها مع غياب لفظة "كسر"، لدى القديس يوستينس. ويسوع، كما في مساء العشاء، هو ذاته

الذي وزّع (وليس التلاميذ كما في النصوص الازائية). "لئلا يضيع شيء" (آ ١٢): تعبّر هذه الملاحظة عن الاهتمام بتجاوز الزمن التاريخي ليسوع. فيسوع يعطي بوفرة (٦:٢) لكي تتمتع الكنيسة ايضاً بهذه العطية. فلقد جاء يسوع "لتكون الحياة للناس، وتفيض فيهم" (١٠:١٠). لذا يجب ان يكون هناك ما يكفي من الحياة لكل الاجيال المسيحية.

وتختم الرواية بسوء تفاهم. ذلك ان يسوع، عبر الآية، قال شيئاً عن هويته وعن تجذّره في التاريخ المقدس: فهو النبي، كما هو المسيح (١٩:٤، ٢٦). وينفرد يوحنا بين الانجيليين في الاصداء لرد فعل الناس تجاه الآية. فالجمع يشخّص، في يسوع، ذاك النبي الذي اعلن عنه موسى في تثنية ١٥:١٨: "يقيم الرب الهك نبياً مثلي من وسطك، من اخوتك، فله تسمعون". إلا ان اليهود، في زمن يسوع، كانوا منقسمين بشأن دور هذا النبي. لذا هرب يسوع، لأنه ليس نبياً وفق تمنيات الشعب الذي كان في انتظار مسيح ارضي.

من هذه الرواية الاولى، نفهم ان يوحنا يستعرض، جنباً الى جنب، ثلاثة ازمنة مختلفة: **زمن الخروج** حين ابتدأت مغامرة اسرائيل، **اللقاء التاريخي مع يسوع** -وهو يؤلف فحوى الرواية- **وزمن الكنيسة**. وهذا يعني بالضرورة ان سؤالاً اساسياً يبرز من خلال هذه الاوضاع التاريخية الثلاثة: كيف نؤمن بالله في **البرية** (المن)؟ من خلال **التجسد** (يسوع)؟ في **الكنيسة** (الافخارستيا)؟

ليس هدف يسوع، بحسب يوحنا، التعبير عن تحنّنه على الجمع الذي لا غذاء له، بقدر ما هو الكشف عن هويته الحقيقية؛ لذا دفع يوحنا التلاميذ إلى ما وراء المسرح، كي يركّز روايته كلها على شخصية يسوع القوية، هو الذي يقود الاحداث ويفسّرها. وتُسفر الرواية عن فشل؛ غير ان تتمتها ستحاول ان تُنجح الكشف، عبر التعمّق في رمزية الخبز الحاضرة في الآية. وحينذاك سنعلم ان ذاك الذي كان يعطي الخبز هو ذاته خبز للبشر.

ب. السير على المياه (٦:١٦-٢١)

١٦ **ولَمَّا جاءَ المَساء. نَزَلَ تَلاميذُه إلى البَحر.**
١٧ **فرَكِبوا سَفينةً وأَخَذوا يَعبُرونَ البُحَيرَةَ إِلى كفَرناحوم. وكانَ الظَّلامُ قَد خَيَّمَ ويسوعُ لم يَلحَقْهم بَعْد.**
١٨ **وهَبَّت ريحٌ شَديدة، فاضطَرَبَ البَحر.**
١٩ **وبَعدَ ما جَذَّفوا نَحوَ خَمسٍ وعِشرينَ أَو ثَلاثينَ غَلَوة، رأَوا يسوعَ ماشياً على البَحر، وقَدِ اقتَرَبَ مِنَ السَّفينَة، فخافوا.**

٢٠ **فقالَ لَهم: أَنا هو: لا تَخافوا**
٢١ **"فَأَرادوا أَن يُصعِدوه إِلى السَّفينَة، فإِذا بِالسَّفينَةِ قد وَصَلَت إِلى الأَرضِ الَّتي كانوا يَقصِدونَها.**

هذا المقطع لغزي الى حد كبير: ما هي علاقته مع ما تقدّمه ومع ما تلاه؟ ففي الاناجيل الازائية (متى ١٤:٢٢)، هو يسوع ذاته "أجبر التلاميذ ان يركبوا السفينة ويتقدموه الى الشاطئ المقابل حتى يصرف الجموع". ويمكننا ان نرى في ذلك رواية **انتقالية** بحصر المعنى. غير ان الهدف الذي كان ماثلاً في بداية الرواية نجده قائماً الآن: ذلك ان السير وراء يسوع لم ينجح؛ والتلاميذ هم وحدهم -وقد تُركوا لوحدهم- بينما الجمع ما زال يبحث عن يسوع (٦:٢٤). وهوذا ستار يزاح عن هوية يسوع السرية: فالمشهد يجري **ليلاً** (آ ١٧)، وهو الوقت المناسب للكشف. يقترب يسوع ماشياً على المياه؛ وهذا يعني انه تحرر من قوانين الطبيعة: فالماء الذي يفصل اصبح طريقاً يجمع. وبوسعنا ان نرى في ذلك تلميحاً اضافياً الى الخروج، وبنوع خاص الى عبور البحر الاحمر: هناك ايضاً، كان الماء قد تحوّل الى طريق للعبرانيين (خروج ١٤).

وهناك تفصيل آخر يدعم هذه القراءة: "واخذ التلاميذَ خوفٌ" (آ ١٩)، وتلك علامة على انهم قرأوا في هذا المقطع تدخّل الله. ويأتي كلام يسوع المُطَمئن بهذه العبارة: "انا هو"؛ وباليونانية "*Egô eimi*". بهاتين اللفظتين، كثيراً ما عبّر اشعيا الثاني عن اسم يهوه. وهكذا، أُدخلت، في كشف يسوع التدريجي عن ذاته، حلقة اضافية سريعة ولا شك، ولكنها هامة: انه موسى الجديد، اليشاع الجديد، ولكنه ايضاً كائن الهي يختص لنفسه اسم الله، ويترع الخوف، على مثال الله في ايحاءاته. فلقد قيل في المزمور ٧٧:٢٠: "في البحر طريقك، وفي المياه الغزيرة سُبلك، والارض ارتعدت وتزلزلت".

ج. خطاب في كفرناحوم (٦:٢٢-٧١)

يسوع خبز الحياة (٦:٢٢-٥٩)

بين خطاب الكشف ورواية الاعجوبة، هناك اختلافات واضحة في الاسلوب والمضمون، مما حمل بعضهم على البحث عن جذور خطاب الكشف في مواعظ مسيحية بُنيت على نموذج المواعظ اليهودية. ذلك ممكن؛ الا ان هناك وحدة روائية للمجموع يجب

التأكيد عليها. فمن البداية حتى النهاية، يتابع يسوع الهدف ذاته: ان يعرفه شعبه؛ ولانه فشل في الكشف عن ذاته عبر الاعجوبة، فها هو يسعى من ثم الى تحقيق ذلك عبر الخطاب: وهكذا يَنتمي الخطاب والرواية معاً الى الاستراتيجية ذاتها.

ملاحظات بشأن النص. المنطق الذي يختفي وراء هذا الفصل ليس امراً بديهياً. فذلك يتعلق بحجم النص، وبالمنطق الخاص باللغات السامية، كما يتعلق ولا شك بهيكلية النص في الاصل (قد يكون موعظة). ولتسهيل قراءته، أتوقف عند النقاط المرجعية في النص والتي يجدر بالقارئ أن يعتمدها.

انتقال (آ ٢٢-٢٥)

٢٢ **وفي الغَد، رأى الجَمعُ الّذي باتَ على الشّاطئِ الآخَر أن لم يَكُنْ هُناكَ إلاّ سَفينةٌ واحِدة، وأنّ يسوعَ لم يَرْكَبْها معَ تَلاميذه، بل ذهَبَ التّلاميذُ وَحدَهُم،**

٢٣ **على أنّ بَعضَ السُّفُنِ وصَلَت مِن طَبَريَّة إلى مكانٍ قَريبٍ مِنَ المَوضِعِ الّذي أكلوا فيه الخُبز، بعد أن شَكَرَ الرَّبّ.**

٢٤ **فلَمّا رأى الجَمعُ أنّ يسوعَ لَيسَ هُناك، ولا تَلاميذَه، رَكِبوا السُّفُنَ وساروا إلى كَفَرناحوم يَطلُبونَ يسوع.**

٢٥ **فلَمّا وَجَدوه على الشّاطِئِ الآخَر قالوا له: "رَبّي، متى وَصَلتَ إلى هُنا؟".**

بين الجبل حيث فشل كشف يسوع عبر الآية، وبين المجمع حيث بلغ هذا الكشف ذروته، يصبح عبور البحر بمثابة انتقال ليسوع وللجمع الذي ما زال يواصل بحثه. فلقد انقضى يوم على الآية، وهوذا الشعب والتلاميذ معاً يلتحقون بيسوع ليصغوا الى التعليم الاكبر في مجمع كفرناحوم. ولا يوضح الراوي كيف استطاع الـ ٥٠٠٠ رجل ان يعبروا البحر: ذلك ان مثل هذا التفصيل، "مع معقوليته"، لا يهمه كثيراً. وان ذكر "فعل الشكر" (آ ٢٣) الذي رفعه يسوع يدعم القراءة الافخارستية للمقطع. فيسوع هو، بالنسبة الى الجمع، "رابي"، وهذا يوحي بلاهوت يهودي لا غش فيه، شبيه بلاهوت نيقوديمس الذي كان قد دعا يسوع "رابي"، ذاك الذي كان يصنع آيات (٢:٣).

ا. الحق الحق اقول لكم (آ ٢٦-٣١)

٢٦ فأجابَهم يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: أَنتُم تَطلُبونَني، لا لأَنَّكم رَأَيتُمُ الآيات: بلِ لأَنَّكم أَكَلتُمُ الخُبزَ وشَبِعتُم.

٢٧ لا تَعمَلوا للطَّعامِ الَّذي يَفْنى بلِ اعمَلوا للطَّعامِ الَّذي يَبْقى فَيَصيرُ حَياةً أَبَدِيَّة ذاكَ الَّذي يُعطيكموهُ ابنُ الإنسان فهوَ الَّذي ثَبَّتَه الآبُ اللهُ نَفْسُه، بِخَتْمِه".

٢٨ قالوا له: "ماذا نَعمَلُ لنَقومَ بأَعمالِ الله؟".

٢٩ فأَجابَهُم يسوع: "عَمَلُ اللهِ أَن تُؤمِنوا بمَن أَرسَل".

٣٠ قالوا له: "فأَيُّ آيةٍ تَأتينا بها أَنتَ فَنَراها ونُؤمِنَ بكَ؟ ماذا تَعمَل؟

٣١ آباؤُنا أَكَلوا المَنَّ في البَرِّيَّة. كما وَرَدَ في الكِتاب: *"أَعْطاهم خُبزاً مِنَ السَّماءِ لِيَأكُلوا"*.

كشف: رؤية الآيات (آ ٢٦)
الطعام للحياة الابدية (آ ٢٧)
الذي يعطيه ابن الانسان (آ ٢٧)
هو الذي ثبّته الآب (آ ٢٧)

عدم الايمان: الأكل حتى الشبع
الطعام الفاني
أية آية تعمل؟
آباؤنا

ان تأنيب الآية ٢٦ ("وليس بسبب الآيات") يبدو وكأنه يناقض الآية ٢ (لانهم رأوا الآيات). وبوسعنا ان نجعل تناغماً بين هذين التأكيدين اللذين اقاما تعارضاً بين البحث عما هو عجيب وخارق (الآيات في آ ٢)، وبين المعنى العميق للآية بصفتها علامة على سر يسوع الذي يخفى عن الجمع: ففي هذا المقطع، لم يكشف يسوع عن ذاته بعدُ إلا بشكل غير مباشر، عبر ذكر صورة ابن الانسان المرتبطة بنهاية الازمنة. فماذا؟ الايمان ام الاعمال؟ ويجيب يسوع هنا: لا واحد دون الآخر، طالما ان الايمان هو ذاته عمل، لا بل هو الاعظم بين اعمال الله.

فيسوع واليهود يشتركون في تاريخ واحد. فلقد قال اليهود ليسوع: "آباؤنا". غير ان التضاد يتهيأ منذ الآن بين المنّ والخبز الحقيقي النازل من السماء.

٢. الحق الحق اقول لكم (آ ٣٢-٤٦)

٣٢ فقالَ لَهم يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: لم يُعطِكُم موسى خُبزَ السَّماء بل أَبي يُعطيكُم
خُبزَ السَّماء الحَقّ
٣٣ لأَنَّ خُبزَ اللهِ هُوَ الَّذي يَنزِلُ مِنَ السَّماء ويَهَبُ الحَياةَ لِلعالَم".

٣٤ فقالوا له: "يا رَبّ، أَعطنا هذا الخُبزَ دائماً أبداً".
٣٥ قالَ لَهُم يسوع: "أَنا خُبزُ الحَياة. مَن يُقبِلْ إِليَّ فَلَن يَجوع ومَن يُؤمِنْ بي فلَن يَعطَشَ أَبَداً.
٣٦ على أَنّي قُلتُ لَكم: رَأَيتُموني ولا تؤمنون.
٣٧ جَميعُ الَّذينَ يُعطيني الآبُ إِيَّاهُم يُقبلونَ إِليَّ ومَن أَقبَلَ إِليَّ لا أُلقيه في الخارج
٣٨ فقَد نَزَلتُ مِنَ السَّماء لا لأَعمَلَ بمَشيئَتي بل بمَشيئَة الَّذي أَرسَلَني.
٣٩ ومَشيئَةُ الَّذي أَرسَلَني أَلاَّ أُهلكَ أَحَداً من جَميعِ ما أَعْطانيه بل أُقيمُه في اليَوم الأَخير.
٤٠ فمَشيئةُ أَبي هيَ أَنَّ كُلَّ مَن رَأَى الابنَ وآمَنَ به كانَت له الحياةُ الأَبَديَّة وأَنا أُقيمُه في اليَومِ
الأَخير".

٤١ فتَذَمَّرَ اليَهودُ علَيه لأَنَّه قال: "أَنا الخُبزُ الَّذي نَزَلَ مِنَ السَّماء"،
٤٢ وقالوا: "أَليسَ هذا يسوعَ ابنَ يُوسُف، ونَحنُ نَعرِفُ أَباهُ وأُمَّه؟ فكَيفَ يَقولُ الآن: "إِنّي
نَزَلتُ مِنَ السَّماء؟"
٤٣ أَجابَهم يسوع: "لا تَتَذمَّروا فيما بَينَكم.
٤٤ ما من أَحَدٍ يَستَطيعُ أَن يُقبِلَ إِليَّ، إِلاّ إِذا اجتَذَبَه الآبُ الَّذي أرسَلَني. وأَنا أُقيمُهُ في اليَومِ
الأَخير.
٤٥ كُتبَ في أَسفارِ الأَنبياء: *وسَيَكونونَ كُلُّهم تَلامِذَةَ الله*. فَكُلُّ مَن سَمِعَ لِلآب وتَعلَّمَ منه
أَقبَلَ إِليَّ.
٤٦ وما ذلِكَ أَنَّ أَحَداً رأَى الآب سِوى الَّذي أَتى مِن لَدُنِ الآب فهو الَّذي رأَى الآب.

كشف: لا موسى، بل ابي (آ ٣٢)
وخبز السماء الحقيقي
خبز الله، الخبز النازل من السماء (آ ٣٣)
هو الذي يعطي الحياة للعالم
سوء تفاهم: اعطنا دوماً (آ ٣٤)
كشف: انا خبز الحياة (آ ٣٥)

مَن يُقبل إليّ لن يجوع
من يؤمن بي لن يعطش ابداً
الذي **يعطيني** الاب اياهم (آ ٣٧)
مشيئة **ابي**: ان أُقيمهم (آ ٣٩)

عدم الايمان: يرى ولا يؤمن (آ ٣٦)
تذمروا (آ ٤١)
أليس هذا يسوع ابن يوسف؟ (آ ٤٢)
كيف يقول؟

كشف: ما من احد يستطيع ان يُقبل إليّ إلا إذا اجتذبه الآب (آ ٤٤)
أُقيمه في اليوم الاخير
لا احد رأى الآب. هو وحده رأى الآب (آ ٤٦).

هوذا الكشف يصبح اكثر إلحاحاً ومركّزاً على يسوع، وقد بدأ مجدّداً بهذه الصيغة الاحتفالية: "الحق الحق اقول لكم". وتلميح اليهود الى المن كان مدخلاً الى خطاب يسوع حول "خبز السماء". فكما كان اليهود قد تلقّوا المن بمثابة علامة للكلمة والكشف، هكذا يسوع، الخبز النازل من السماء، هو الكشف الحاسم للبشر. ولقد افتُتح هذا المقطع الطويل بألفاظ سوف تكرّر في القسم الثالث منه (آ ٤٧-٥٢)، كما تبرزه المَوازاة التالية للآيات ٣٣ و٥١-٥٢:

خبز الله (آ ٣٣)

هو *الذي* **يترل من السماء**

ويعطي

الحياة للعالم

أنا (آ ٥١)

الخبز الذي **نزل من السماء**

والخبز الذي *سأعطيه*

هو لحياة العالم

من البديهي ان خطاب يسوع في الخبز، في السياق التاريخي، لا يمكن ان يعني الافخارستيا مباشرة، لانها لا تُفهم قبل العشاء الاخير وقبل موت يسوع وقيامته. فنحن، إذن، بصدد كشف مشخَّص في الانسان يسوع. ولما كان الخطاب قد حُرّر بعد القيامة، وبمفردات أُضفت عليها ممارسة الافخارستيا معنى، فمن الواضح ان مجمل الفصل ٦ هو خطاب يذكّر، في آن واحد، بالايمان وبالافخارستيا؛ وبنسبة تنقلب اعتباراً من الآيتين ٥١-٥٢، حين تصبح النبرة الافخارستية مهيمنة، بينما كان الايمان بيسوع، الكاشف، هو الاول حتى الآن. لقد كان العهد القديم، بطيب الخاطر، يشبّه الكلام بالغذاء: هكذا الحال مع عاموس: "ها انها تأتي ايام يقول السيد الرب: ارسل فيها الجوع على الارض، لا الجوع الى الخبز ولا العطش الى الماء، بل الى استماع كلمة الرب" (٨:١١). وتذكّر لغة الغذاء ايضاً بالحكمة في العهد القديم: "الذين يأكلونني، لا يزالون يجوعون، والذين يشربونني لا يزالون يعطشون" (٢٤:٢١). وبوسعنا ان نقرأ ايضاً امثال ٩:٥.

فالحياة التي يعطيها يسوع، انما هي عطية مباشرة ووعد بالقيامة في اليوم الاخير. ذلك ان الاسكاتولوجيا المباشرة ورهان الحياة الابدية يُمنحان بالايمان بيسوع.

وتستشف خلفية الخروج في الكلمات المستخدمة للتعبير عن مقاومة اليهود: انهم يتذمّرون" (وتترجم اللفظة بـ "يقاومون"، آ ٤١)، كما كان آباؤهم يصنعون في البرية (خروج ١٦:٢، ٧؛ ١٧:٣). انهم يحتجّون "بحسب الجسد": كيف يمكن "لابن يوسف" (آ ٤٢)، وهو الكائن من لحم ودم، ان يدّعي انه ابن الآب؟

٣. الحق الحق اقول لكم (آ ٤٧-٥٢)

٤٧ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: مَن آمَنَ فلَهُ الحَياةُ الأَبَدِيَّة
٤٨ أَنا خُبزُ الحَياة.
٤٩ آباؤُكُم أَكَلوا المَنَّ في البَرِّيَّة ثُمَّ ماتوا.
٥٠ إِنَّ الخُبزَ النَّازِلَ مِنَ السَّماء هوَ الَّذي يأكُلُ منه الإِنسانُ ولا يَموت.
٥١ أَنا الخُبزُ الحَيُّ الَّذي نَزَلَ مِنَ السَّماء. مَن يَأكُلْ مِن هذا الخُبزِ يَحيَ لِلأَبَد. والخُبزُ الَّذي سأُعْطيه أَنا هو جَسَدي أَبذُلُه لِيَحيا العالَم".
٥٢ فخاصَمَ اليَهودُ بَعضُهم بَعضاً وقالوا: "كَيفَ يَستَطيعُ هذا أَن يُعطِيَنا جسدَه لِنأكُلَه؟".

كشف: من آمن فله الحياة الابدية (آ ٤٧)
انا خبز الحياة (آ ٤٨)
آباؤكم اكلوا في البرية ثم ماتوا (آ ٤٩)
الخبز النازل من السماء
أنا الخبز الحي الذي نزل من السماء (آ ٥١)
من يأكل من هذا الخبز يحيَ الى الابد
والخبز الذي سأعطيه انا، هو جسدي ابذله
ليحيا العالم

عدم الايمان: خاصم اليهود بعضهم بعضاً: **كيف** يستطيع هذا
ان يعطينا جسده لنأكله (آ ٥٢)؟

يتدرّج الكشف وفق النهج السامي، في حركة لولبية، تكرّر الامور فيما تعمّقهُا. والآيتان ٣٣ و٥١ هما متوازيتان؛ وهنا ايضاً كانت الاولوية للايمان بيسوع الذي يدّعي انه كلمة الله النازلة من السماء. ولكن في آ ٥١، نرى بغتة ان ذكر الموت، بصفته نبع حياة، يتوضح: "الخبز الذي سأعطيه انا، هو جسدي ابذله ليحيا العالم". ولفظة "جسد" تذكّرنا بمطلع الانجيل ١:١٤: "الكلمة صار جسداً (بشراً)؟ فنحن بالضبط في حضرة التجسّد، وقد عُبّر عنه هنا في ذروته: موت يسوع بصفته نبع حياة للبشر.

الكلمة صار جسداً (بشراً) (١:١٤)

الجسد (البشر) صار خبزاً (٦:٥١)

فبين التجسد، والموت على الصليب، وسر الافخارستيا، هناك تواصل واضح. في هذا المقطع، يُعرض الكشف على البشر، مع الاحتمال ذاته في انه سيلقى رفضاً: هنا، "يتجادل" اليهود، بحثاً عن معقولية ("كيف")، عوضاً عن يكونوا مستعدين لقبول السر.

٤. الحق الحق اقول لكم (آ ٥٣-٥٩)

٥٣ **فقالَ لَهم يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: إِذا لم تَأكُلوا جَسدَ ابنِ الإِنسانِ وتَشرَبوا دَمَه فلَن تَكونَ فيكُمُ الحَياة.**

٥٤ **مَن أَكل جَسَدي وشرِبَ دَمي فلَه الحَياةُ الأَبديَّة وأَنا أُقيمُه في اليَومِ الأَخير.**

٥٥ لأَنَّ جَسَدي طَعامٌ حَقّ وَدمي شَرابٌ حَقّ
٥٦ مَن أَكَلَ جَسدي وشَرِبَ دَمي ثَبتَ فيَّ وثَبتُّ فيه.
٥٧ وكما أَنَّ الآبَ الحَيَّ أَرسَلَني وأَنّي أَحْيا بالآب فكَذلكَ الَّذي يأكُلُني سيَحْيا بي.
٥٨ هُوَذا الخُبزُ الَّذي نَزَلَ مِن السَّماء غَيرُ الَّذي أَكلَهُ آباؤُكُم ثُمَّ ماتوا. مَن يأكُلْ هذا الخُبْـز يَحيَ لِلأَبَد".
٥٩ قالَ هذا وهو يُعلِّمُ في المجمَعِ في كَفَرْناحوم.

كشف:

مَن أكل جسدي وشرب دمي،
فله الحياة الابدية (آ ٥٤)
أنا أُقيمه
جسدي طعام حق، دمي شراب حق (آ ٥٥)
من اكل ... ثبت (آ ٥٦)
آباؤكم اكلوا؛ ثم **ماتوا** (آ ٥٨)
من يأكل هذا الخبز يحيَ للابد

في هذا القسم الاخير من خطاب يسوع، تهيمن المفردات الافخارستية، وبواقعية لا يمكن ان تُفهم إلا في زمن الكنيسة. ذلك ان يوحنا، بين آ ٥٣ وآ ٥٤-٥٦، عوضاً عن لفظة "اكل" التقليدية، استخدم لفظة عارية: "مضغ، قضم"، مشدّدة بالاكثر على الامتلاك والاستبطان الضروريَين. وفي هذه الحالة، يكون هذا القسم من الخطاب قد تأثّر بالجدالات في الجماعة اليوحنانية بصدد الواقعية الافخارستية. وتتبادر الى الذهن تلك الاوساط الغنوصية و"الظاهرية" (*docétistes*) التي كانت ترفض وساطة الاسرار للالتقاء بيسوع. فالافخارستيا، الجسد والدم، تمنح المؤمن الموهبتين اللتين كان المؤمنون، في زمن يسوع، يبحثون عنهما: الحياة الابدية منذ الآن، واستمرار البقاء مع يسوع، أي "الثبات" الذي كان اليهود الباحثون عن يسوع يسعون اليه (البحث عن يسوع) دون ان يبلغوه. وان ذكر كفرناحوم، مرة ثانية، هو بمثابة "تطويق" للنص في البداية (٦:٢٤) والنهاية (آ ٥٩). ذلك ان الكشف انتهى هنا، ولكنه لن ينتهي من ممارسة مفاعليه.

اليكم، في الخاتمة، بعض الافكار المنسّقة التي تقدّم مفاتيح تمكّن من استيعاب افضل لمنطق هذا الخطاب الكبير:

١. يجب ان يُفهم من خلال علاقته بالاعجوبة السابقة. فيسوع كان قد اقترح آية تندرج بمثابة امتداد للمن ولمعانيه. ذلك ان هوية يسوع ووضعه في نظر الديانة اليهودية، ولا سيما بالنسبة الى الاحداث المؤسِّسة للخروج، كان في القلب من النقاش. الا ان هذه الرغبة في ان يُعترَف به، أخفقت. لذا يحاول الخطاب أن يُنجح ما لم يستطع ان يحققه العمل.

٢. هذا الكشف مؤطّر وموزون باربع عبارات مكررة "**الحق الحق اقول لكم**". وحين نتخذها كمؤشر لتدرّج الفكرة، سيكون بوسعنا ان نحترم منطق النص. ونلاحظ ان كل وحدة، انما هي مكوّنة من كشف ومن ظاهرة عدم ايمان، ما عدا الاخيرة التي هيمنت عليها كلمة يسوع الكاشفة.

٣. تحملنا ظاهرة عدم الايمان الملحة على الاعتقاد باننا ازاء نص جدالي ودفاعي. فالموقف الجدلي يُعرف من الوضع الذي يوصف به اليهود ومن الوجوه الكبرى في اسرائيل. ذلك ان عبارة "**آباؤكم**" التي تتردد مرات عديدة تشير الى القطيعة الحاسمة بين اليهود والمسيحيين الذين هم الناطقون الآن. وتحيلنا مثل هذه الصيغة الى زمن الجماعة، وليس الى الزمن التاريخي ليسوع. وهناك صيغ اخرى تؤكد على هذا الانطباع، وبالاخص التضاد الملح بين المنّ، بصفته غذاء للموت -آباؤكم اكلوا وماتوا" (آ ٤٩)- وبين يسوع، بصفته "الخبز الذي يعطي الحياة للعالم" (آ ٣٣).

٤. لا غرو ان شخص يسوع هو في القلب من كل هذا التوسّع. فبين الاقسام الاربعة، نلمس تدرّجاً واضحاً في الكشف.

في **القسم الاول** (آ ٢٦-٣١)، يعرض يسوع كشفاً يتكلم فيه عن ذاته في صيغة المجهول، دون ان يقول البتة "انا". وكان اليهود شهوداً لآية مبينة، لا بل كانوا مستفيدين منها. ولكنهم برهنوا على انهم غير قادرين ان يروا في يسوع إلا ما كانوا ينتظرون: مسيحاً ارضياً. فهم، كي يدركوا الحاضر، لم يستطيعوا ان يجدوا مقياساً غير مقياس الماضي: آباؤنا أكلوا المنّ (آ ٣١).

القسم الثاني (آ ٣٢-٤٦) يضع، في المرتبة الاولى، الله الآب ولا سيما ابنه "هذا الذي نزل من السماء" (آ ٣٣). ونلاحظ ان يسوع يحوّل الانتباه الى شخصه: ونلمس ذلك عبر استعمال ضمير المتكلم ١٨ مرة على الاقل. والهدف: هو الايمان بان الله يكشف عن ذاته ويمنح ذاته في شخص الانسان يسوع (" ابن يوسف الذي نعرف اباه وامه، آ ٤٢). فأن نؤمن بيسوع، معناه ان نحيا منذ الآن، وحتى القيامة العامة.

القسم الثالث (آ ٤٧-٥٢) يكرر، عبر اسلوب ساميّ، المواضيع المطروحة سابقاً ويوضحها: الآب الذي منه تسلّم الابن كل شيء، لا نجد له ذكراً في هذا المقطع؛ ذلك ان يسوع هنا يتحدث عن ذاته، ويُدرج موضوع موته بمثابة نبع حياة للعالم. فالطرح -وهو متمحور حتى الآن على الايمان بيسوع- يذكر موت يسوع ويوحي بالافخارستيا بصفتها سر ذكر موته.

اما **القسم الاخير** (آ ٥٣-٥٩)، فيتحدث بوضوح عن الافخارستيا. والكلمات المستخدمة هي في منتهى الواقعية: الحديث عن اكل جسد (حرفياً "مضغ"). ونجدنا هنا بوضوح في زمن الكنيسة: ذلك ان الاحتفال بالافخارستيا هو الفعل الذي يفحم الظاهريين (تلك الهرطقة التي تقول ان يسوع تظاهر انه انسان، او شبه انسان)، كما انه التأكيد السرّي على واقعية التجسّد.

٥. هذا الكشف لسر يسوع -وقد تعمّق اكثر فاكثر- يتزامن مع تناقص تدريجي في عدد التلاميذ. هم اليهود، اولاً، الذين "يتذمرون" (آ ٤١)، كما كان العبرانيون في البرية من قبل (خروج ١٧:٣). ومن ثم هوذا التلاميذ يتناقصون: "ارتد كثير من تلاميذه وانقطعوا عن السير معه" (آ ٦٦)؛ واخيراً، فان عدم الايمان شقّ طريقه الى الاثني عشر. وبالرغم من اعتراف بطرس الرائع، يُختم الفصل بنبرة تشاؤمية: "هو يهوذا، احد الاثني عشر، الذي ازمع ان يسلّمه" (آ ٧١).

٦. يدور مجمل الفصل حول السؤال: "كيف نجد يسوع؟". فالجمع الذي يتبعه، اعتبر انه لقيه، بحيث اصبح بوسعه ان "يختطفه عنوة" (آ ١٥). وفيما هرب يسوع، هوذا الجمع يذهب في "طلبه" (آ ٢٥). والجمع، بعد ان لقيه في المجمع، اخذ يختبر احتمال فقدانه بسبب ادّعاءاته التي بدت انها تجاوزت الحدود. فكانوا، بالتناوب، "يتجادلون"، ثم ينصرفون. وكان بوسع الافخارستيا، بالنسبة الى المسيحيين العائشين بعد غياب يسوع، أن تحقق هذا اللقاء الذي يقوم في "الثبات فيه" (آ ٥٧). وبطرس، بصفته الناطق باسم الاثني عشر، يبقى معه، وقد عرف ان "عنده كلام الحياة الابدية" (آ ٦٨).

هذا الفصل الطويل والعسير، لَكَم اختلف المفسرون في الكشف عن معناه. كما سبق ان تخاصم آباء الكنيسة بشأن البُعد الافخارستي للرواية. فأكد بعضهم ان صور الغذاء كانت رمزاً للايمان. ورأى فيه بعضهم معنى افخارستياً، ولا سيما في الآيات ٥٣-٥٨. اما اليوم فالاختلافات بين المفسرين تبدو اقل حدّة، بمقدار ما يُقرّ أغلبهم بتأثير الكنيسة في هذا النص. ذلك ان التلميحات الافخارستية بنوع خاص -وهي لا تُفهم في

إطار حياة يسوع- تصبح ممكنة وبديهية في اعقاب تأسيس الافخارستيا وممارستها السرّية في الكنيسة.

الايمان ورفضه لدى التلاميذ (آ ٦٠-٧١)

٦٠ فقالَ كَثيرٌ من تَلاميذه لَمَّا سَمعوه: "هذا كَلامٌ عَسير، مَن يُطيقُ سَماعَه؟"
٦١ فعَلمَ يسوعُ في نَفْسه أَنَّ تَلاميذَه يَتَذَمَّرونَ من ذلك، فقالَ لَهم: "أَهذا حَجَرُ عَثرَةٍ لكُم؟
٦٢ فكَيفَ لو رَأَيتُمُ ابنَ الإِنْسان يَصعَدُ إِلى حَيثُ كانَ قَبلاً؟
٦٣ إِنَّ الرُّوحَ هو الَّذي يُحيي، وَأَمَّا الجَسَدُ فلا يُجْدي نَفْعًا، والكَلامُ الَّذي كلَّمتُكُم به رُوحٌ وحَياة،
٦٤ ولكنَّ فيكم مَن لا يُؤمنون". ذلكَ بِأَنَّ يسوعَ كانَ يعلَمُ مَنذُ بَدءِ الأَمْرِ مَنِ الَّذينَ لا يُؤمنون ومَنِ الَّذي سَيُسلمُه.
٦٥ ثُمَّ قَال: "ولِذَلِكَ قُلتُ لَكُم: ما مِن أَحَدٍ يَستَطيعُ أَن يُقبِلَ إِليَّ إِلاَّ بِهبَةٍ مِنَ الآب".

٦٦ فارتدَّ عندَئذ كثيرٌ من تَلاميذه وانقَطعوا عنِ السَّير معَه.
٦٧ فقالَ يَسوعُ للاثْنَيْ عَشَر: "أَفلا تُريدونَ أَن تَذهبَوا أَنتُم أَيضاً؟"
٦٨ أَجابَهُ سمْعانُ بُطرُس: "يا ربّ، إِلى مَن نَذهَب وكَلامُ الحَياةِ الأَبَديَّة عِندَك؟
٦٩ ونَحنُ آمَنَّا وعَرَفنا أَنَّكَ قُدُّوسُ الله".
٧٠ أَجابَهم يسوع: "أما أنا اختَرتُكُم أَنتُمُ الاثنَيْ عَشَر؟ ومعَ ذلك فواحدٌ منكم شَيطان".
٧١ وأَرادَ بِه يَهوذا بنَ سِمْعانَ الإِسخَريوطيّ فهُوَ الَّذي سيُسلِمُه، معَ أَنَّه أَحَدُ الاثنَي عَشَر.

رد الفعل:

كثير من التلاميذ قالوا: لا يمكن الاستمرار في الاصغاء إليه (آ ٦٠)
ارتدّ **كثير من التلاميذ** وانقطعوا عن السير معه (آ ٦٦)
قال يسوع للاثني عشر: ألا تريدون ان تذهبوا (آ ٦٧)
يا رب، إلى مَن نذهب؟
عندك كلام الحياة الابدية (آ ٣٨)
نحن آمنا وعرفنا
انك قدوس الله
قال يسوع: واحد منكم شيطان (آ ٦٩)

في هذا المقطع، تبرز مردودات خطاب يسوع الرهيبة: الآن، ليس اليهود هم الذين ينفصلون عن يسوع، بل تلاميذ مميزون؛ ونقرأ على دفعتين، ان هناك "كثيرين" يتركون يسوع. ومثل هذه الازمة في العلاقات بين يسوع والتلاميذ، اصدى لها كل الانجيليين. ويحددها الازائيون في وقت اعلان بطرس في قيصرية (مرقس ٨:٢٧-٣٣). وفي الواقع، هناك كثير من النقاط المشتركة بين المشهدين. ويوحنا، كعادته، يتعامل مع المشهد بكثير من الحرية. فهو، حين استخدم لفظة "تلميذ"، يكون قد لمّح الى ازمة تخص جماعته؛ ولكنه، في الوقت ذاته، يسمح لكل قارئ مدعوٍّ الى التتلمذ ان يقيس التزامات الايمان ومكانة الافخارستيا الرئيسة في زمن الكنيسة.

والالحاح بشأن واقعية الافخارستيا المعبَّر عنها في الآيات ٥٣-٥٩، لا ينبغي ان تُعتبر وكأنها تفسير سحري للسّر: "الروح هو الذي يُحيي، اما الجسد فلا يجدي نفعاً" (آ ٦٣). والهدف الاقصى من المشاركة في السر، هو تمكين المؤمن من الدخول في شركة مع يسوع.

ويسوع، في قلب اختبار الحقيقة هذا -وقد شهد تخلي كثيرين- يطلب من اخصائه المقرّبين ان يجددوا خيارهم: هوذا شمعون بطرس، لسان حال الاثني عشر، يعلن تعلّقه بيسوع، في صيغة المتكلم الجمع: "يا رب، الى من نذهب؟". فهو يبقى، مع رفاقه، لأن لدى يسوع "كلام الحياة الابدية". ومن خلاله يعلن الاثنا عشر، احتفالياً، إيمانهم عبر لقب فريد لم يسبق له مثيل: "قدوس الله"، أي ذاك الذي يمتلك، شخصياً، شيئاً من قداسة الله ذاتها. إلا ان الرواية تُختم بذكر الخائن. وهكذا ينتهي الفصل السادس الطويل بنبرة مأساوية تفسح المجال للاعتقاد بان الامانة ليست امراً محقّقاً، بل بوسعها ان تتزلق نحو الخيانة.

ثالثا. يسوع في عيد المظال (٧:١-٨:٥٩)

منذ الفصل ٧، يشتد عداء اليهود ليسوع، وفي الوقت ذاته تترسخ رؤية العودة الى الآب، عبر الآلام. والفصلان ٧ و٨ (باستثناء مقطع المرأة الزانية) يوحّد بينهما عيد المظال. فبالنسبة الى يسوع، يبتدئ هذا العيد (٧:١٠) وينتهي في **"اختفاء" (٨:٥٩)**. وفي الاثناء، يعرض يسوع علناً كشفه لليهود: فلقد **دخل** الى الهيكل في البداية (٧:١٤)، ولكنه **خرج** منه بفشل، في نهاية الفصل (٨:٥٩).

مقدمة: الرحلة السرّية (آ١-١٣)

٧ ١ وجَعَلَ يسوعُ يَسيرُ بَعدَ ذلكَ في الجَليل، ولَم يَشَأْ أَن يَسيرَ في اليَهوديَّة، لأَنَّ اليَهودَ كانوا يُريدونَ قَتلَه.
٢ وكانَ عيدُ الأَكْواخِ عندَ اليَهود قَريباً.
٣ فقالَ لهُ إخوَتُه: "اذهَبْ مِن ههُنا وامضِ إِلى اليَهوديَّة، حتَّى يَرى تَلاميذُكَ أَيضاً ما تَعمَلُ منَ الأَعْمال،
٤ فما منَ أَحَد يَعمَلُ في الخُفيَة إذا أَرادَ أَن يُعرَف. وما دُمتَ تَعمَلُ هذهِ الأَعمال، فأَظهِرْ نَفْسَكَ للعالَم".
٥ ذلك بأَنَّ إخوَتَه أَنفُسَهم لم يَكونوا يُؤمنونَ به.
٦ فقالَ لَهم يَسوع: "لم يَأت وَقْتي بَعْد، وأَمَّا وَقْتُكم فهوَ مُؤات لَكم أَبَداً.
٧ لا يَستَطيعُ العالَمُ أَن يُبغضَكم، وأَمَّا أَنا فيُبغضُني لأَنِّي أَشهَدُ عَليه بأَنَّ أَعمالَهُ سَيِّئَة.
٨ إصعَدوا أَنتُم إِلى العيد، فأَنا لا أَصعَدُ إِلى هذا العيد، لأَنَّ وَقْتي لم يَحِنْ بَعْد".
٩ قالَ هذا ولَبِثَ في الجَليل.
١٠ ولَمَّا صَعِدَ إِخوَتُه إِلى العيد، صَعِدَ هو أَيضاً خُفيَةً لا عَلانيَةً.

١١ فكانَ اليَهودُ يَطلُبونَه في العيد ويَقولون: "أَينَ هو؟"
١٢ والجُموعُ تَتَهامَسُ في شَأنه: فبَعضُهم يَقول: "إِنَّه رَجُلٌ صالِح"، وبَعضُهمُ الآخَرُ يَقول: "كَلاَّ، بل يُضَلِّلُ الشَّعْب".
١٣ ولكِن لم يَتَحَدَّثْ بِه أَحَدٌ جِهاراً خَوفاً منَ اليَهود.

هناك مواضيع هامة مطروحة:

أ) موضوع **التهديد** الذي يطال حياة يسوع (آ ١) يظهر للمرة الاولى في ٥:١٨؛ وسيتوضح في ٧:١٩، ٢٠، ٢٥.

ب) **كان عيد الاكواخ** (او المظال) يذكّر باقامة العبرانيين في البرية (أحبار ٢٣:٤٢-٤٣). الا انه اصبح، بالنسبة الى العبرانيين المستوطنين، عيد الخريف المرتبط بقطاف العنب. ولقد اتخذ هذا العيد مكانة هامة في اسرائيل حتى ان المؤرّخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس تحدث عنه كأنه "العيد الاكبر والاكثر قداسة لدى العبرانيين". كما ان تجديد هيكل سليمان قد تم بمناسبة عيد الاكواخ (١ ملوك ٨:٢) –وهذا ما يدعم علاقة

هذا العيد القديمة بالهيكل. ففي هذا اليوم كان الشعب الاسرائيلي يحتفل بـ "يوم الرب": حين يأتي الملك المسيحاني الى اورشليم ليتلقى الظفر، وهو راكب على جحش (زكريا ٩:٩). فكل شيء في اورشليم طاهر، "ولا يكون من بعدُ تاجر في بيت رب القوات، في ذلك اليوم" (زكريا ٢١:١٤). وكان العيد فرصة لطلب المطر الذي لا غنى عنه لوفرة الحصاد المقبل. لذا، ففي كل يوم، طيلة ايام العيد، كان يجري تطواف، نزولاً الى عين جيحون التي كانت تغذّي بركة شيلوحا، وكانوا يجلبون قليلاً من الماء في كأس من ذهب ليقدموه امام المذبح ويسكبوه امامه؟ وهكذا كانت الجموع تعود صُعُداً في تطواف، حاملين في اليد اليمنى سعف نخيل طري يسمّى **"لولاب"**، وفي الاخرى ما يسمى **"ايتروك"** (الليمون). فبوسع هذه الخلفية ان تنير تلميحات يسوع الى الماء.

ج) سيطرة يسوع على الزمن المناسب: يسوع، من ذاته، وليس بتأثير من الناس، يستحثّ اللقاء مع اورشليم. وجوابه –"لم يات وقتي بعدُ"– يعني ان الوقت المناسب للكشف، لا يمكن ان يقرره تدخل البشر. وفي المنطق البيبلي، فان صعود يسوع الى اورشليم (بالرغم من رفضه السابق في الآية ٨) لا يعني البتة تضادًّا: فالرب يقرر وحده لحظة كشفه، حين تكون ساعته قد أتت (١٢:١٢).

هذه الرحلة الى اورشليم، بحسب يوحنا، يمكنها ان تقابل الصعود الوحيد الى المدينة المقدسة الذي اصدى له الازائيون. وفي الواقع، لا ذكر البتة لعودة لاحقة ليسوع الى الجليل قبل الآلام (باستثناء رحلة الى عبر الاردن في ٤٠:١٠، والى افرام في ٥٤:١١). كما ان موضوع الكتمان حاضر، هو ايضاً، لدى مرقس، حين كان يسوع في طريقه الى اورشليم (مرقس ٣٠:٩).

د) عزلة يسوع تجاه اسرته. كانت اسرته قد اقترحت عليه اكثر من رحلة عابرة: "اقامة" في اليهودية (وهذا هو المعنى من فعل "إذهبْ"). فاليهودية هي مكان تجلّي الله المدهش، بالتضاد مع الجليل –وهي الارض المظلمة، الخفيّة والمحتَقَرة (٢٧:٧، ٤١، ٥٢). ويرفض يسوع ان "يقيم" فيها (والفعل ذاته سيُستخدم في وصف عبور يسوع نحو ابيه (يوحنا ١:١٣).

أ. المشهد الاول: يسوع يعلم في هلب العيد (٧:١٤-٣٦)

هذا الجزء من الخطاب هو في صلة مع الفصل ٥، حتى ان كثيراً من المفسرين شاءوا ان ينقلوه الى نهاية ذلك الفصل. لا شك ان التلميحات الى شفاء المقعد في الفصل

٥ (وقد لعب دوراً هاماً في الجدل الهجومي، راجع ٢١:٧) تبدو مدهشة، إذ يكون قد مرَّ ١٥ اسبوعاً على الحدث. ولكن، لا ينبغي ان ننسى ان الرواية غالباً ما تحوّل الانتباه عن الزمن الواقعي: ذلك ان يوحنا يكتب لقراء كانوا بالكاد انتهوا من قراءة مقطع المقعد.

ويطلعنا الازائيون بان تجاوزات يسوع ضد السبت كانت متواترة الى حدّ ما. ومن المحتمل ان يوحنا شاء ان يقلّصها كي يحفظ لروايته طابعها "التوتّري".

يسوع وموسى: معلّمان (آ ١٤-٢٤)

١٤ وصَعدَ يَسوعُ إلى الهَيكَل وكانَ العيدُ قد بَلغَ إلى أَوسَطه فأَخَذَ يُعَلِّم.
١٥ فَتعجَّبَ اليَهودُ وقالوا: "كَيفَ يَعرِفُ هذا الكُتُبَ ولَم يَتَعَلَّمْ؟".
١٦ فأَجابَهم يسوع: "لَيسَ تَعليمي مِن عندي بل من عند الَّذي أَرسَلَني.
١٧ فَإذا أَرادَ أَحَدٌ أَن يَعمَلَ بِمَشيئَته عَرَفَ هل ذَاكَ التَّعليمُ مِن عِندِ الله أَو أَنِّي أَتَكَلَّمُ مِن عِندِ نَفْسي.
١٨ فالَّذي يَتَكَلَّمُ من عند نَفْسه يَطلُبُ المَجدَ لِنَفْسه أَمَّا مَن يَطلُبُ المَجدَ لِلَّذي أَرسَلَه فهُو صادقٌ لا نفاقَ فيه.
١٩ أَلَم يُعطكُم موسى الشَّريعة؟ وما مِن أَحَدٍ مِنكُم يَعمَلُ بِأَحْكامِ الشَّريعة. لِمَاذا تُريدونَ قَتْلي؟"
٢٠ أَجابَ الجَمْع: "بكَ مَسٌّ منَ الشَّيطان، فمَن يُريدُ قَتْلَكَ؟"
٢١ أَجابَ يسوع: "ما عَملتُ إلاَّ عَمَلاً واحداً، فتعَجَّبتُم كُلُّكم.
٢٢ سَنَّ موسى فيكُمُ الخِتَان (ولَم يكُنِ الخِتَانُ مِن موسى، بل مِنَ الآباء) فَتختِنونَ الإِنسانَ يَومَ السَّبْت.
٢٣ فإذا كانَ الإِنسانُ يَتَلَقَّى الختانَ يَومَ السَّبْت لِئَلاَّ تُخالَفَ شَريعةُ مُوسى، أَفتحنَقونَ عَلَيَّ لأَنِّي أَبرأْتُ يَومَ السَّبْت إِنسَاناً بِكُلِّ ما فيه؟
٢٤ لا تَحكُموا على الظَّاهِرِ، بَلِ احكُموا بِالعَدْل".

هذا المقطع مركّز على سر يسوع الذي اخذ تعليمه يطرح مشكلة: انه يعلّم من دون ان يمرّ بالمدارس. فممّن يستمد تعليمه، هو الذي لم يتبع المدارس الرابينية؟ والجواب واضح: معلّمه هو الله، ومنه يستمد تعليمه (آ ١٧)، إذ ان معرفته تأتي من لدنه (آ ١٦)، وهو يتكلم عنه (آ ١٨). اما التذكير بموسى، فله وظيفة جدلية: ذلك ان خصومه يأخذون عليه تعليمه غير المتجذر في تقليد موسى؛ بينما اليهود، من خلال رغبتهم في موت يسوع،

انما هم انفسهم يخالفون احدى الوصايا العشر التي اعطاها موسى. ويميل هذا التهديد الذي يطال حياة يسوع (١٩:٥) الى التوضيح بان المؤامرات ضد يسوع قد بدأت منذ امد طويل قبل الآلام.

واذا كان موسى، المعلّم، قد سمح بالختان يوم السبت، فليسوع الحرية ذاتها، علماً بان شفاء المقعد يَفوق الختان الى حد كبير: وهذه المفارقة بين موسى ويسوع، سبق أن تم التأكيد عليها في ١٧:١.

كشف ملتبس بشأن اصل يسوع ومصيره (آ ٢٥-٣٦)

٢٥ فقالَ أُناسٌ من أَهلِ أُورَشَليم: "أَليسَ هذا الَّذي يُريدونَ قَتْلَه؟
٢٦ فها إِنَّه يَتكَلَّمُ جِهاراً ولا يَقولونَ له شَيئاً. تُرى هل تَبَيَّنَ للرُّؤساء أَنَّه المسيح؟
٢٧ على أَنَّ هذا نَعرِفُ من أَينَ هو، وأَمَّا المسيح فلا يُعرَفُ حِينَ يأتي من أَينَ هو".
٢٨ فرَفَعَ يسوعُ صَوتَه وهُو يُعَلِّمُ في الهَيكَلِ قال: "أَجَل، إِنَّكُم تَعرِفونَني وتعرفونَ من أَينَ أَنا. على أَنِّي ما جئتُ من نَفْسي فالَّذي أَرسَلَني هو صادِق. ذاكَ الَّذي لا تَعرِفونَه أَنتُم
٢٩ وأَمَّا أَنا فَأَعرِفُه لأَنِّي مِن عِندِه وهوَ الَّذي أَرسَلَني".
٣٠ فأَرادوا أَن يُمسكوه، ولكن لم يَبسُطْ إِلَيه أَحَدٌ يَداً، لأَنَّ ساعتَه لم تكُن قد جاءَت.
٣١ فآمنَ به منَ الجَمْعِ خَلْقٌ كَثير وقالوا: "أَيَجري المسيحُ مِنَ الآياتِ حينَ يأتي أَكثرَ مِمَّا أَجْرى هذا الرَّجُل؟"
٣٢ فسمِعَ الفرِّيسيُّونَ الجَمْعَ يَتهامَسونَ بِذلِك في شأنِه، فأَرسَلَ عُظَماءُ الكَهَنَةِ والفرِّيسيُّونَ بَعضَ الخَرَسِ لِيُمسكوه.
٣٣ فقالَ يسوع: "أَنا باقٍ مَعَكم وَقْتاً قليلاً ثُمَّ أَذهَبُ إِلى الَّذي أَرسَلَني.
٣٤ ستَطلُبونني فلا تَجدونَني وحَيثُ أَكونُ أَنا لا تَستطيعونَ أَنتُم أَن تَأتوا".
٣٥ فقالَ اليَهودُ بَعضُهم لِبَعض: "إِلى أَينَ يَذهَبُ هذا فلا نَجِدُه؟ أَيَذهَبُ إِلى المُشَتَّتينَ مِنَ اليَهود بَينَ اليونانيِّين، فيُعَلِّمُ اليونانيِّين؟
٣٦ ما مَعْنى هذه الكَلِمَةِ الَّتي قالَها: ستَطلُبونني فلا تَجِدونني، وحَيثُ أَكونُ أَنا لا تَستَطيعونَ أَنتُم أَن تَأتوا؟".

يغيب موضوع "السبت"؛ وتتمحور الرواية حول يسوع الذي يكشف عن ذاته "جهاراً" (آ ٢٦)، لا بل "يصرخ" في الهيكل. ويَصطدم كشفه بعدم ايمان اليهود الذين، إذ يعرفون "حسب الجسد" أصل يسوع (أباه وامه ووطنه ٤٢:٦، ٥٢؛ ٤٢:٧، ٥٢)،

لكنهم لا يستطيعون ان يعتبروه المسيح الذي كان يجب ان يبقى اصله مجهولاً. ومع ذلك، حتى بالنسبة لهم، هو حقاً المسيح الخفي، طالما يجهلون "انه يأتي من لـــدن الله" (آ ٢٩)، وانه "يذهب الى الله" (آ ٣٣).

ويعلن يسوع سلطته حين تخلّص من الاعتقال، لأن "ساعته" لم تكن قد جاءت بعد. وفيما بعد، يعود الحرس الذين كُلّفوا بالقبض عليه (آ ٣٢) من دونه، إذ "ما تكلّـــم انسان قط مثل هذا الكلام!" (آ ٤٦). وهكذا، فان التهديدات ضد يسوع هيأت الإعلان عن مغادرته القريبة نحو ابيه. ووفق طريقة يوحنا الكلاسيكية في ابراز سوء التفاهم، فُـــسِّر هذا الرحيل بصفته زيارة الى الشتات اليوناني (آ ٣٥). ذلك ان لغة يوحنا المزدوجة جعلت هذا التأكيد -وكان خاطئاً في زمن يسوع- يصبح واقعاً في زمن الانجيلي يوحنا، حـــين كانت بشرى يسوع قد اجتاحت مجمل حوض البحر المتوسط.

"بعد قليل": هوذا يسوع يعلن لليهود عن اقتراب رحيله نحو الآب. وسيعلن ذلك لتلاميذه ، في ١٦:١٦، بعبارات مشابهة. إلا ان هذا الانفصال مؤقت، بالنسبة لهم.

ويوصف يسوع هنا بملامح تذكّر بالحكمة الآتية من الله (حكمة ٩:١٠؛ ابـــن سيراخ ٢٤:٨)، ذات الأصل السرّي ("الحكمة، اين توجد؟" ايوب ٢٨:١٢). حكمـــة يجب البحث عنها، كما هي الحال مع يسوع (حكمة ٦:١٢). اما الجهّال، على غـــرار مستمعي يسوع (آ ٣٤)، فانهم "يبحثون عنها ولا يجدونها" (امثال ١:٢٨).

ب. المشهد الثاني: يسوع في آخر يوم من العيد (٧:٣٧-٥٣)

٣٧ **وفي آخرِ يَومٍ منَ العيد، وهُو أَعظَمُ أَيّامه، وقَفَ يسوع ورفَعَ صَوتَه قال: "إِن عَطِـــشَ أَحَدٌ فلْيُقبلْ إِلَيَّ**

٣٨ **ومَن آمنَ بي فَلْيَشرَبْ كما ورَدَ في الكتاب: *ستَجْري من جَوفه أَنهارٌ منَ الماء الحَيّ*".**

٣٩ **وأَرادَ بقَوله الرُّوحَ الَّذي سيَنالُه المؤمنونَ به، فلَم يكُنْ هُناكَ بَعدُ من رُوح، لأَنَّ يسوعَ لم يَكُنْ قد مُجِّد.**

٤٠ **فقالَ أُناسٌ منَ الجَمعِ وقَد سَمعوا ذلك الكَلام: "هذا هو النَّبيُّ حَقاً!"**

٤١ **وقالَ غيرُهُم: "هذا هو المَسيح!" ولكنَّ آخرينَ قالوا: "أَفتُرى منَ الجَليلِ يَأتي المَسيح؟**

٤٢ **أَلَم يَقُلِ الكِتابُ إِنَّ المَسيحَ هُوَ من نَسلِ داود وإِنَّهُ يأتي من بَيتَ لَحْمَ، القَريةِ الَّتي منـــها خَرَجَ داود؟"**

٤٣ فوقَعَ بَينَ الجمَعِ خلافٌ في شأنه.
٤٤ وأرادَ بَعضُهم أَن يُمسِكوه، ولَكِن لم يَبسُطْ إِلَيه أَحَدٌ يَداً.

٤٥ ورَجَعَ الخَرَسُ إِلى عُظَماءِ الكَهَنَة والفرِّيسيِّين
٤٦ فقالَ لَهم هؤلاء: "لِماذا لم تَأتوا بِه؟" أَجابَ الخَرَس: "ما تَكلَّمَ إِنسانٌ قَطّ مِثلَ هذا الكَلام".
٤٧ فأَجابَهُمُ الفرِّيسيُّون: "أَخُدِعتُم أَنتُم أَيضاً؟
٤٨ هل آمنَ به أَحَدٌ مِنَ الرُّؤَساءِ أَو الفريسيِّين؟
٤٩ أَمَّا هؤلاءِ الرَّعاعُ الَّذينَ لا يَعرِفونَ الشَّريعَة، فهُم مَلعونون".
٥٠ فقالَ لَهم نيقوديمُس وكانَ منهم، وهُو ذاكَ الَّذي جاءَ قَبْلاً إِلى يَسوع:
٥١ "أَتَحكُمُ شَريعَتُنا على أَحَد قَبلَ أَن يُستَمعَ إِلَيه ويُعرَفَ ما فَعَل؟"
٥٢ أَجابوه: "أَوأَنتَ أَيضاً مِنَ الجَليل؟ إِبْحَثْ تَرَ أَنَّه لا يَقومُ مِنَ الجَليلِ نَبِيّ".
٥٣ ثُمَّ انصَرَفَ كُلُّ مِنهُم إِلى بَيتِه.

نجدنا ولا شك في اليوم السابع (وليس الثامن): حين كان الكهنة يدورون سبع مرات حول المذبح، ومعهم الماء المستقى من بركة شيلوحا. وهوذا يسوع واقف "يصرخ"، كما فعل في ٢٨:٧ (انظر ٤٤:١٢)، ليشدّد على احتفالية الكشف.

من هو النبع؟ (٣٧-٣٩)

كانت هذه الآيات موضوع تفسيرات متضادة وفق "التنقيط" المعتمد: بعضهم يقرأ الآية ٣٨ بصفتها متكاملة، بحيث تجعل المؤمن يصبح نبع الحياة: "من آمن بي، كما ورد في الكتاب، ستجري من جوفه انهار من الماء الحي". وبعضهم –كما في الترجمة الليتورجية– يربط بداية الآية ٣٨ بالآية ٣٧: "فليشرب، من آمن بي"، وحينذاك يكون الايمان بيسوع هو الذي يروي عطش المؤمن. وهكذا يصبح بناء الجملة ذا اسلوب سامي بكل معنى الكلمة:

من كان عطشان، **فليُقبل إليّ**
وليشرب كل مَن **آمن بي**

ومسار الرتبة الذي عرضناه اعلاه، من شأنه ان يدعم هذه القراءة: ففي وقت سكب الماء الآتي من شيلوحا، يبدو يسوع بصفته ينبوع الماء الحي، داعياً المشتركين بالعيد الى الشرب من هذا الماء. ويذكّر هذا الكشف الاحتفالي بخطابَي يسوع عند بئر يعقوب (٤:١٠-١٤) وفي كفرناحوم (٦:٣٥).

وهكذا يتجذر كشف يسوع في عمق الكتاب المقدس. إلا ان الاستشهاد بالكتاب في الآية ٣٨ لا يقابله أي نص بيبلي دقيق. فمن المحتمل ان الانجيلي استلهم بحرية، من نصوص بيبلية عدّة: حزقيال ٤٧:١٢ أعلن ان "ماء يخرج من المقدس" ويروي البرية. ويوئيل ينبئ بان "ينبوعاً يخرج من بيت الرب ويسقي وادي شطّيم" (يوئيل ٤:١٨). وفي المعنى ذاته يتبادر الى الذهن نص زكريا ١٣:١، ولا سيما ١٤:٨ (وكان يستخدم في ليتورجيا عيد الاكواخ). وسبق يسوع فجعل ذاته بمثابة الهيكل الجديد (٢:١٩)؛ وها هو، من هذا المكان المقدس، يعلن الولادة الجديدة بقوة المياه الخارجة من جنبه (١٩:٣٤)، حين تكون الساعة قد أتت. ويصدي لها سفر الرؤيا (٢٢:١٧): "من كان عطشان فليأت، ومن شاء فليستقِ ماء الحياة مجاناً".

وحين يتكلم يوحنا عن "عيد اليهود" (٧:٢)، فهو انما يحدد تاريخه في زمن القطيعة بين اليهود والمسيحيين. وحين حوّل يسوع رمزية الماء من الهيكل الى ذاته، فقد اعلن عن مجيء الزمن الجديد. فمن جسده، الهيكل الجديد، ستجري المياه. وعلى غرار الحكمة "الواقفة وهي تهتف" (امثال ٩:٢-٣) "هلموا كلوا من خبزي واشربوا من الخمر التي مزجت" (امثال ٩:٥)، هوذا يسوع يجسّد الحكمة الكاملة التي منها تأتي كل معرفة موحاة.

ردود فعل على الكشف (آ ٤٠-٥٣)

الكشف لا يحتمل الحياد. فهناك من يرون فيه النبي الشبيه بموسى (تثنية ١٨:١٨). والتشبيه بالنبي، يمكنه أن يتحقق عبر الماء الحي الموعود، إذ يذكّر بالماء المتفجر من الصخرة في البرية (خروج ١٧:٦). ويرى آخرون فيه مسيح الازمنة الاخيرة الذي يُحتفل به بفرصة عيد الاكواخ.

الكشف الذي قام به يسوع لم يكن سلبياً بالتمام، بالرغم من معارضة السنهدريم: هناك بعض الناس آمنوا: حرس الهيكل دُهشوا وتعجبوا (آ ٤٦)؛ وفي السنهدريم بالذات، نسمع نيقوديمس يدافع عن يسوع (آ ٥٠).

قصة المرأة الزانية (٨:١-١١)

هذه الجوهرة من بين الروايات الانجيلية، كادت تضيع! ذلك ان هذه الرواية غائبة، في الواقع، عن اولى مخطوطات انجيل يوحنا: عن الرق P٦٦ و P٧٥، وعن اشهر المخطوطات الكبرى من القرنين الثالث والرابع. والتقليد الشرقي لم يعرف هذا النص قبل القرن العاشر! أما في الغرب، فنجد النص في عدد من المخطوطات اللاتينية منذ القرن الخامس. واحتفظ به القديس هيرونيمس في ترجمته البسيطة، الفولغاتا.

ومع ذلك، كانت هذه القصة معروفة في الكنيسة الاولى. هوذا اوسابيوس القيصري ينقل لنا: "وبابياس يحكي قصة اخرى عن امرأة اتّهمت بخطايا عديدة امام الرب. وهذه القصة موجودة في الانجيل بحسب العبرانيين". وهذا يعني، إذن، ان النص لم يكن جزءاً من انجيل يوحنا الاصلي: ذلك ان اسلوبه ومفرداته هي اكثر قرباً من لوقا مما من يوحنا. وقد وضعه بعضهم بعد لوقا ٢١:٣٨. وهناك مخطوطات اخرى لانجيل يوحنا ترددت في مكانه، فوضعته سواء بعد ٧:٣٦، ام في آخر الانجيل.

هذه الرواية التي لا غبار على أصالتها، قد أرهبت بانفتاحها، ولا شك، بعض المسؤولين في الكنيسة الاولى. ذلك لأن الزنى كان معتبراً احدى الخطايا التي تستوجب توبة جماعية وعلنية، ولم يكن الحلّ منها ممكناً إلا مرة واحدة في الحياة. وهكذا يكون موقف يسوع تجاه المرأة الزانية قد بدا لبعضهم (اولئك الذين نسوا عبارة "اذهبي ولا تعودي بعد الآن الى الخطيئة") متّسماً بتسامح فوق الحدّ تجاه الخيانة الزوجية. ومع ذلك، يبقى هذا النص جزءاً من الانجيل، طالما ان الكنيسة تسلمته ونقلته لنا.

١٨ أَمَّا يسوع فذَهَبَ إِلى جَبَلِ الزَّيتون.
٢ وعادَ عندَ الفَجرِ إِلَى الهَيكَلِ، فأَقبَلَ إِلَيه الشَّعبُ كُلُّه. فجلَسَ وجَعلَ يُعَلِّمُهم.
٣ فأَتاهُ الكَتَبَةُ والفَرِّيسيُّونَ بامرَأَة أُخذَت في زنًى. فأَقاموها في وسَطِ الحَلقَة
٤ وقالوا له: "يا مُعَلِّم، إِنَّ هذه المَرأَةَ أُخذَت في الزِّنى المَشْهود.
٥ وقد أَوصانا مُوسى في الشَّريعة برَجْمِ أَمثالها، فأَنتَ ماذا تقول؟"
٦ وإِنَّما قالوا ذلكَ لِيُحرِجوهُ فيَجِدوا ما يَشْكونَه به. فانحَنى يسوعُ يَخُطُّ بِإِصبَعِه في الأَرض.
٧ فلَمَّا أَلَحُّوا علَيه في السُّؤال انتَصَبَ وقالَ لَهم: "مَن كانَ مِنكُم بلا خَطيئة، فلْيَكُنْ أَوَّلَ مَن يَرميها بحَجَر!"
٨ ثُمَّ انحَنى ثانِيةً يَخُطُّ في الأَرض.

٩ فلَمَّا سَمعوا هذا الكَلام، انصَرَفوا واحداً بَعدَ واحِد يَتقدَّمُهم كِبارُهم سِـناً. وبَقِـيَ
يسوعُ وَحده والمَرأَةُ في وَسَط الحَلْقَة.
١٠ فانتَصَبَ يسوعُ وقالَ لَها: "أَينَ هُم، أَيَّتُها المَرأَة؟ أَلَم يَحكُمْ عَليكِ أَحَد؟"
١١ فقالت: "لا، يا ربّ". فقالَ لها يسوع: "وأَنا لا أَحكُمُ عَليكِ. إِذهَبي ولا تَعودي بَعـدَ
الآنَ إِلى الخَطيئة".

يسوع "السيّد"

منذ البداية، احتل يسوع مكانة اتسمت بالسلطة والتعليم. يبدأ النص في مساء يوم من التعليم في الهيكل: عاد كلٌ الى منزله (٥٣:٧)، وذهب يسوع الى جبل الزيتون، كما كانت عادته بحسب لوقا (٣٩:٢٢). وها هو، منذ الصباح الباكر، في الهيكل، يعلّم الشعب كله (انظر لوقا ٣٧:٢١). والمقصود هنا بالاكثر، ليس المحتوى، وانما فعل التعليم بالذات، أي عملية تفسير الشريعة بحكمة: انه السيّد، ولذا سيُمتَحن بالضبط على صفاته كمعلّم.

الدعوة (٣-٩)

في الذروة، يبرز النزاع بين الكتبة والفريسيين، مفسّري الشريعة الرسميين، وبين يسوع: "اوصانا، موسى في الشريعة... فأنت ماذا تقول؟".

يؤدي الزنى، بموجب احبار ١٠:٢٠، الى الحكم بالموت، دون ان يوضّح نوع الموت: "أي رجل زنى بامرأة رجل، فليُقتل الزاني والزانية". اما الرجم، فقد توضّح في سفر تثنية الاشتراع في حالة المرأة غير المتزوجة: "إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فصادفها رجل في المدينة فضاجعها، فاخرجوهما كليهما الى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا: اما الفناة، فلانها لم تصرخ وهي في المدينة، واما الرجل، فلانه اغتصب امرأة قريبه. واقلع الشر من اسرائيل" (تثنية ٢٣:٢٢-٢٤). واستنتج بعضهم ان المرأة الزانية، في انجيل يوحنا، حُكم عليها بالرجم لأنها كانت عذراء غير متزوجة. غير ان الرجم كان مألوفاً بوصفه اسلوباً للاعدام لدى اليهود (راجع حزقيال ٣٨:١٦-٤٠). وهكذا كانت الحال في زمن يسوع.

لماذا جاءوا بالمرأة الى يسوع؟ هل سبق السنهدريم فحكم عليها؟ وفي هذه الحالة، لماذا قال لها يسوع: "ألم يحكم عليك احد؟". وعلاوة على ذلك، لا يُخيّل إلينا ان بوسع

السلطات اليهودية أن تجعل القرار الرسمي يرجع الى واعظ متجول! ويظن آخرون ان المرأة لم يُحكم عليها، طالما ان السنهدريم لم تكن له سلطة ان تحاكم وتحكم (بعد السنة ٣٠، كان الرومان قد نزعوا عن اليهود سلطة الحكم بالموت على احد). ومن الممكن ان نعتقد باننا ازاء اعدام تعسّفي عفوي كان جارياً الى حد ما، وطُلب من يسوع أن يعطي تأييده على الحكم.

وفي كل الاحوال، يبدو الفخ مخيفاً، وإن بدا وكأن لا غبار عليه: فاذا شارك يسوع في الادانة التي تقتضيها الشريعة الموسوية، يكون قد دخل في التمرد ضد السلطة الرومانية. وفي الوقت ذاته، يكون قد ناقض الجزء الاكثر ثورة من تعليمه الذي يتحدث عن اله الرحمة. ولكن، إذا لم يشارك في الادانة، يصبح معارضاً لموسى، وهو السلطة العليا. وهكذا يبدو الفخ قريباً جداً من الفخ بصدد الجزية لقيصر (مرقس ١٢:١٣-١٧).

يسوع والشريعة

لا يجيب النص على اسئلتنا كلها. وقد يُسهم الصمت عن امور كثيرة في جعل الرواية تتمحور حول يسوع —وقد تعرّض لامتحان صعب سيُسفر عن ضعفه او قوّته. فشريعة موسى تعاقب المرأة بالموت. وهي تشخّص خطيئتها بشكل حاسم وانتقائي، طالما ان لا ذكر البتة للرجل الذي خطئت معه، والذي يُفترض ان يكون مسؤولاً، واكثر منها بكثير. اما جواب يسوع، فقد اتّسم بالذكاء، وبدا جواباً كله انفتاح نحو الحياة، وليس انغلاقاً في الموت.

يتصف الجواب، بادئ بدء، **بالصمت**. فلقد بقي يسوع جالساً، ولم يجب الى سؤالهم الاول إلا بتخطيطات على الارض. هل كتب اموراً معيّنة؟

هناك تقليد يرقى الى القديس هيرونيمس، تخيّل ان يسوع راح يسجّل خطايا المشتكين عليها! واعتقد بعضهم انه أخذ يكتب نص ارميا ١٧:١٣: "جميع الذين يتركونكَ يخزون، والذين ينصرفون عنكَ يُكتبون في التراب"؛ او ايضاً: "لا تنقل خبراً كاذباً، ولا تضع يدك مع الشرير لشهادة زور". وفكّر البعض ايضاً بالحاكم الذي، وفق العادة الرومانية، كان يكتب لنفسه القرار قبل ان يُعلنه. والاحرى بنا ان نحترم النص، حتى في عدم دقته. فيسوع اخذ يخطّ على الارض لكي يجعل الصمت يطول، معطياً كل الثقل للحكم الآتي. وكانت اصبعه المرفوعة فرصة تساؤل للحكام الذين نسوا خطيئتهم الخاصة.

وازاء الحاح الحكام، هوذا يسوع يعيدهم الى ذواتهم، بصفتهم خطأة تجاه هذه الشريعة التي ينادون بها: "من كان منكم بلا خطيئة..."، وانصرفوا مغلوبين. والشيوخ، هم الذين ذهبوا أولاً، وقد يكون ذلك لانهم كانوا اكثر حكمة للاعتراف بوضعهم الخاطئ. وتمّ الامتحان، وخرج منه يسوع منتصراً. ولم يبقَ سوى ذاك الذي لم يخطأ وتلك التي كانت خطيئتها مُشَهَّرة. وكتب القديس اوغسطينس: "اثنتان بقيتا: البائسة والرحمة" (*misera et misericordia*).

يسوع والمرأة (آ ١٠-١١)

وانتهت المجابهة والمعارضة، وكان بوسع الرواية ان تُختم هنا. كان ذلك صحيحاً بالنسبة الى جزية قيصر. إلا ان الطُعُم هنا ليس شيئاً مادياً دون روح، او نقود للتبادل، او قطعة فضّة، وانما كائناً بشرياً، مهاناً، امرأة دون مستقبل، وقد أُغلق عليها في دائرة الموت. وذهب المشتكون دون ان يوجّهوا الكلام الى المرأة البتة. فلقد اغلقوا عليها في دائرة حكمهم. وفُتحت الدائرة، ولكن المرأة بقيت مسجونة فيها: "كانت المرأة وما زالت في وسط الدائرة". ولكي تخرج منها، كان ينبغي لأحد ان يكلّمها ويسمح لها بالخروج من سجن خطيئتها: "اذهبي، ولا تعودي بعد الآن الى الخطيئة".

ها قد اصبحت شخصاً له مستقبل. والشريعة لم تُمحَ، كما كان بوسع بعض التفسيرات ان تخشى ذلك: بل اصبحت "انسانية"، لا بل سبيلاً الى الحياة والفداء. وتجلّى يسوع بصفته معلّم الحكمة والطيبة.

ج. المشهد الثالث: يسوع في عيد المظال (٨:١٢-٥٩)

شهادة يسوع (آ ١٢-٢٠)

١٢ **وكَلَّمَهم أَيضاً يسوعُ قال: "أَنا نُورُ العالَم مَن يَتبَعْني لا يَمْشِ في الظَّلام بل يكونُ له نورُ الحَياة".**

١٣ **فقالَ له الفرِّيسيُّونَ: "أَنتَ تَشهَدُ لنَفسكَ، فشهادَتُكَ لا تَصحّ".**

١٤ **أَجابَهم يسوعُ: إِنّي، وإِن شهِدتُ لَنَفْسي فشَهادتي تَصحّ فأَنا أَعلَمُ مِن أَينَ أَتَيتُ وإِلى أَينَ أَذهَب. أَمَّا أَنتُم فلا تَعلَمونَ مِن أَينَ أَتَيتُ ولا إِلى أَينَ أَذهَب.**

١٥ **أَنتُم تَحكُمونَ حُكْمَ البَشَر وأَنا لا أَحكُمُ على أَحَد.**

١٦ وإذا حَكَمتُ، فحُكْمي صَحيح لأنّي لَستُ وَحْدي بل أنا والّذي أرسَلَني.
١٧ وكُتِبَ في شَريعَتكم: شَهادَةُ شاهدَيْنِ تَصِحّ.
١٨ أنا أَشهَدُ لنَفْسي والآبُ الّذي أَرسَلَني يَشهَدُ لي أيضاً".
١٩ فقالوا له: "أَينَ أَبوك؟" أجابَ يسوع: "أنتُم لا تَعرِفوني ولا تَعرِفونَ أَبي، ولَو عَرَفتُموني لَعَرَفتُم أَبي أَيضاً".
٢٠ قالَ هذا الكَلامَ عِندَ الخِزانَة وهو يُعَلِّمُ في الهَيكَل، فلَم يُمسِكْه أَحَدٌ لأَنَّ ساعَتَه لم تَكُنْ قد جاءَت.

الاشخاص والاماكن ما زالت كما في الفصل السابع. ففي خطاب يسوع الذي اتّسم بـ "تطويق" -بدأ بـ: **قال** يسوع (آ ١٢)... وختم بـ: **قال** يسوع هذا الكلام (آ ٢٠)- يتمركز الكلام حول يسوع، اكثر فاكثر، وبقوة اكبر (١٧ مرة استخدم ضمير المتكلم المفرد "انا"؛ مع ١١ فعلاً في صيغة المتكلم).

يسوع هو النور (آ ١٢). يبدأ النص بهذا التأكيد الاحتفالي: "انا نور العالم". ففي هذا الهيكل المضاء بالانوار، بمناسبة عيد الاكواخ، يقدّم يسوع نفسه بصفته النور الحقيقي، المعدّ لا لليهود حسب، بل للعالم اجمع (راجع ١:٤؛ ٣:١٩). وان السير وراءه (التتلمذ له) يمكّن من تجنّب عالم الظلمات.

قوة الشهادة. في مكان آخر من الانجيل، طرحت الشروط لشهادة ذات قيمة قانونية (٥:٣٢-٣٧). اما هنا، فيشدد يوحنا على ان هذه الضغوط القانونية ("شريعتكم" ٨:١٧) لا تستقيم مع حضور الكلمة: فيسوع، حين يشهد لنفسه، انما يكشف عن سر علاقته بأبيه؛ ويجب ان يعرف الجميع، وعلى ثلاث دفعات، بأني "انا" (٨:٢٤، ٢٨، ٥٨). واليهود، لا فقط يُخطئون بشأن اصل يسوع البشري (٧:٤٢)، بل يجهلون ايضاً موطنه الحقيقي (موطن الآب الذي أرسله: آ ١٨). ويُشدَّد هنا، من جديد، على الصلة بين الابن والآب: كلاهما، الآب والابن، يشهدان لهوية يسوع، وهكذا يكتمل الشرط الذي وضعته الشريعة الموسوية (تثنية ١٩:١٥).

هوية يسوع (آ ٢١-٣٠)

٢١ فقالَ لَهم ثانِيَةً: "أَنا ذاهب سَتَطلُبوني ومعَ ذلك تَموتونَ في خَطيئَتِكم وحَيثُ أَنا ذاهِبٌ فَأَنتُم لا تَستَطيعونَ أَن تَأتوا".
٢٢ فقالَ اليَهود: "أَتُراهُ يَقتُلُ نَفسَه؟ فقد قال: حَيثُ أَنا ذاهِبٌ فَأَنتُم لا تَستَطيعونَ أَن تَأتوا".

٢٣ قال لَهم: "أَنتُم من أَسفَل، وأَنا من عَلُ. أَنتُم من هذا العالَم وأَنا لَسْتُ منَ العالَم هذا.
٢٤ لذلك قُلتُ لكم: ستَموتونَ في خَطاياكم فإذا لَم تُؤمنوا بأَنّي أَنا هو تَموتون في خَطاياكم".
٢٥ فَقالوا له: "مَن أَنتَ؟" فقالَ يسوع: "أَنا ما أَقولهُ لَكَم مُنذُ بَدء الأَمْر.
٢٦ عندي في شَأنكُم أَشْياءُ كَثيرة أَقولُها وأَحكُمُ فيها. على أَنَّ الّذي أَرسَلَني صادِق وما سَمعتُه منهُ أَقوُله للعالَم".
٢٧ فلَم يَفهَموا أَنَّه كَلَّمَهم على الآب.
٢٨ فقالَ لَهم يسوع: "متى رَفَعتُمُ ابْنَ الإنسان عَرَفتُم أَنّي أَنا هو وأَنّي لا أَعمَلُ شَيئاً من عندي بل أَقولُ ما علَّمَني الآب.
٢٩ إنَّ الّذي أَرسَلَني هو معي لَم يَترُكْني وَحْدي لأَنّي أَعمَلُ دائماً أَبَداً ما يُرْضيه".
٣٠ وَبَينَما هُو يتَكَلَّمُ بِذلِكَ، آمَنَ به خَلْقٌ كَثير.

يكرر يسوع كلمة سبق ان قيلت في ٣٤:٧: "حيث انا ذاهب، فانتم لا تستطيعون ان تأتوا". واول سوء تفاهم ("أيذهب الى المشتّتين من اليهود؟" ٣٥:٧) يفسح المجال لسوء تفاهم ثان: "أتراه يقتل نفسه؟". وهكذا يجعل يسوع تضادًّا بين موطنه ("العالم من علُ") وبين عالمهم ("العالم من اسفل"). ولكي يرافقوه، يجب ان يؤمنوا "أني أنا". وهذه الصيغة تضطرهم الى طرح السؤال الاكبر، ذاك السؤال الحاضر على مدى الانجيل: "من أنتَ؟".

ويبدو جواب يسوع لغزياً: انه يقدم نفسه بصفته الكاشف: فكما ان الكلمة كان **في البدء** (١:١)، فما يقوله يأتي **منذ البدء** (وهي عبارة لا تظهر بوضوح في الترجمة: "أنا، ما اقوله لكم منذ بدء الامر" ٢٥:٨)، ويُحيل الى الكشف الاكبر، ذاك الكشف الذي سيتم على الصليب: "متى رفعتم ابن الانسان، عرفتم اني انا هو". وآمن البعض، فيما لم يفهم البعض الآخر. ذلك ان كلام يسوع يخلق سوء التفاهم: فكما ظن اليهود انه ذاهب الى الشتات (٣٥:٧)، ها هم يظنون الآن انه ذاهب لينتحر (آ ٢٤). فان الرحيل والموت هما في برنامج يسوع، ولكن بصفتهما عودة الى ابيه وتمجيداً على الصليب. وهكذا اصبحت معرفة هوية ابن الله في صلة مع رفعه على الصليب.

ويقوم سوء التفاهم أيضاً بشأن السرّ الذي يحتفظ به في صدر ابيه "الذي أرسله" -ولم يشخّصه محدّثوه انه الآب. اما القراء، فيحصلون على المعلومة عبر تفسير الآية ٢٧. في حين ان كل ما سبق في الانجيل كان يوضح الصلة بين الآب ويسوع، كما تبينه هذه الموازاة بين الآيات الثلاث.

١٩:٥	٣٠:٥	٢٨:٨
لا يستطيع الابن ان **يفعل شيئاً من عنده،** بل لا يفعل إلا ما يرى **الآب**	أنا **لا استطيع ان افعل شيئاً من عندي،** بل احكم على ما اسمع... لا اتوخى مشيئتي، بل مشيئة **الذي ارسلني**	**انا لا اعمل شيئاً من عندي،** بل اقول ما علّمني **الآب.** ان **الذي ارسلني هو معي**

من ابراهيم الى يسوع (٣١-٥٩)

٣١ فقالَ يسوعُ لليَهود الَّذينَ آمَنوا به: "إن ثَبتُّم في كلامي كُنتُم تلاميذي حَقاً
٣٢ تَعرِفونَ الحَقّ: والحَقُّ يُحَرِّرُكُم".
٣٣ أَجابوه: "نَحنُ نَسْلُ إبراهيم، لم نكُنْ يَوماً عَبيداً لأَحَد! فكَيفَ تَقولُ: سَتَصيرونَ أَحْراراً؟"
٣٤ أَجابَهم يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: "كُلُّ مَن يَرتَكبُ الخَطيئَة يَكونُ عَبْداً للخَطيئَة.
٣٥ والعَبدُ لا يُقيمُ في البَيت دائماً أَبَداً بلِ الابنُ يُقيمُ فيه لِلأَبَد.
٣٦ فإذا حَرَّرَكُمُ الابنُ كُنتُم أَحراراً حَقّاً.
٣٧ أَنا أَعلَمُ أَنَّكم نَسْلُ إبراهيم ولكنَّكُم تُريدونَ قَتْلي لأَنَّ كَلامي لا يَجدُ إِلَيكم سَبيلاً.
٣٨ أَنا أَتَكَلَّمُ بما رَأَيتُ عِندَ أَبي وأَنتُم تَعمَلونَ بما سَمعتُم من أَبيكم".
٣٩ أَجابوه: "إِنَّ أَبانا هو إبراهيم". فقالَ لَهم يسوع: "لَو كُنتُم أَبناءَ إبراهيم، لَعَمِلتُم أَعمالَ إبراهيم.
٤٠ ولكنَّكُم تُريدونَ الآنَ قَتْلي، أَنا الَّذي قالَ لكُمُ الحَقَّ الَّذي سَمِعَهُ مِنَ الله، وذلكَ عَمَلٌ لم يَعمَلْهُ إبْراهيم.
٤١ أَنتُم تَعمَلونَ أَعمالَ أَبيكم". قالوا له:
"نَحنُ لم نولَدْ لِزِنىً، ولَنا أَبٌ واحِدٌ هوَ الله".
٤٢ فقالَ لَهم يسوع: "لَو كانَ اللهُ أَباكم لأَحْبَبتُموني لأَنّي مِنَ اللهِ خَرجتُ وأَتيت. وما أَتَيتُ من نَفْسي بل هوَ الَّذي أَرسَلَني.
٤٣ لِماذا لا تَفهَمونَ ما أَقول؟ لأَنَّكُم لا تُطيقونَ الاستماعَ إلى كَلامي.
٤٤ أَنتُم أَولادُ أَبيكُم إبليس تُريدونَ إتمامَ شَهَوات أَبيكُم. كانَ مُنذُ البَدء قَتّالاً للنَّاس ولَم يَثبُتْ على الحَقّ لأَنَّه ليسَ فيه شَيءٌ مِنَ الحق. فَإذا تكَلَّمَ بِالكَذِب تَكَلَّمَ بِما عِندَه لأَنَّه كذّابٌ وأَبو الكَذِب.
٤٥ أَمَّا أَنا فلأَنّي أَقولُ الحَقّ لا تُؤمِنونَ بي.

٤٦ مَن منكم يُثبتُ عَليَّ خَطيئة؟ فَإذا كُنتُ أقولُ الحَقّ فلماذا لا تُؤمنونَ بي؟
٤٧ مَن كانَ منَ الله استَمَعَ إلى كَلامِ الله.
فإذا كُنتُم لا تَستَمعونَ إلَيه فَلأنَّكُم لَستُم منَ الله".

٤٨ أجابَه اليهود: "أَلَسْنا على صواب في قَولنا إنَّكَ سامريّ، وإنَّ بكَ مَسّاً منَ الشَّيطان؟"
٤٩ أجابَ يسوع: "لَيسَ بي مَسٌّ منَ الشَّيطانَ ولكنّي أُكرِمُ أبي وأَنتُم تُهينونَني.
٥٠ أنا لا أَطلُبُ مَجدي فهُناكَ مَن يطلُبُه ويَحكُم.
٥١ الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لَكم: مَن يَحفَظْ كَلامي لا يَرَ المَوتَ أبَداً".
٥٢ قالَ له اليَهود: "الآنَ عَرَفْنا أنَّ بكَ مَسّاً منَ الشَّيطان. ماتَ إبراهيمُ ومـاتَ الأنبيـاء. وأنت تَقول: مَن يَحفَظْ كَلامي لا يَذُق المَوتَ أبَداً.
٥٣ أأَنتَ أعظَمُ من أبينا إبراهيمَ الَّذي ماتَ؟ وقد ماتَ الأنبياءُ أيضاً. مَن تَجعَلُ نَفْسَكَ؟"
٥٤ أجابَ يسوع: "لَو مَجَّدتُ نَفْسي لكانَ مَجْدي باطِلاً ولكِنَّ أبي هو الَّذي يُمَجِّدُني ذلكَ الَّذي تَقولونَ أنتُم: هو إلهُنا.
٥٥ أنتُم لم تَعرفوه أمَّا أنا فَأَعرِفُه. ولَو قُلتُ إنّي لا أعرِفُه لكُنتُ مِثلَكُم كاذِباً. ولكِنّي أعرِفُـه وأحفَظُ كَلِمَتَه.
٥٦ إبتَهجَ أبوكُم إبراهيم راجياً أن يَرى يَومي ورآهُ ففَرِح".

٥٧ قالَ له اليَهود: "أرَأَيتَ إبراهيمَ وما بَلَغتَ الخَمسين؟"
٥٨ فقالَ لَهم يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أقولُ لَكم: قَبلَ أن يَكونَ إبراهيم، أنا هو".
٥٩ فأَخَذوا حِجارَةً لِيَرموه بِها، فتَوارى يسوع وخرَجَ منَ الهَيكَل.

هذا القسم هو الاكثر جدّة في خطاب يسوع. وتقوم وحدته بفضل وجه ابراهيم الذي ظهر هنا، للمرة الاولى، في انجيل يوحنا، وبشكل مكثّف (ورد اسمه عشر مـرات). ولن يعود يُذكر في باقي الانجيل.

"انا ابانا هو ابراهيم" (آ٣١-٤١)

الادّعاء بابوّة ابراهيم الآلية، فضحته كرازة يوحنا المعمذان، كما فضحه يـسوع في الاناجيل الازائية. فالمعمذان يصرح بان "الله قادر ان يخرج من هذه الحجـارة ابنـاء لابراهيم" (متى ٣:٩). ويستنجد الغني السيئ "يا أبت ابراهيم" (لوقا ١٦:٢٤). وينـذر يسوع بانه "سوف يأتي اناس كثيرون من المشرق والمغرب فيجالسون ابراهيم...، اما بنو الملكوت فيلقون في الظلمة البرّانية" (متى ٨:١١-١٢).

وهوذا موضوع الحرية والعبودية في صلة مع ابراهيم، في غلاطية ٣-٤، حيث يبرز التضاد بين ابن الأمَة وابن المرأة الحرّة (٤:٢١-٣١). اما الحرية الحقة، في نظر يوحنا، فهي من امتياز تلميذ يسوع، أي "الذي يبقى اميناً على كلامه".

ان محدّثي يسوع يبدون هنا، وبشكل غريب، وكأنهم "يهود يؤمنون به؟ (آ ٣١). ورأى بعض المفسرين فيهم يهوداً/مسيحيين حاولوا ان يوفقوا بين تعلّقهم بالايمان اليهودي وبين ايمانهم الجديد بيسوع. ولكن، كيف نفسّر، في هذه الحالة، ان هؤلاء اليهود "يبحثون عن قتل يسوع" (آ ٣٧)؟ انما الافضل هو ان نرى، في محدّثي يسوع الاولين، يهوداً يعارضون يسوع. ففي كنيسة يوحنا، يكون قسم من الخطاب قد طُبِّق على اليهود/المسيحيين المترددين.

"انتم اولاد ابيكم ابليس" (آ ٤٢-٤٧)

وتشتد النبرة الجدالية ذات الطابع الهجومي: ليس ابوهم من بعدُ ابراهيم، بل **ابليس**. ونجدنا بازاء رؤيتين في تضاد: من جهة، يطالب اليهود بهويتهم بصفتهم ابناء ابراهيم، ومن وراء ابيهم في الايمان، يطالبون بهوية ابناء الله ("لنا اب واحد هو الله")؛ ومن جهة اخرى، يرفض عليهم يسوع هذا اللقب، إذ لا يمكنهم ان يدّعوا انهم ابناء الله، وهم يهددون ابنه بالذات. وهنا يظهر ابليس، للمرة الاولى، بصفته العدوّ الخفي ليسوع، وقد اصبح اليهود صورة له: وسيعود يظهر في وقت الآلام (١٢:٣١؛ ١٤:٣٠؛ ١٦:١١؛ ١٧:١٥). فاليهود، من خلال محاولاتهم لقتل يسوع -كما سيكون يهوذا من ثم- يصبحون ادوات في يد الشرير (١٣:٢، ٢٧).

تكشف الرؤية المعروضة هنا بشأن اليهود عن ثنائية كاريكاتورية. فالخطيئة والموت والعبودية هي السمات المكوّنة لليهود، منذ البدء. فمن قبل يسوع، قَبِلَ حقيقة الله الموحاة بيسوع، وارتقى الى الحرية والحياة. ونجدنا بين تصريح اليهود في بداية المقطع (آ ٤١: "لنا اب واحد هو الله") وفي نهايته (آ ٤٧: "ولانكم لستم من الله")، بازاء خطاب جدلي طويل، لا يحرمهم من ابوّة ابراهيم حسب، بل يضعهم، بشكل جذري، في جانب الشر، في خط مستقيم يرقى الى البداية (تكوين ٢-٣).

الاسم الالهي ("انا هو")

في سفر الخروج، كشف الله للبشر عن الاسم السرّي الذي به يريد أن يعرفه البشر ويعبدوه: "انا هو من هو" (خروج ١٤:٣)، وهي عبارة لغزية صيغت ولا شك انطلاقاً من جذر فعل "كان" بالعبرية. ويصبح بصيغة المجهول، على لسان موسى: "هو" (انا هو) (خروج ١٥:٣).

ولدى الانبياء، نجد صيغة "آني ياهوي" (انا هو يهوه) بشكل متواتر (حزقيال ١٤:١٣، ٢١، ٢٣؛ اشعيا ٤:٤١، ١٣؛ ٦:٤٢، ٨). وبالعبرية، نجد اسماً آخر يعادل الاسم الالهي: "آني هو" (هو أنا)، وقد ترجمته السبعينية بـ "*Egô eimi*" (انا هو، أو: انا). وهناك امثلة في: تثنية الاشتراع ٣٩:٣٢؛ اشعيا ١٠:٤٣-١٣؛ ٦:٥٢، ١٢).

هاتان اللفظتان "*Egô eimi*" (انا هو) حاضرتان بشكل خاص في انجيل يوحنا. ونجد عدداً كبيراً من الجمل تبتدئ بعبارة "Egô eimi". وانطلاقاً من كل من هذه الاستخدامات، لا يمكننا ان نستخرج نتائج لاهوتية هامة، ولا حتى من تأكيدات يسوع عن ذاته، وهي تعبّر عن الوعي الذي كان له عن ذاته (انا هو خبز الحياة، يوحنا ٦؛ انا هو نور العالم، يوحنا ١٢:٨؛ انا هو الراعي الصالح، يوحنا ١٠ الخ ...).

وبالمقابل، تبدو بعض المقاطع مقلقة، وقد تكون احياناً اكثر ايحاءً بسر الله. فحين لحق يسوع بالتلاميذ على البحر، قال لهم ازاء رعبهم: "انا هو، لا تخافوا" (٢٠:٦). والمعنى المزدوج ممكن، ويتعمد يوحنا الابقاء على الغموض. كما ان خوف التلاميذ المقدس يشبه مخافة الانسان وهو في حضرة الالوهية. وفي ٥:١٨-٨، يقدم يسوع نفسه تجاه الذين جاءوا ليمسكوه: "انا هو"، حتى ان خصومه سقطوا على الارض، كما لو انهم كانوا في حضرة الله بالذات.

وهناك اربعة مقاطع لا يمكن التردد بشأنها. ففي ٢٤:٨، هوذا يسوع يقول لليهود: "إذا لم تؤمنوا باني انا هو، تموتون في خطاياكم". او ايضاً: "متى رفعتم ابن الانسان، عرفتم اني انا هو" (٢٨:٨). وازاء شخصية ابراهيم الكبرى، جرؤ يسوع على القول: "قبل ان يكون ابراهيم، انا هو" (٥٨:٨). وبوسعنا ان نقرأ ايضاً ١٩:١٣. وتتسم مطالبات يسوع الخاطفة بجرأة فائقة، ونفهم انها لاقت مقاومة لدى السلطات اليهودية، وقد رأت فيها إدّعاء مفرطاً من قبل يسوع، وقد ساوى نفسه بالله.

اما المسيحيون المستنيرون بقيامة يسوع، فكان بوسعهم ان يقيموا صلة بين وحي الخروج وبين يسوع المسيح. فما كان قد بدأ في لقاء الله، القريب من شعبه، استمرّ على مدى تاريخ اسرائيل، واكتمل في شخص يسوع. فهو الاسم (أي الكائن بالمعنى البيبلي) الالهي الذي لا يمكن تجاوزه. وفيه يبلغ الحضور الذي افتتح في سيناء ذروته، وعلى الجلجلة يتم هذا الوحي فعلاً: "متى رفعتم ابن الانسان، عرفتم اني انا هو" (٨:٢٨).

وازاء هذين الفصلين، هناك ردّتا فعل تتبادران الى الذهن: اولاً، نجد تأكيداً، بشكل واضح، على هوية يسوع، بصفته كائناً الهياً، قريباً من ابيه، بحيث كان باستطاعته ان يطالب بلقب "انا" —هذا اللقب الذي به شخّص اشعيا الثاني الاسم الالهي "يهوه". ومن ثم، تكشف نبرة الخطاب الجدلية المفرطة عن زمن كتابة الانجيل —وقد اتسم بالقطيعة العنيفة والعلاقات الهجومية بين المسيحيين واليهود. فمن استطاع ان يرى في اليهود ابناء لابليس، فلا بد انه عاش في عصر كانت القطيعة فيه بين اليهود والمسيحيين قد تكرست، لا بل اصبحت عدائية الى حد العنف. لذا لا ينبغي لقارئ هذه الفصول ان ينسى بان هؤلاء "اليهود" —وقد شوّهت صورتهم الكنيسة الاولى— هم جزء من جماعة اسرائيل التي منها جاء الخلاص (٤:٢٢).

قبل ان يكون ابراهيم، انا هو (٨:٥٨-٥٩)

ويتصاعد الصراع بين يسوع واليهود؛ فعلى إدانات يسوع، يجيب اليهود بالأدلّة ذاتها: يسوع هو الذي به مسّ من الشيطان. ويتعثر الكشف: فالمتنازعون ليسوا في مستوى واحد. ذلك ان يسوع يؤكد انه هو الذي ينتزع الانسان من الموت. ويظهر ابراهيم من جديد، ليس بصفته السلطة العليا، وانما بصفته رجل المواعيد التي تتجه نحو اكتمالها، وقد تحققت في يسوع ذاته: "قبل ان يكون ابراهيم، انا هو" (آ ٥٨). والفكرة التي بموجبها يكتمل التاريخ في يسوع، نجدها لدى متى ١٣:١٧ وفي الرسالة الى العبرانيين ١١:١٣.

ونجدنا هنا في ذروة الكشف الذي يقوم به يسوع، في آخر يوم من عيد الاكواخ. ففي ٨:١٢ أكّد يسوع: انا نور العالم؛ وفي ٨:٥٨ أعلن بشكل مطلق: انا هو. انه تأكيد صريح عن الوهيته، وهكذا فهمه مستمعوه طالما انهم ارادوا قتله (احبار ٢٤:١٦). ويسوع الذي جاء **بالخفاء** (٧:١٠)، ها هو يذهب الى مكان خفي (٨:٥٩).

رابعاً: انعكاسات عيد المظال (٩:١-١٠:٢١)

أ. مردودات شفاء أعمى بالولادة (٩:١-٤١)

من بعد حرارة الجدل في الفصلين ٧ و٨، وما اتسما به من صرامة، مع توسعاتهما المسيحانية (الكريستولوجية)، هيذي رواية ملأى بالحركة والمفاجأة والحياة. وبذكاء واضح، يجعل الكاتب تناوباً بين المشاهد المأساوية المحمّلة باللاهوت، وبين رؤية مصوّرة وقصصية الى حد كبير، وضعت على المسرح: يسوع، ورجلاً اعمى منذ ولادته، ومتحدثين مختلفين. فمن بين كل روايات يوحنا، تدهشنا هذه الرواية بحيوية النبرة وقلة التوسعات اللاهوتية ووزن شخصية الاعمى.

مقدمة (٩:١-٥)

٩:١ **وبَينَما هو سائرٌ رأى رَجُلاً أَعْمى مُنذُ مَولده.**
٢ **فسأَلَه تَلاميذُهُ: "رابِّي، مَن خَطِئَ، أَهذا أَمْ والداه، حَتَّى وُلدَ أَعْمى؟".**
٣ **أَجابَ يسوع: "لا هذا خَطِئَ وَلا والداه، ولكِن كانَ ذلك لتَظهَرَ فيه أَعمالُ الله.**
٤ **يَجبُ علَينا، ما دامَ النَّهارُ، أَن نَعمَلَ أَعمالَ الَّذي أَرسَلَني. فاللَّيلُ آتٍ، وفيه لا يَستَطيعُ أَحَدٌ أَن يَعمَل.**
٥ **ما دُمتُ في العالَم. فأَنا نورُ العالَم".**

هذه الطريقة في عرض الرواية ("على الماشي"!) والتي يستخدمها غالباً الازائيون (مرقس ١:١٦؛ متى ٩:٢٧)، ليست مألوفة لدى يوحنا. كان بوسع المشهد ان يجري في احدى إقامات يسوع في اورشليم. ومع ذلك نرى ان هذا المشهد يتناغم جيداً مع المشهد السابق: ذلك ان العداء الموجه ضد يسوع -وقد توسع فيه الفصلان ٧ و٨- يتمحور هنا حول شخص، وبالاخص حول شخص في طريقه الى التتلمذ ليسوع. والماء الآتي من بركة شيلوحا -وهو مهم جداً لعيد الاكواخ- يستقبل هنا الرجل الأعمى. ويسوع "نور العالم" في ٨:١٢، يصطدم بعمى اليهود الذين انغلقوا تجاه هذا النور. وهنا، نرى ذاك الذي هو "نور العالم" (آ ٥) يفتح عيني اعمى، ويكشف، عبر هذه الآية، وبطريقة اكثر وضوحاً، عن عمى الرؤساء اليهود.

تعرض الآيات الخمس الاولى الاشخاص والمواضيع في هذه الرواية. يسوع هو الشخصية المركزية، ذاك الذي **يرى** الاعمى، ويفسّر المشهد مسبقاً (الآية بصفتها تجلّياً للمجد)، ويشرك تلاميذه (وهم يظهرون للمرة الاولى بعد الفصل ٦) في عمله (يجب **علينا** ان نعمل)، عبر اقوال كشف سرّي (آ ٣-٥). ويلتقي سؤال التلاميذ مع اعتقاد سائد، الى حد كبير، في اللاهوت اليهودي، يكون بوسع الطفل بموجبه ان يخطأ وهو في بطن امه! وهذه الآيات الخمس الاولى المركزة على يسوع وعلى كلامه الكاشف، تفسح المجال من ثم لرؤية مصوّرة، حية، مليئة بالمنعرجات.

الشفاء (آ ٦-٧)

٦ **قالَ هذا وتَفَلَ في الأَرض، فجَبَلَ من تُفاله طيناً، وطَلى به عَينَي الأَعْمى،**
٧ **ثُمَّ قالَ له: "اِذهَبْ فَاغتَسِلْ في بِرْكَةِ سِلوَامَ"، أَي الرَّسوَل. فذَهَبَ فاغتَسَلَ فَعادَ بَصيراً.**

لا يحتل الشفاء سوى آيتين: ذلك ان اهتمام الراوي يتجه نحو المناقشات التي أثارها هذه الآية، والى مردوداتها على الاعمى: لا يضع يسوع ريقه مباشرة على عيني الاعمى، بل يجبل طيناً ويطلي به عيني الاعمى. وهذا الإخراج يشدد على ان يسوع قد بدأ عملاً لن تظهر فاعليته الرمزية إلا بعد مرور الاعمى عبر بركة شيلوحا. وقال القديس اوغسطينس: "لقد اغتسل في البركة، وعُمِّد في المسيح". وان ترجمة كلمة "شيلوحا" (سلوام) بـ "الرسول" تجعل من الاعمى رسولاً طائعاً، وتمهّد السبيل لشهادته المقبلة. انه، خلافاً لنعمان السوري (٢ ملوك ٥:١٠)، يؤمن مسبقاً بفاعلية كلام يسوع. وستؤكد تتمة الرواية على ذكائه المدهش واستعداده لتقبّل الجديد، كما على كفاءته في المناقشة. ذلك ان مقعد الفصل الخامس والاعمى بالولادة قد شفيا في ظروف متشابهة على وجه التقريب. الا ان الاعمى، هنا، من خلال عفويته وانفتاحه وذكائه وجرأته، قد تفوّق كثيراً على المقعد الذي لم يعد الامساك به ممكناً، فاتّصف بالتالي بالسلبية.

في المشاهد التالية، يغيب يسوع شخصياً. ومع ذلك، نراه يحتل القلب من المقاطع التي تتوالى عبر اسئلة مُحدّثي الاعمى وأجوبته.

الاعمى وجيرانه (آ ٨-١٢)

٨ **فقالَ الجيرانُ والَّذينَ كانوا يَرونَه مِن قَبلُ لأَنَّه كانَ شحَّاذاً: "أَلَيسَ هو ذاكَ الَّذي كانَ يَقعُدُ فيَستَعْطي؟"**

٩ وقالَ آخَرون: "إنَّه هو". وقالَ غَيرُهم: "لا، بل يُشبِهُه". أَمَّا هوَ فكانَ يقول: "أنا هو".
١٠ فقالوا له: "فكَيفَ انفتَحَت عَيناكَ؟"
١١ فأَجابَ: "إنَّ الرَّجُلَ الَّذي يُقالُ لَه يسوع جَبَلَ طيناً فطَلى بِه عَينَيَّ وقالَ لي: "اذهَبْ إلى سلوامَ فاغتَسِل. فذَهَبتُ فاغتَسَلتُ فأَبصَرتُ".
١٢ فقالوا له: "أَينَ هو؟" قال: "لا أعلَم".

ما ان شفي الاعمى، وإذا به يصبح موضوع اسئلة ثلاثة، اثنان منها أساسيان: هل هو ذاته؟ ومن ثم: كيف جرى ذلك؟ وبوسع الاعمى ان يجيب: انه يحكي الآية بالتفصيل، وبألفاظ تكاد تكرر حرفياً الآيتين ٦ و٧. غير ان السؤال الثالث وحده لا يجد له جواباً: **لا اعلم اين هو يسوع**. وكان عليه ان يقطع طريقاً طويلاً قبل ان يعلن ايمانه بيسوع، أي قبل ان يَعبُر من الآية الى قبول يسوع، نور العالم. فلقد كان يسوع، بالنسبة له، حتى الآن، شافياً لا غير، ذاك **الرجل الذي يُدعى يسوع**، والذي يجهل اين يقيم. وتوجّب عليه ان يعبر من نور العينين الى نور الايمان. إلا ان مرور يسوع في حياة هذا الاعمى، وفي حياة البشر، اخذ، منذ الآن، يفعل فعله الواضح، أي انه قسم البشر بين الذين يتلقون الآية والذين يرفضون يسوع.

الأعمى والفريسيون (آ ١٣-١٧)

١٣ فَذَهبوا إلى الفرِّيسيِّينَ بذاكَ الَّذي كانَ من قَبْلُ أَعْمى.
١٤ وكانَ اليَومُ الَّذي فيه جَبَلَ يسوعُ طيناً وفَتحَ عَينَي الأَعمى يَومَ سَبْت.
١٥ فسأَلَهُ الفرِّيسيُّونَ أَيضاً كَيفَ أَبصَر. فقالَ لَهم: "جَعَلَ طيناً على عَينَيَّ ثُمَّ اغتَسَلتُ وها إنِّي أُبصر".
١٦ فقالَ بَعضُ الفرِّيسيِّين: "لَيسَ هذا الرَّجُلُ منَ الله، لأَنَّه لا يَحفَظُ شَريعةَ السَّبْت". وقالَ آخَرون: "كَيفَ يَستَطيعُ خاطئٌ أَنَ يَأتيَ بمثلِ هذه الآيات؟" فوَقَعَ الخلافُ بَينَهم.
١٧ فقالوا: أَيضاً لِلأَعمى: "وأَنتَ ماذا تَقولُ فيه وقَد فَتَحَ عَينَيكَ؟" قالَ: "إنَّهُ نَبِيّ".

لقد كان استجواب السلطات الدينية فرصة للراوي لإدراج دافع ديني جديد، إذ ان الآية جرت في يوم سبت. ويسوع، بفعله هذا في يوم الراحة، يجعله في تناقض مع الشريعة والتزاماتها. وهنا نجد تعارضاً بين خطابين يعكسان تفسيرين عن شخص يسوع: فبالنسبة للبعض، يدل الشفاء يوم **سبت** خرقاً للشريعة، وبالتالي خطيئة. اما للبعض الآخر،

فتدل الآية على انه لا يمكن ان يكون خاطئاً. وهكذا يتعمق الانقسام بين الناس بخصوص يسوع. ذلك ان التضاد بين خرق السبت (وهو عمل الله) وشفاء الاعمى، يبقى من دون حلّ في الوقت الحاضر. إلا ان هناك نزاعاً يتوضح بين الحق (ضد يسوع) وبين الواقع، أي شفاء الاعمى (في صالح يسوع). والاعمى، وبكثير من الدعابة، أُتخذ بمثابة حَكَم، وتمركز مسبقاً في مكان آخر، عبر موقفه: "**انه نبي**". وليس من المستحيل ان يكون الاعمى قد أسس تأكيده على الاسفار المقدسة التي تَعهَد الى المسيح بمهمة إنارة الشعوب وفتح عيون العميان (اشعيا ٤٢:٦-٧؛ انظر ايضاً اشعيا ٢٩:١٨؛ ٣٢:٣؛ ٣٥:٥).

الفريسيون والأهل (آ ١٨-٢٣)

١٨ **على أنَّ اليَهودَ لم يُصَدِّقوا أَنَّه كانَ أَعْمى فأَبصَر، حتَّى دَعَوا والدَيه.**
١٩ **فسأَلوهما: "أَهذا ابنُكما الَّذي تَقولان إِنَّه وُلِدَ أَعمى؟ فكَيفَ أَصبَحَ يُبصِرُ الآن؟"**
٢٠ **فأَجابَ والداه: "نَحنُ نَعلَمُ أَنَّ هذا ابنُنا، وأَنَّه وُلِدَ أَعْمى.**
٢١ **أَمَّا كَيفَ أَصبَحَ يُبصِرُ الآن، فلا نَدْري، ومَن فَتَحَ عَينَيه فَنَحنُ لا نَعلَم. إِسأَلوهُ، إِنَّه مُكتَمِلُ السِّنّ، سَيَتَكَلَّمُ هو بنَفسه عن أَمرِه".**
٢٢ **وإِنَّما قالَ والداهُ هذا لخَوفِهِما مِنَ اليَهود، لأَنَّ اليَهودَ كانوا قد اتَّفَقوا على أَن يُفصَلَ مِنَ المجمَعِ مَن يَعتَرِفُ بأَنَّه المَسيح.**
٢٣ **فلِذلكَ قالَ والِداه: إِنَّه مُكتَمِلُ السِّنّ، فاسأَلوه.**

حتى الآن، لم يأت ذكر والدَي الاعمى إلا بصفتهما مسؤولين محتَمَلين عن عماه (آ ٢). وها هما الآن قد استُدعيا. وسُميّ الفريسيون هنا بـ "اليهود": ومثل هذه الملاحظة تُفصح، في آن واحد، عن كاتب وقارئ اتخذا مسافة تجاه الديانة اليهودية. اما جوابهما، فهو مكوّن من وجهين من المعرفة وغير المعرفة:

نحن نعلم ان هذا ابننا، وانه وُلد اعمى
لا ندري كيف يبصر الآن
لا ندري من فتح عينيه

نحن بازاء معرفتين تتعارضان. احداهما بحسب الجسد، والاخرى بحسب الروح. وتتعلق الثانية بسر المسيح الذي يبقى بعيد المنال. وتبرز صعوبة فهم السر من خلال منطق الرواية. إلا ان الراوي يفسّرها بمثابة الخوف من ان يُفصَل المرء من المجمع. ويُحتمل ان

يكون الانجيلي قد اصدى هنا للمخاطر الناجمة عن الايمان بيسوع، وقد اصبحت واقعاً في نهاية القرن الاول، عبر "الفصل" من المجمع الذي لم يكن معروفاً في زمن يسوع. ولكن، وعلى مستوى الرواية بالذات، فان عزلة الاعمى تشير الى ان الايمان بيسوع هو دوماً موقف شخصي لا يمكن ان يتخذه الأهل عوضاً عن التلميذ. وهذا الخيار يرافقه الخطر، إذ بوسعه ان يؤدي بالشخص الى قطيعة مع ديانته الخاصة.

الاستجواب ثانٍ للاعمى (آ ٢٤-٣٤)

٢٤ فَدَعَوا ثانِيَةً الرَّجُلَ الَّذي كانَ أَعمى وقالوا له: "مَجِّدِ الله، نَحنُ نَعلَمُ أَنَّ هذا الرَّجُلَ خاطِئ".
٢٥ فأَجابَ: "هل هو خاطِئٌ لا أَعلَم، وإِنَّما أَعلَمُ أَنِّي كُنتُ أَعْمى وها إِنِّي أُبصِرُ الآن".
٢٦ فقالوا له: "ماذا صَنَعَ لَكَ؟ وكَيفَ فَتَحَ عَينَكَ؟"
٢٧ أَجابَهم: "لقد قُلتُه لَكم فلَم تُصغُوا، فلِماذا تُريدونَ أَن تَسمَعوه ثانِيَةً؟ أَتُراكم تَرغَبونَ في أَن تَصيروا أَنتُم أَيضاً تَلاميذَه؟"
٢٨ فشَتَموه وقالوا: "أَنتَ تلميذُه، أَمَّا نَحنُ فَإِنَّنا تَلاميذُ مُوسى.
٢٩ نَحنُ نَعلَمُ أَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسى، أَمَّا هذا فلا نَعلَمُ مِن أَينَ هو".
٣٠ أَجابَهُمُ الرَّجُل: "فعَجيبٌ أَن لا تَعلَموا مِن أَينَ هو وقَد فتَحَ عَينَيَّ.
٣١ نَحنُ نَعلَمُ أَنَّ اللهَ لا يَستَجيبُ للخاطئين، بل يَستَجيبُ لمَن اتَّقاهُ وعَمِلَ بِمَشيئَته.
٣٢ ولَم يُسمَعْ يَوماً أَنَّ أَحداً مِنَ النَّاسِ فَتَحَ عَينَي مَن وُلِدَ أَعْمى.
٣٣ فلَو لم يَكُن هذا الرَّجُلُ مِنَ الله، لَما استَطاعَ أَن يَصنَعَ شَيئاً".
٣٤ أَجابوه: "أَتُعَلِّمُنا أَنتَ وقَد وُلِدتَ كُلُّكَ في الخَطايا؟" ثُمَّ طَردوه.

يُخلص تدخّل الاهل إلى هذه العبارة: "اسألوه، انه مكتمل السن". ومنذئذ دخل الأعمى في عزلة، فكان عليه ان يعتمد على جرأته وحدها ازاء قضاته. وهيذي الرواية تضع تضاداً بين معرفتين تتجاوزان الاشخاص الحاضرين: فعلى عبارة الفريسيين: "نحن نعلم" (آ ٢٤)، تجيب عبارة الاعمى، ومعه الكنيسة التي يمثّلها هنا: "نحن نعلم" (آ ٣١). وفي الواقع، نحن بازاء شكلين من المعرفة يتعارضان هنا: المعرفة الاولى (معرفة الفريسيين، وقد دُمجوا منذ الآن بـ "اليهود") تعتبر ان الماضي هو الحَكَم لفهم حدث يسوع ("نحن نعلم ان الله كلّم موسى"). وتجاه هذا الموقف، يعلنون جهلهم بصدد اصل يسوع: "اما هذا فلا نعلم من اين هو". وهكذا تفتح الآية المجال لتفسيرين: لا يأخذون على يسوع

سوى تجاوزه على القانون (هذا الرجل خاطئ لانه عمل يوم السبت)، ويبقون مُغلَقين على جِدّة الحدث (أعمى أصبح مبصراً).

اما المعرفة الثانية، فهي تأكيدية ايضاً، على غرار الاولى: فالاعمى -والكنيسة الاولى من خلاله- يعلن: **نحن نعلم**. وهذه المعرفة تتجذر في حدث: "كنت اعمى، وها اني ابصر الآن". وهنا تصبح براهين الماضي عاجزة: إذ ان ما يحدث، عبر يسوع، هو شيء **خارق** بالمعنى الحصري: "**لم يُسمَع يوماً** ان احداً من الناس فتح عيني من ولد اعمى". وهكذا تعطي الكنيسة الاولوية للجِدّة المتجلية في يسوع.

وتُختم مسيرة الاعمى: لقد ذهب حتى النهاية، مُبرّزاً التضاد بين معرفة اولئك الذين يتلقون الآية التي يعرضها الله بيسوع، وبين معرفة اولئك الذين يراهنون على موسى ضد يسوع. ويردّد اليهود، في سخرية يوحنانية لا غش فيها، حكم التلاميذ على ان المولود اعمى، هو "خاطئ"! وهكذا، عبر هذا "التطويق" (كلمة الخطيئة في البداية والنهاية)، اتضح ان اليهود لم يتحركوا، قيد انملة، منذ البداية. انهم لم "يروا" الآية التي تكشف عن عماهم.

اما طرد الاعمى من المجمع، فذلك يذهب بالرواية الى خاتمتها. فنحن بازاء منطق "الفصل"، وهو يخصّ وضع يسوع في الكشف. انه، للبعض، خاطئ متجاوز الشريعة. وهو، في نظر الأعمى، نبي أيده الله. لقد بقي الاعمى، حتى الآن، في مناخ الايمان اليهودي؛ ذلك ان طرده جعل منه محروماً، وليس مؤمناً بيسوع بعد. فالولاء ليسوع يفترض ان يظهر له يسوع، مرة اخرى، ليحمله على اجتياز هذه الخطوة.

الدخول في الجماعة (٣٥-٣٨)

٣٥ **فسَمِعَ يسوع أَنهم طَردوه. فلَقِيَه وقالَ له: "أَتُؤمِنُ أَنتَ بِابنِ الإِنسان؟"**
٣٦ **أَجابَ: "ومَن هو. يا ربّ، فأُومِنَ به؟"**
٣٧ **قالَ له يسوع: "قد رَأَيتَه، هو الَّذي يكَلِّمُكَ".**
٣٨ **فقال: "آمنتُ، يا ربّ" وسجَدَ له.**

ويعود يسوع ليستقبل الرجل المطرود. وكان عليه ان يجعله يحقق العبور الحاسم: من "يسوع النبي" الى "يسوع ابن الانسان"، ذاك المخلص الذي بوسعه ان يُدخل الناس الى جماعة الازمنة الاخيرة. ذلك ان الاعمى بالولادة والمعاق، في جداله مع رؤساء الدين

اليهودي، وبالتالي مع "اليهود"، برهن على ذكاء وشفافية في تفسير حدث يسوع. وهنا كشف له يسوع عن مجيء الجماعة الجديدة تحت قيادة "ابن الانسان". وهوذا الاعمى يسجد امام "ابن الانسان" ويعترف بألوهيته، إذ ان السجود، لدى يوحنا، محفوظ لله (يوحنا ٤:٢٠-٢٤؛ ١٢:٢٠)، كما ان لقب "الرب" يؤكد على هوية يسوع الالهية. وهكذا يصبح السجود ليسوع -وقد اعتُرف به كاشفاً حاسماً عن الله- ذروة مسيرة الاعمى.

التفسير (آ ٣٩-٤١)

٣٩ **فقالَ يسوع: "إنّي جِئتُ هذا العالَمَ لإصدارِ حُكْمٍ: أَن يُبصِرِ الَّذينَ لا يُبصِرون ويَعْمى الَّذينَ يُبصرون".**

٤٠ **فسَمِعَه بَعضُ الفرِّيسيِّينَ الَّذينَ كانوا معَه فقالوا له: "أَفنَحنُ أَيضاً عُمْيان؟"**

٤١ **قالَ لَهم يسوع: "لو كُنتُم عُمْياناً لَما كانَ علَيكُم خَطيئة. ولكِنَّكُم تَقولونَ الآن: إنَّنا نُبصِر فخَطيئَتُكُم ثابِتَة".**

اما الفريسيون، فهم على النقيض من الاعمى. ويسوع، إذ يضع نفسه في قلب السبت، فهو انما يؤكد بان القطيعة بين اليهود والمسيحيين هي، اولاً، وقبل كل شيء، قطيعة كريستولوجية. اما القرار الذي خلّفته، فهو الفصل. وهكذا، فبموجب الموقف تجاه الكلمة المتجسد، يتخذ البشر مكانهم: سواء في الظلمة، ام في النور.

ب. يسوع، الباب والراعي (١٠:١-٢١)

هذا المثل وتفسيره يؤلّفان وحدة، ولكن لا شيء يربطهما مباشرة بسياق تاريخي وجغرافي معيّن، باستثناء الآيات ١٩-٢١. وان اقام يسوع بمس من الشيطان (آ ٢٠) لا يُستنتج، بشكل بديهي، من خطاب يسوع المباغت. بل بالعكس، يجده يرتبط جيداً بالفصل ٨:٤٨-٤٩، ٥٢. كما ان الصلة بشفاء الاعمى (الفصل ٩) واضحة جداً في ١٠:٢١. فعلى صعيد المحتوى، نرى ان الاعمى المطرود من المجمع، والذي تلّقاه يسوع، يدخل في قطيع جديد. وبوسعنا ان نعتقد بان المؤلف جعل مجموعة الفصول ٧-١٠:٢١ في سياق عيد الاكواخ. وفي هذه الحالة، ستكون هناك شبه وحدة في الزمن (عيد الاكواخ)، وفي المكان (اورشليم والهيكل)، وفي الاشخاص (يسوع بازاء اليهود). الا ان

سياق الخطاب، من اوله الى آخره، يبقى جدلياً، ترافقه تهديدات تزداد حدة ضد يسوع (٧:١، ١٩، ٢٠، ٢٥، ٣٠، ٣٢، ٤٤، ٨:٢٠، ٥٩، ١٠:١٩-٢١).

المثل (١٠:١-٦)

١٠ ١ **الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: مَن لا يَدخُلُ حَظيرَةَ الخِراف مِنَ الباب بل يَتَسَلَّقُ إِلَيها مِن مَكانٍ آخَرَ فهُو لِصٌّ سارِق.**

٢ **ومَن يدخُلُ مِنَ الباب فهُو راعي الخِراف.**

٣ **لَه يَفتَحُ البَوَّاب. والخِرافُ إِلى صوتِه تُصغي. يَدعو خِرافَه كُلٌّ واحدٍ مِنها بِاسمِه ويُخرِجُها**

٤ **فإِذا أَخرَجَ خِرافَه جَميعاً سارَ قُدَّامَها وهي تَتبَعُه لأَنَّها تَعرِفُ صَوتَه.**

٥ **أَمَّا الغَريب فَلَن تَتبَعَه بل تَهرُبُ منه لأَنَّها لا تَعرِفُ صَوتَ الغُرَباء".**

٦ **ضرَبَ يسوع لَهم هذا المَثَل، فلَم يَفهَموا مَعنى ما كَلَّمَهم بِه.**

توضح الآية ٦ اننا بصدد مثل. وهذه اللغة التصويرية هي اسلوب للاتصال يتسم باللغز والتلميح. فالمثل، لدى يوحنا، هو نقيض الخطاب الصريح: "فقال تلاميذه: ها انك تتكلم الآن كلاماً صريحاً، ولا تضرب مثلاً" (١٦:٢٩). ويسوع، هنا، عبر هذا التعليم الخفي واللغزي، انما يقود مستمعيه نحو كشف اكثر امتلاء، ونحو مساءلة للذات. فالمثل يهزّ المستمع ويسير به على ارض غير متوقعة كي يجعله اكثر تقبّلاً.

بوسع المثل ان يُقرأ على مستوى اعتيادي، بصفته رواية مستوحاة من الحياة اليومية. وحينذاك يكون يسوع قد قارن الراعي الحقيقي (ذاك الذي يدخل من الباب، أي عبر الطريق الاعتيادي) بذاك الذي يدخل متسلّلاً، لأنه لص وسارق. ولما كانت القطعان تعود الى ملاكين مختلفين، توجّب على كل راع ان يجعل خرافه تعرفه من صوته ومن الاسماء التي كان يطلقها عليها.

فالمثل، مع تجذّره في الخبرة الاعتيادية، يحتوي دوماً على معنى خفي يُعبَّر عنه بتمتمة، عبر الاطار الانشائي والجغرافي، أي بكلمات تحمل معنى مزدوجاً. ففي الفصل التاسع، كان بوسع الاعمى المعافى ان يبدو بمثابة خروف مطرود من قطيع اسرائيل. وحينذاك سيسمح لنا المثل أن نفهم بانه جزء من هذه الخراف التي عرفت ان تميز صوت يسوع وتسير وراءه. وصورة القطيع مألوفة لدى الانسان البيبلي. ذلك ان الله هو الراعي الذي يقود شعبه في البرية (مزمور ٧٩:١٣؛ ٩٥:٧؛ ١٠٠:٣). ولكي يقود هذا الشعب،

اختار له خداماً، على غرار يشوع، "يخرج امامهم ويدخل امامهم، ويُخرجهم ويُدخلهم، لئلا تبقى جماعة الرب كغنم لا راعي لها" (عدد ١٧:٢٧). وارميا، باسم الله، يفضح الرعاة "الذين يبيدون ويشتّتون غنم رعيتي" (ارميا ٢٣:١-٤). واللفظة اليونانية التي تترجم بـ "يُخرجهم"، نجدها غالباً في الكتاب المقدس اليوناني لوصف الخروج من مصر (خروج ٣:١٠؛ ٦:٢٧؛ احبار ١٩:٣٦). ولا ينبغي ان ننسى ابداً بان الانجيلي يتوجه الى قراء قادمين، في غالبيتهم، من الدين اليهودي، وقد تبعوا يسوع في هذا الخروج الجديد.

وهكذا فان عدم فهم الفريسيين سمح للراوي بإدراج القسم التوضيحي المركّز على موضوعي الباب والراعي.

تفسير المثل (آ ٧-٢١)

٧ فقالَ يسوع: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: أَنا بابُ الخِراف.

٨ جَميعُ الَّذينَ جاؤوا قَبْلي لُصوصٌ سارِقون ولكنَّ الخِرافَ لم تُصْغِ إِلَيهم.

٩ أَنا الباب فمَن دَخَلَ مِنِّي يَخلُص يَدخُلُ ويَخرُجُ ويَجِدُ مَرْعًى.

١٠ السَّارِقُ لا يأتي إِلاَّ لِيَسرِقَ ويَذبَحَ ويُهلِك. أَمَّا أَنا فقَد أَتَيتُ لِتَكونَ الحَياةُ لِلنَّاس وتَفيضَ فيهِم.

١١ أَنا الرَّاعي الصَّالِح والرَّاعي الصَّالِحُ يَبذلُ نَفْسَه في سَبيلِ الخِراف

١٢ وأَمَّا الأَجير، وهو لَيسَ بِراعٍ ولَيست الخِرافُ له فإِذا رأَى الذِّئبَ آتياً تَركَ الخِرافَ وهَرَب فيَخطَفُ الذِّئبُ الخِرافَ ويُبَدِّدُها.

١٣ وذلكَ لأَنَّهُ أَجيرٌ لا يُبالي بالخِراف.

١٤ أَنا الرَّاعي الصَّالِح أَعرِفُ خِرافي وخِرافي تَعرِفُني

١٥ كَما أَنَّ أَبي يَعرِفُني وأَنا أَعرِفُ أَبي وأَبذلُ نَفْسي في سَبيلِ الخِراف.

١٦ ولي خِرافٌ أُخْرى لَيسَت مِن هذه الحَظيرَة فتلكَ أَيضاً لا بُدَّ لي أَن أَقودَها وستُصغي إِلى صَوتي فيَكونُ هُناكَ رَعيَّةٌ واحدة وراعٍ واحد.

١٧ إِنَّ الآبَ يُحِبُّني لأَنِّي أَبذلُ نَفْسي لأَنالَها ثانِيَةً

١٨ ما من أَحَد يَنتزِعُها مِنِّي بل إِنِّي أَبذِلُها بِرِضايَ. فَلي أَن أَبذِلَها ولي أَن أَنالَها ثانِيَةً وهذا الأَمرُ تَلَقَّيتُه مِن أَبي"

١٩ فوَقَعَ الخِلافُ ثانِيَةً بَينَ اليهودِ بِسَبَبِ هذا الكَلام،

٢٠ فقالَ كثيرٌ منهم: "إنَّ به مَسّاً منَ الشَّيطان، فهُو يَهْذي، فلماذا تُصغُونَ إلَيه؟".
٢١ وقال آخَرون: "لَيسَ هذا كَلامَ مَن به مَسٌّ منَ الشَّيطان. أَيَستَطيعُ الشَّيطانُ أَن يَفتَحَ أَعيُنَ العُمْيان؟".

يسوع هو الباب (آ ٧-١٠)

لم تكن هوية يسوع الراعي، في المثل، واضحة قط؛ غير ان يسوع، في التفسير، يتخذ المكان الاول (نجد في الفصول ٧-١٨ عشرين استخداماً، على الاقل، لضمير المتكلم، دون ان نحصي كل الافعال في صيغة المتكلم).

في هذا القسم، هناك موضوعان متتاليان: اولاً، **يؤكد يسوع انه المعبر الوحيد الذي منه يمكن الوصول الى الخراف.** وللذهاب نحو القطيع —وهو صورة شعب الله— يبدو يسوع "المعبر" الذي لا بديل له. وخارجاً عنه لا مجال للبلوغ الى الشعب والى الحياة. وان صيغة "جميع الذين جاءوا قبلي، لصوص سارقون"، طرحت مشكلة بسبب نبرتها المطلقة والحدّية، حتى ان هناك مخطوطات حذفت عبارة "قبلي". ولا شك ان بعض الهراطقة اتخذوا من هذه الكلمات حجة كي ينبذوا كل العهد القديم! إلا ان آباء الكنيسة فهموا ان ليس هذا هو المقصود: فيسوع هو الاول، كونه "الباب الذي منه دخل ابراهيم واسحق ويعقوب والانبياء والرسل والانجيل" (اغناطيوس الانطاكي، الرسالة الى اهل فيلادلفيا). وهذا يعني ان اليهود والفريسيين الذين رفضوا وساطة يسوع، ومن ثم فصلوا الذين يؤمنون به (على غرار الاعمى منذ مولده)، هم السراق واللصوص. ومن المحتمل ان يكون يسوع قد قصد، وبشكل اوسع، اولئك الذين يدّعون انهم مسحاء، وقدّموا انفسهم وكأنهم مرسَلون من الله. وهكذا، فان القرب من الهيكل ولفظة "لص" المستخدمة في النصوص القديمة لوصف "الغيارى"، يسمحان لنا بان نرى في كلام يسوع إدانة خافرة للحركات "المشيحانية" في زمانه. ولقد ادّت توجهات هذه الحركات الى هدم الجماعة وموتها، بينما كان يسوع نبع حياة للجماعة. وبشكل اكثر شمولية، يكون يسوع قد عنى، هنا، كل الذين يسعون إلى ان يقدّموا كشفاً خارجاً عن شخص يسوع. وهكذا، فبوسع الخروج المذكور في آ ٩ أن يكون تلميحاً الى خروج المسيحيين من المجمع. وكما قاد موسى اسرائيل خارجاً عن مصر، هكذا يأخذ الكلمة موقعه في رأس القطيع ليخرجه من الديانة اليهودية.

ومن ثم، **يؤكد يسوع بان على كل الخراف ان تمرّ به**، فتحصل على خير مضاعف: انها ستحصل على الحرية، ومن ثم على الحياة بملئها. ويفسح المثل، هنا، المكان للخطاب الصريح: ذلك ان يسوع يبدو ينبوع الحياة الذي لا ينضب (وبوفرة فائقة)، ولكل البشر. وبايجاز، فان يسوع هو الباب: خارجاً عنه، ليس بوسع احد ان يدّعي منح الخلاص للبشر. فيسوع هو الباب الذي، بواسطته، يبلغ البشر الى الخلاص والحياة. والمحيط الذي نحن فيه (الهيكل) يسمح لنا بان نفسّر الجزء (الباب) بالكلّ (الهيكل)، إذ ان يسوع يقدّم نفسه بصفته الهيكل الجديد الذي يجد فيه البشر الحرية والحياة.

يسوع هو الراعي الصالح (آ ١١-٢١)

يذكّر مثل الراعي والقطيع بلوقا ١٥:٣-٧ وبمتى ١٨:١٢-١٤. اما بالنسبة الى يوحنا، فالاهتمام هو، اولاً، كريستولوجي: فالراعي الصالح هو نقيض السارق (آ ١) والغريب (آ ٥). ولدينا هنا وصف للعلاقات التي توحّد بين الراعي وخرافه. فهو، بعكس الأُجَراء، الراعي **الحقيقي** (الصالح)، ولسببين: اولاً، لانه يخاطر بحياته كي يحمي خرافه؛ ولكن بالاكثر، لانه يقيم معها صلة معرفة فريدة، كونه متجذراً (**كما** يعرفني الآب) في معرفته الشخصية للآب.

ويلمّح المثل اولاً الى موت يسوع، ولكنه بالتالي يشير اليه بوضوح: "ابذل نفسي **من اجل** الخراف" (١٠:١٥)؛ ونجد الصيغة ذاتها في مرقس ١٤:٢٤ (الدم المراق **من اجل** جماعة الناس)، وفي لوقا ٢٢:١٩ (الجسد المبذول **من اجلكم**).

وحين يوضع يسوع في تضاد مع الاجير، فهذا يعني ان امراً ايجابياً يتم التشديد عليه: فالاجير يتخلى عن خرافه ("لن ادعكم يتامى"، ١٤:١٨)؛ ويصبح بوسع الذئب ان يخطفها ("لا احد يختطف خرافي من يدي"، ١٠:٢٨) ويبددها (ويموت يسوع "ليجمع شمل ابناء الله المشتّتين"، ١١:٥٢).

واعتباراً من الآية ١٦، يتجاوز الخطاب وضع يسوع التاريخي ليشمل كل المؤمنين الآتين من العالم الوثني، والذين، بوساطة التلاميذ، سيؤمنون به (١٧:٢٠). وان تجمّع المؤمنين -وهو مُنتَظَر للايام الاخيرة- سيتم حول يسوع وحول كلامه. وهذه الوحدة المرجوّة تُمنح في موت يسوع (١١:٥٢)؛ فهي متجذرة في الوحدة الكامنة بين الآب والابن. انها انتصار صعب ذو متطلبات، ومن اجله يصلي يسوع قبل ان يذهب نحو الآب (١٧:٢١).

واعتباراً من الآية ١٧، يعبّر يسوع عن علاقته الحميمة مع الاب، إذ فيها تتخذ حياته ويتخذ موته معنى. فان من شأن ايقاع النص، مع تكراراته وتوازياته وانعكاساته، ان يفتح السبيل الى تجلّي المعنى، كما في العرض التالي:

الآب

يحبني

لاني ابذل حياتي

لاناها ثانية

ما من احد ينتزعها مني

لكني ابذلها برضاي

لي أن ابذلها

ولي ان اناها ثانية

هذا الامر تلقيتُه

من أبي

فالآب -وقد ورد في البداية والنهاية- يبدو بصفته مصدر عمل يسوع وغايته. كل شيء يأتي منه: وليس **الامر** سوى تعبير عن **الحب**. اما الموت، فمعروض في الدينامية الخاصة بانجيل يوحنا، بصفته فعلاً حرًّا بكل معنى الكلمة، فيه يتم يسوع وصية المحبة التي من الآب. ويسوع، حتى في موته -تلك اللحظة التي يكون فيها الانسان مجرَّداً من قدرته على السيطرة على حياته- يبقى السيّد، لانه يتم ما يريد الله، في حبه، ان يهبه للبشر: الحياة. وهذه القراءة اللاهوتية لآلام يسوع -وهي تبتعد كثيراً عن العرض المأساوي الذي قدّمه مرقس -تهيؤنا لأن نقرأ آلام يسوع بصفتها الاتمام الارادي لمشروع الآب.

ويثير كلام يسوع الانقسام. ويخص هذا الانقسام اولئك الذين كانوا شهوداً على شفاء الاعمى، كما يخص السامعين للمثل والقراء العتيدين لهذا التعليم. بعضهم يتهمون يسوع بـ "الشيطانية"، ويعتبرون تعليمه علامة على مس من الشيطان وعلى الجنون (وكلاهما مرتبطان في العالم القديم). اما البعض الآخر، فيرى في كلامه وفي عمله بصمة الله.

خامساً: يسوع في عيد التجديد (١٠:٢٢-٤٢)

ها نحن مع آخر اعياد اليهود المذكورة في انجيل يوحنا، منذ الفصل الخامس: السبت (فصل ٥)، الفصح (فصل ٦)، الاكواخ (الفصلان ٧-٨)، التجديد (١٠:٢٢-٣٩). وهذا العيد الاخير (ويسمى ايضاً "هانوضة") كان احتفالاً بانتصار المكابيين ضد السوريين. فلقد كان انطيوخس ابيفانيوس، طيلة ثلاث سنوات (١٦٧-١٦٤)، قد دنّس الهيكل، إذ ادخل، بالقرب من مذبح المحرقات، تمثالاً لزوس. فوضع يهوذا المكابي حدًّا لهذا التدنيس، حين بنى مذبحاً جديداً وقدّس الهيكل المدنَّس. ففي كل عام، كانت الـ "هانوضة" (حرفياً "تدشين") احتفالاً بهذا التقديس الجديد للمذبح وللهيكل، وكان يجري في كانون الاول، أي بعد عيد الاكواخ بثلاثة اشهر.

وبالرغم من اختلاف العيد مع الفصلين ٧ و٨، فان للحدثين نقاطاً كثيرة مشتركة: كلاهما يجريان في اطار الهيكل؛ ويمارس "اليهود" الضغط عينه على يسوع (٨:٢٥، ٥٣). والفعل الذي تُرجم هنا بـ "التفّوا" يعني حرفياً "حوّطوه" (١٠:٢٤). ويشتد الحصار: انه الشتاء. ومن وراء فصل الشتاء، هي قلوبهم "قد تجمدت" (القديس اوغسطينس). وتصبح التهديدات ضد يسوع اكثر وضوحاً، وذلك دوماً بسبب ادّعاءاته في ما يتعلق بأبيه.

أ. يسوع هو المسيح (١٠:٢٢-٣٠)

٢٢ **وأُقيمَ في أُورَشَليمَ عيدُ التَّجديد، وكانَ فَصلُ الشِّتاء.**
٢٣ **وكانَ يسوعُ يَتَمَشَّى في الهَيكَلِ تَحتَ رِواقِ سُلَيمان.**
٢٤ **فالتَفَّ عليه اليَهودُ وقالوا له: "حَتَّامَ تُدخِلُ الحَيرَةَ في نُفوسنا؟ إن كُنتَ المَسيح، فقُلْه لَنا صَراحَةً".**
٢٥ **أَجابَهم يسوع: "قُلتُه لَكُم ولكنَّكُم لا تُؤمِنون. إنَّ الأَعمالَ الَّتي أَعمَلُها بِاسمِ أَبي هي تَشهَدُ لي.**
٢٦ **ولكنَّكُم لا تُؤمِنون لأَنَّكُم لستُم من خرافي.**
٢٧ **إنَّ خرافي تُصغي إلى صَوتي وأَنا أَعرِفُها وهي تَتبَعُني**
٢٨ **وأَنا أَهَبُ لَها الحَياةَ الأَبديَّة فلا تَهلكُ أَبداً ولا يَختَطِفُها أَحَدٌ من يَدي.**
٢٩ **إنَّ أَبي الَّذي وَهَبَها لي أَعظمُ مِن كُلِّ مَوجود. ما مِنَ أَحَدٍ يستطيعُ أَن يَختَطِفَ من يَدِ الآب شَيئاً.**
٣٠ **أَنا والآبُ واحِد".**

يتمحور المشهد حول السؤال الذي طرحه يسوع بشأن هويته المسيحانية. وصياغة المشهد قريبة من تلك التي نجدها لدى الازائيين في محاكمة يسوع امام السنهدريم (لوقا ٢٢:٦٧).

ويُبنى السؤال، لدى يوحنا، بشكل طبيعي، على اساس ما سبق، حين اعلن يسوع عن ذاته انه الراعي، وهي الصورة التقليدية للمسيح الداودي. ويسوع، كما امام السنهدريم، لدى الازائيين، يجيب بفطنة، إذ ان لقب "مسيح" كان يشمل في زمانه انتظارات مختلفة جداً، وفي مقدمتها الانتظارات العسكرية الفاتحة (السامرية وحدها حصلت على جواب صريح، انظر ٤:٢٦). فيسوع، من دون ان يجيب مباشرة، يشدد على اعماله، بدءاً بشفاء الاعمى. وكانت المعجزات تعتبر بمثابة العلامات التي بها يُعرف المسيح (راجع جواب يسوع لموفدي يوحنا المعمذان في متى ١١:٢-٦).

وتكرر الآيتان ٢٦-٢٧ الموضوع المطروح في المثل: الراعي والقطيع، مع التشديد هنا على الخراف "التي اعطاه الآب اياها". ذلك ان التعرّف على المسيح وقبوله يبقيان، في الواقع، عطية من الله. ويعكس يوحنا هنا، بلغته، معطى تقليدياً يؤيده الازائيون: إذا استطاع بطرس ان يعترف بيسوع مسيحاً، فذلك "بفضل الآب الذي في السموات" (متى ١٦:١٧).

وفي الآيتين ٢٩-٣٠، يطرح يسوع سرّ علاقته بالآب. ذلك ان الآب هو سيد القطيع الذي عهد به إلى الابن (انظر ايضاً يوحنا ٦:٣٧، ٣٩؛ ٦:١٧). فيسوع يندرج تحت سلطة ابيه (انظر ٥:١٩-٣٠؛ ٨:١٦-١٩). وفي الآية ٣٠، يبلغ كشف يسوع ذروته: "**انا والآب واحد**". ولم يسبق ليسوع قط ان ذهب الى مثل هذا البعد، للتعبير عن علاقته الحميمة وشركته مع الآب (انظر ٥:٣٠؛ ٨:١٦). هذه الصيغة الجريئة هي التي ستُلهم المجمع الخلقيدوني في الاقرار بألوهية يسوع. وكان هذا الإقرار، بالنسبة الى اليهود الذين سمعوه، مبعثاً للمعثرة، حتى انهم ارادوا (كما في كل مرة تكلم فيها بهذا الشكل، ٥:١٧-١٨؛ ٨:٥٨-٥٩) ان يرجموه من اجل التجديف.

ب. يسوع هو ابن الله (١٠:٣١-٣٩)

٣١ **فأتى اليَهودُ بحجارَة ثانيَةً لِيَرجُموه.**
٣٢ **أجابَهم يسوعَ: "أَرَيتُكُم كَثيراً مِنَ الأَعمالِ الحَسَنةِ مِن عِندِ الآب، فلأَيِّ عَمَلٍ مِنها تَرجُموني؟"**

٣٣ أَجابَه اليَهود: "لا نَرجُمُكَ لِلعَمَلِ الحَسَن، بل لِلتَّجْديف، لأَنَّكَ، وأَنتَ إِنْسان، تَجعَلُ نَفْسَكَ الله".
٣٤ أَجابَهم يسوع: "أَلَم يُكتَبْ في شَريعتكم: *قُلتُ إِنَّكُم آلِهَة؟*
٣٥ فإذا كانَت الشَّريعَةُ تَدعو آلِهَةً مَن أُلْقِيَت إِلَيهِم كَلِمَةُ الله –ولا يُنسَخُ الكتاب–
٣٦ فَكَيفَ تَقولونَ لِلَّذي قَدَّسَه الآبُ وأَرسَلَه إِلى العالَم: أَنتَ تُجَدِّف، لأَنِّي قُلتُ إِنِّي ابنُ الله؟
٣٧ إِذا كُنتُ لا أَعمَلُ أَعمالَ أَبي فَلا تُصَدِّقوني.
٣٨ وإِذا كُنتُ أَعمَلُها فصَدِّقوا هذهِ الأَعمال إِن لَم تُصَدِّقوني. فَتعلَموا وتُوقِنوا أَنَّ الآبَ فيَّ وأَنِي في الآب".
٣٩ فحاوَلوا مرَّةً أُخرى أَن يُمسِكوه، فأَفلَتَ مِن أَيديهِم.

"... وانت انسان، تجعل نفسك الله" (١٠:٣٣). هذه الصيغة قلبت قانون ايمان المسيحيين الحقيقي: الله صار انساناً، "الكلمة صار بشراً (١:١٤). اما هنا، فقد طُرح البُعد الفاصل بين اليهود والمسيحيين في مقاربتهم ليسوع. فبالنسبة الى اليهود، انه يتصرف بصفة انسان يغتصب علاقة حميمة مع الله لا تحق له. اما بالنسبة الى المسيحيين، فهو كلمة الله الذي صار انساناً. وما هو عليه، لا يأتي من ذاته، بل من الآب "الذي قدّسه".

وفي الآية ٣٧ يعود يسوع الى دافع **الاعمال**. فلما كان مُرسَلاً، أخذ يقوم بدور "شالياح" (رسول) في التقليد اليهودي، بمعنى انه يستمد سلطته من المرسِل، لا بل يتماثل معه. لا شك ان الاعمال ليست برهاناً، ولكنها علامات تشير الى ان اقوال يسوع ليست من دون اساس.

الإقامة مؤقتة (١٠:٤٠-٤٢)

٤٠ وعبَرَ الأَردُنَّ مرَّةً أُخرى فذهَب إِلى حَيثُ عَمَّدَ يوحَنَّا في أَوَّلِ الأَمْر، فَأَقامَ هُناك.
٤١ فأَقبلَ إِلَيه خَلْقٌ كثيرٌ وقالوا: "إِنَّ يوحَنَّا لم يَأتِ بِآية ولكِنَّ كُلَّ ما قالَه في هذا الرَّجُلِ كانَ حَقّاً".
٤٢ فآمَنَ بِه هُنالِكَ خَلقٌ كَثير.

وتحت ضغط التهديد، ابتعد يسوع. وكان بوسع هذا العبور "الى ما وراء الاردن" ان يتضمّن قيمة رمزية. فيسوع يترك اليهودية التي تهدده وترفض الايمان. ولنا هنا

صورة عن خروج الخراف مع الراعي. وفي اطار الفشل الذي يخيم على الفصل العاشر، ترتسم ملامح ولادة الجماعة الجديدة. "كثيرون" آمنوا، و"بقوا" معه. وحين ذكّر الانجيلي بدور يوحنا المعمذان، فقد ذكّرَ باعترافه العلني الاول. فمن خلال اربع مرات، وفي كل مرة بايجاز اكبر (١:١٩-٣٦؛ ٣:٢٢-٣٠؛ ٥:٣٣-٣٥؛ ١٠:٤١)، ينسحب المعمذان ويختفي، بعد ان يكون قد أكمل مهمّته بصفة شاهد: "كثيرون قالوا: ان يوحنا لم يأت بآية، ولكن كل ما قاله في هذا الرجل كان حقاً" (آ ٤١). ويُحتمل ان هذه الآياتَ كانت تُشكّل خلاصة للقسم الاول من الانجيل"، في زمن لم يكن الفصلان ١١ و١٢ قد دُمجا بعدُ في انجيل يوحنا.

الجزء الرابع:

يسوع يسير نحو الساعة والمجد

(١١:١-١٢:٥٠)

أولاً: يسوع يمنح لعازر الحياة [١١:١-٤٤]

ثانياً: البشر يحكمون على يسوع بالموت [١١:٤٥-٥٧]

ثالثاً: مشاهد إعدادية

أ. دهن يسوع بالطيب [١٢:١-١١]

ب. دخول يسوع اورشليم [١٢:١٢-١٩]

ج. ساعة يسوع [١٢:٢٠-٣٦]

خلاصة

تقييم ختامي [١٢:٣٧-٤٣]

خطاب اخير [١٢:٤٤-٥٠]

أولا: يسوع يمنح لعازر الحياة (١١:١-٤٤)

الآية السابعة في انجيل يوحنا هي الاكثر عظمة، حتى ان بعض المفسرين رأوا فيها استباقاً لآلام يسوع وقيامته، اكثر منها خلاصة القسم للاول من الانجيل.

وكما هي العادة دوماً في انجيل يوحنا، نجدنا بازاء رواية متمحورة على يسوع. فحوله تُحبك الرواية؛ وبصلة معه، هوذا كل الاشخاص مدعوون الى القيام بخيارات. ويجري المشهد في مكانين: في عبر الاردن (١٠:٤٠-١١:١٦) حيث كان يسوع قد انسحب مع تلاميذه؛ وفي بيت عنيا (١١:١٦-٤٥) حيث كان يسكن لعازر واختاه. وبحسب يوحنا ١:٢٨، كانت المدينة التي في عبر الاردن تسمى ايضاً بيت عنيا. وهكذا لدينا "بيت عنيا" اثنتان، يفصلهما نهر الاردن؛ وتبتعد الواحدة عن الاخرى مسافة ليست جغرافية، بدرجة اولى: هناك بيت عنيا الهدوء والحياة والايمان، وهناك بيت عنيا الاضطراب والموت. ففي بيت عنيا القريبة من اورشليم، كان يسكن لعازر ومرتا ومريم، وهم اخ واختان. ولعازر -ويعني اسمه وفق الصيغة العبرية "ليرحم الله"- لا نجده في مكان آخر من الانجيل. والاسم ذاته نجده في مثل لعازر والغني (لوقا ١٦)، وفي وضع له صلة مع المشهد الذي نحن بصدده. اما مريم ومرتا، فلا نجدهما إلا في لوقا ١٠:٣٨-٤٢.

مقدمة (١١:١-٦)

١١ ١ وكانَ رَجُلٌ مَريضٌ وهو لَعازَر من بَيتَ عَنيا، من قَريَة مَريَمَ وأُختها مَرْثا.
٢ ومَريَمُ هيَ الَّتي دَهَنَتِ الرَّبَّ بالطِّيب ومسَحَت قَدَمَيه بشَعرِها. وكانَ المَريضُ أَخاها لَعازَر.
٣ فأَرسَلَت أُختاهُ تقولان ليَسوع: "يا ربّ، إنَّ الَّذي تُحبُّه مَريض".
٤ فلمَّا سمِعَ يسوع قال: "هذا المَرَضُ لا يَؤُولُ إلى المَوت، بل إلى مَجْدِ الله، لِيُمَجَّدَ بِه ابنُ الله".
٥ وكانَ يسوعُ يُحبُّ مَرْثا وأُختَها ولَعازَر،
٦ ومعَ ذلك فلمَّا سَمِعَ أَنَّه مريض، بَقِيَ في مَكانه يَومَين.

تفتتح الرواية على غرار القصص: "وكان رجل مريض...". ويتخذ لعازر مكانته بالانتساب إلى أختيه مريم ومرتا. فالاولى وُصفت انها هي التي دهنت يسوع بالطيب. ولما كان هذا الدهن بالطيب في علاقة مع "يوم دفن" يسوع، فبوسعنا ان نقرأ هذه الملاحظة التوضيحية بمثابة دليل للقراءة: مريم هي، إذن، منذ البدء، في جانب الحزن والموت!

وباستثناء هذا التفضيل، لا نجد تمييزاً كبيراً بين الاختين. كلتاهما يحبهما يسوع، وكلتاهما ارسلتا من يخبره بمرض لعازر. وهناك ملاحظتان تسهمان في اضفاء طابع المأساة على هذه الرواية: يسوع يحب... ومع ذلك يتأخر يومين عن المجيء! وبوسع هذه المفارقة ان تصبح هامة: سوف تظهر من جديد في ١١:٣٦-٣٧ وفق صيغة التأكيد على لسان اليهود: انظروا أي محبة كان يحبه!... ولكنه لم يشفه!

والمقدمة تمنح يسوع وضعاً فريداً، طالما انه اخذ يفسّر الحدث مسبقاً وكأنه مرض لا يقود الى الموت، وانما الى مجد الله وابنه.

يسوع والتلاميذ (١١:٧-١٦)

٧ ثُمَّ قالَ للتَّلاميذ بَعدَ ذلك: "لنَعُدْ إلى اليَهوديَّة".
٨ فقالَ له تَلاميذُه: "رابِّي، قَبلَ قليلٍ حاوَلَ اليَهودُ أَن يَرجُموكَ، أَفتعودُ إلى هُناك؟".
٩ أَجابَ يسوع: "أَليسَ النَّهارُ اثنَتَي عَشْرَةَ ساعَة؟ فمَن سارَ في النَّهار لا يَعثُر، لأَنَّه يَرى نورَ هذا العالَم.

١٠ ومَن سارَ في اللَّيلِ يَعثُر: لأنَّ النُّورَ لَيسَ فيه".
١١ وقالَ لَهم بَعدَ ذلك: "إنَّ صَديقَنا لَعازَرَ راقد، ولَكنّي ذاهِبٌ لأُوقِظَه".
١٢ فقالَ له تَلاميذُه: "يا ربّ، إذا كانَ راقداً فَسَيَنْجو".
١٣ وكانَ يسوعُ يَتكلَّمُ على مَوته، فظَنّوا أَنَّهُ يَتَكلَّمُ على رُقادِ النَّوم.
١٤ فقالَ لَهُم يسوعُ عندَئذ صَراحَةً: "قد ماتَ لَعازر،
١٥ ويَسُرُّني، من أَجْلِكُم كَي تُؤمنوا، أَنّي لم أَكُنْ هُناك. فَلْنَمْضِ إِلَيه!"
١٦ فقالَ توما الَّذي يُقالُ لَه التَّوأَمُ لِسائرِ التَّلاميذ: فَلْنَمْضِ نَحنُ أَيضاً لِنَموتَ معَه!".

يشكل الحوار بين يسوع وتلاميذه وحدة كاملة. وهناك "تطويق" ينسج وحدة الرواية:

قال للتلاميذ (آ ٧)
لنعد الى اليهودية
لقد حاول اليهود ان **يرجموك** (آ ٨)
لنمضِ اليه (آ ١٥)
فقال توما **للتلاميذ** (آ ١٦)
لنمضِ **لنموت** معه

في هذا المقطع، يتصرف التلاميذ بصفتهم تلاميذ، وعلى مستويين. انهم، أولاً، يتلقون تعليم المعلّم، ولكنهم، ازاء موت لعازر وكلام يسوع، برهنوا على عدم فهم، حتى ان يسوع اخذ يعلّمهم. اما يسوع، فيكشف عن معرفة خاصة، ومرشداً التلاميذ اليها: موت لعازر، بالنسبة له، هو بمثابة رقاد؛ وهذا يعني: بوسعه ان "يستيقظ"، إن سمع صوت يسوع. ومن ثم، ها هم يمشون وراء يسوع ويؤيدون برنامجه بعد ان عارضوه: "لنمضِ نحن ايضاً ونموت معه". انهم بذلك يجسّدون، بالفعل، ما معنى ان يكون المرء تلميذاً: الاصغاء الى المعلم والسير في اثره نحو الموت (ويتكلم الازائيون بالمقابل عن "حمل الصليب").

وتكمن مهارة الراوي في انه مزج صفة في متناول كل قارئ (على كل واحد ان يكون **تلميذاً**) مع اشارة إلى الحدث الفريد، عبر ذكر اسم **توما**، مضفياً على الرواية تجذّراً تاريخياً. وهكذا اصبحت الرواية تاريخية ورمزية، في آن واحد.

يسوع ومرتا (آ ١٧-٢٧)

١٧ فلَمَّا وَصَلَ يسوع وَجَدَ أَنَّهُ في القَبرِ مَنذُ أَربَعة أَيَّام.
١٨ وبَيتَ عَنيا قَريبَةٌ من أُورَشَليم، على نَحوِ خَمسَ عَشْرَةَ غَلوة،
١٩ فكانَ كثيرٌ منَ اليَهود قد جاؤوا إلى مَرْتا ومَريَم يُعَزُّونَهما عن أَخيهما.
٢٠ فلَمَّا سَمعَت مَرتا بقُدومِ يسوع خَرَجَت لاستقباله، في حين أَنَّ مَريَمَ ظَلَّت جالِسَةً في البَيت.
٢١ فقالَت مَرْتا ليَسوع: "يا ربّ، لَو كُنتَ ههُنا لَما ماتَ أَخي.
٢٢ ولكنّي ما زِلتُ أَعلَمُ أَنَّ كُلَّ ما تَسأَلُ الله، فاللهُ يُعطيكَ إِيَّاه".
٢٣ فقالَ لَها يسوع: "سَيَقومُ أَخوك".
٢٤ قالَت لَه مَرْتا: "أَعلَمُ أَنَّه سيَقومُ في القيامَة في اليَومِ الأَخير".
٢٥ فقالَ لَها يسوع: "أَنا القيامةُ والحَياة مَنِ آمَنَ بي، وَإِن ماتَ، فسَيَحْيا
٢٦ وكُلُّ مَن يَحْيا ويُؤمِنُ بي لن يَموتَ أَبداً. أَتُؤمنينَ بهذا؟".
٢٧ قالَت له: "نَعَم، يا ربّ، إِنّي أَومِنُ بِأَنَّكَ المسيحُ ابنُ اللهِ الآتي إِلى العالَم".

تنتقل الرواية مباشرة، من عبر الاردن حيث جرى الحديث مع التلاميذ، الى بيت عنيا القريبة من اورشليم. وتلك حرية يتخذها الكاتب احياناً حين يقدم خلاصات، ويتوقف على الحدث مدفوعاً باهدافه، احياناً اخرى. فمنذ الآية ٢٠، يقطع المؤلف روايته عند مدخل قرية بيت عنيا، لكي يطرح مشهدين متوازيين تقوم فيهما كل من الاختين بدور مختلف.

هيذي مرتا تترك مجلس العزاء المؤلّف من مريم واليهود، كي تذهب الى لقاء يسوع. وهذا التحرّك جعل مرتا في موقع متميز من الايمان تجاه يسوع. فما دام يسوع حاضراً، لا يمكن ان تكون الغلبة للموت. وتتجسد قناعة مرتا عبر ثلاث عبارات قالتها.

انها تؤكد، أولاً، يقينها بان ليسوع **سلطة على الموت**. وحضور يسوع هو الفرصة لها للاعتراف بايمانها بيسوع: "**اعلم** ان كل ما تسأل الله، فالله يعطيك اياه". انه اعتراف شبيه بطلب (كما في يوحنا ٢:٣). فهي، الى حد الآن، ترى في يسوع رجل الله، على غرار ايليا واليشاع اللذين منحهما الله قدرة على إحياء الموتى (١ ملوك ١٧:١٧-٢٤؛ ٢ ملوك ٤:١٨-٣٧). ولكن من الواضح، بالنسبة الى يهودي مؤمن، ان الله وحده يقدر ان يحيي، كما يُؤيد ذلك قول مأثور لأحد المعلمين اليهود: "هناك ثلاثة مفاتيح في يديك يا الله: القدرة على انزال المطر، وعلى اخصاب رحم المرأة، وعلى إقامة الموتى".

وحين يتوارى يسوع ذاته ليذكّرها بالايمان اليهودي بقيامة الاموات (يوحنا ١١:٢٣)، هيذي تلحق به في تأييدها لقانون ايمان اسرائيل، بقولها: "**اعلم** انه سيقوم في القيامة، في اليوم الاخير".

ولكن، حين يعلن يسوع انه هو القيامة والحياة، كان عليها ان تتجاوز **المعرفة** لتبلغ الى **الايمان**: "انا **أؤمن** انك المسيح ابن الله" (١١:٢٧). فهي، هنا، صورة المؤمنة التي ترى، في يسوع، تدفّق إله الاحياء في ما بين البشر. وهكذا يصبح يسوع، هنا، اعظم من النبيين ايليا واليشاع: فقد اعتُرف له بصفته ذاك الذي يحيي، على صورة الله ذاته. لقد فهمت مرتا، من خلال الايمان، ان الله هو الذي، بيسوع، يأتي في ما بين الاحياء. لذا كان من المنطقي جداً ان تعترف بيسوع، في هويته الحقيقية: مسيح الله (اكتمال الدين اليهودي) وابن الله. وهكذا جمعت بين الايمان اليهودي (مسيح) والجدّة المسيحية (ابن الله).

وبلغ المقطع درجة من الذروة بدا معها خروج لعازر القريب من القبر نسبياً، الى حدّ ما، بحيث تحولت مغامرته الفريدة إلى مستوى ثان: وأصبح "كل من يحيا ويؤمن بيسوع" (١١:٢٥) معنياً.

يلتقي ومريم (١١:٢٨-٣٧)

٢٨ **قالت ذلك ثُمَّ ذَهَبَت إلى أُختِها مَريَمَ تَدعوها، فأَسَرَّت إلَيها: "المُعَلِّمُ هُنا، وهو يَدعوك".**

٢٩ **وما إن سَمِعَت مَريَمُ ذلك حتَّى قامَت على عَجَلٍ وذَهَبَت إلَيه.**

٣٠ **ولَم يَكُنْ يَسوعُ قد وَصَلَ إلى القَريَة، بل كانَ حَيثُ استَقبَلَتهُ مَرْتا.**

٣١ **فلَمَّا رأى اليَهودُ الَّذينَ كانوا في البَيت مَعَ مَريمَ يُعزُّونَها أَنَّها قامَت على عَجَلٍ وخرَجَت، لَحقوا بها وهم يَظُنُّونَ أَنَّها ذاهبَةٌ إلى القَبر لتَبكيَ هُناك.**

٣٢ **فما إن وَصَلَت مَريَمُ إلى حَيثُ كانَ يسوعَ ورَأَته، حتَّى ارتَمَت على قَدَمَيه وقالَت لَه: "يا رَبّ، لو كُنتَ ههُنا لَما مات أَخي".**

٣٣ **فلَمَّا رآها يسوعُ تَبكي ويَبكي معَها اليَهودُ الَّذينَ رافَقوها، جاشَ صَدرُه وَاضطَرَبَت نَفْسُه**

٣٤ **وقال: "أَينَ وَضَعتُموه؟" قالوا لَه: "يا رَبّ، تَعالَ فانظُر".**

٣٥ **فدَمعَت عَيْنا يسوع.**

٣٦ **فقالَ اليَهود: "أُنظُروا أَيَّ مَحَبَّة كانَ يُحبُّه".**

٣٧ **على أَنَّ بَعضَهم قالوا: "أَما كانَ بِإمكانِ هذا الَّذي فَتَحَ عَينَي الأَعمى أَن يَرُدَّ المَوتَ عَنه؟".**

لقد شاء الراوي ان يؤكد على الموازاة بين الاختين: كلتاهما التقتا يسوع في المكان ذاته، ووجهتا اليه كلمات تكاد تكون هي ذاتها. إلا ان كلمة مريم الاولى لا تكرّر سوى القسم السلبي من كلام اختها –"لو كنت ههنا"–: ونجدنا بازاء نقص في اعلان الايمان. فهي ما زالت في جانب الحزن، في تصرفها وفي كلماتها: انها مرتبطة مع اليهود في مجلس العزاء (آ ٣١، ٣٣). لا بل تبدو وكأنها تلعب دور "الباكية".

هل بوسعنا ان نقول بان هناك مبالغة في الايمان لدى مرتا، إلى جانب مبالغة في الحزن لدى مريم؟ وتبقى النصوص مفتوحة. وتستعيد مرتا المؤمنة، في ١١:٣٩، نبرات من عدم الايمان. إلا ان يوحنا سعى، بهدف تربوي، الى ابراز موقفين تجاه الموت؛ فمريم التي كانت، منذ بداية الرواية، من جانب الحزن والموت (آ ٢)، ترمز الى الانسان المقهور بحكم الانفصال والموت: ذلك ان المبالغة في الحزن قد تحول دون ان يرى المرء، في يسوع، ذاك الكاشف عن الله.

يسوع بازاء لعازر (آ ٣٨-٤٥)

٣٨ **فجاشَ صَدرُ يسوعَ ثانيةً وذَهَبَ إلى القبر، وكانَ مغارةً وُضِعَ على مَدخلها حَجَر.**
٣٩ **فقالَ يسوع: "إرفَعوا الحَجَرا! "قالَت لَه مَرْتا، أُختُ المَيْت:" يا ربّ، لقَدَ أَنتَن، فهذا يَومُه الرَّابع".**
٤٠ **قالَ لَها يسوع: "أَلَم أَقُلْ لَك إنَّك إن آمَنت تَرينَ مَجدَ الله؟".**
٤١ **فرَفَعوا الحَجَر ورفَعَ يسوعُ عَينَيه وَقال: "شُكراً لَكَ، يا أَبَت على أَنَّكَ استَجَبتَ لي**
٤٢ **وقَد عَلمتُ أَنَّكَ تَستَجيبُ لي دائماً أَبَداً ولكِنّي قُلتُ هذا مِن أَجْلِ الجَمْعِ المُحيطِ بي لِكَي يُؤمنوا أَنَّكَ أَنتَ أَرسَلتَني".**
٤٣ **قالَ هذا ثُمَّ صاحَ بأَعلى صَوته: "يا لَعازَر، هَلُمَّ فاخرُجْ".**
٤٤ **فخرَجَ المَيتُ مَشدودَ اليَدَينِ والرِّجلَينِ بالعَصائب، مَلفوفَ الوَجهِ في مِنْديل. فقالَ لَهم يسوع: "حُلُّوهُ ودَعوهُ يَذهَب".**
٤٥ **فآمَنَ بِه كثيرٌ مِنَ اليَهودِ الذينَ جاؤوا إلى مَريَم ورَأَوا ما صَنَع.**

يقع اللقاء مع لعازر، بالتحديد، بعد مقطع البكاء الاليم والثورة والاضطراب. وهوذا يسوع يستعيد سيادته التي تتجلى عبر ثلاث لوحات:

أ) **عبر صلاته** الى الآب، حيث يتجلى اتحاده به ويقينه من انه سيُسمَع: "علمت انك تستجيب لي دائماً أبداً"

ب) **عبر سلطته** على الشهود. انه يعطي اوامره على دفعتين: "ارفعوا الحجر". وها مرتا المترددة تُوَجَّه الى مجد الله الذي كان يسوع قد أنبأ به التلاميذ (١١:٤). ونراه يقول من ثم: "حُلّوه ودعوه يذهب". وهكذا، فالرب لم ينتزع لعازر من قيود الموت حسب، لكنه ايضاً لا يقيّد الانسان المحرَّر بقيود التبعية. انه يُطلق لعازر باتجاه الحياة.

ج) **عبر تدخّله** المقتضب والفعال: "وصاح باعلى صوته: لعازر، هلم فاخرج!". هل كانت وظيفة الصرخة اضفاء طابع علني على الآية؟ هل هي اشارة إلى قدرة يسوع الكاملة، الذي بوسع صوته ان يبلغ موطن الاموات؟ التفسيران ممكنان، ويفسحان المجال لصرخة ابن الانسان الكبرى الذي سينتزع الاموات من قبورهم في آخر الازمنة.

لعازر

خلافاً لسائر الاشخاص، يبدو لعازر شخصاً ذا حضور دائم: فهو يظهر على مدى الآية؛ انه المحرّك لكل القصة؛ وهو موضوع كل الخطابات، حتى انه منح سائر الاشخاص امكانية اضفاء معنى على الموت. انه يظهر ولا شك في سلبية معينة، صامتاً، ولكن بصمت خصب يمكّن كل شخص في الرواية، والقارئ بالتالي، من التكلم. انه مصدر إلهام.

في البداية، لم يُبدِ أي طلب (ابان مرضه): اختاه هما اللتان ترسلان من يقول ليسوع: الذي تحبه، مريض. وحين خرج من القبر، بقي ذلك الصامت، لا بل انسحب اثر قول يسوع اللغزي: "حلّوه ودَعُوه يذهب". وهكذا نجد ان الراوي لا يهمه ان يملأ "الفراغ" في مسيرة لعازر: ماذا عن الايام الاربعة في القبر؟ ماذا حدث له بعد خروجه من القبر؟ ذلك لأن الرواية بلغت ذروتها في اعلان مرتا. ولعازر "استيقظ"، لانه سمع كلام يسوع. وتلك هي اللحظة الوحيدة، في الرواية، التي فيها توجَّهَ إليه الحديث: "لعازر، هلم فاخرج!".

اما عن مسيرته الشخصية، فلا شيء يُحكى سوى انه كان احد المدعوّين الى مائدة الرب في ١٢:٢. وكتب اوريجانس: "لقد قام برحلة طويلة، طالما انه انتقل من القبر الى مائدة الرب". ويغيب لعازر من الرواية في الوقت الذي يطلعنا الانجيلي ان رؤساء

الكهنة قرروا قتله (١١:١٢): يا لها من كلمة ذات مفعول! ولن نعرف عن لعازر شيئاً، ما عدا تلك التوسّعات الاسطورية. فلقد قال الانجيلي ما فيه الكفاية: انه، منذ الآن، يترك المجال ليسوع، بعد ان كانت مهمته في الإعداد للموت والتمجيد.

يسوع اصبح مكشوفاً

لقد تمحورت الرواية كلها حول يسوع. فهو، في كل مقطع، الشخص الذي يحتل المركز منها، ليكشف، في كل مرة، عن جانب من هويته، كما توضحه جولة سريعة في محطات الرواية المختلفة.

يسوع في عبر الاردن (١٠:٣٩-١١:١٦)

بوسع عبر الاردن ان يكون رمزاً للمكان الحقيقي الذي يوجد فيه يسوع: ففيه توجد "السكنى" والحياة والايمان. ومن هذا المكان، يكشف يسوع عن سلطته بصفته ربًّا: **عبر كلامه** الذي يفسّر الاحداث مسبقاً (آ ٤، ١٢-١٣)، ويسيطر على الزمن (حين يكون حاضراً، يصبح الليل والموت دون فاعلية، آ ٩-١٠)، **وعبر اختياره** الذهاب في الساعة التي هي ساعته (يبقى يومين): لا مبكراً جداً (كما يظن تلاميذه، آ ٨)، ولا متأخراً جداً (كما تقول الاختان، آ ٢١، ٣٢).

يسوع ازاء مرتا (١١:١٧-٢٧)

في هذا المقطع، لا يبدو يسوع بصفته سيد الحياة: انه يضطرب ويذرف الدموع، ويرتجّ، هو الذي اعلن ذاته سيد الموت. ويمكن ان يعني ارتعاش يسوع شكلاً من الاحتجاج والغضب (راجع متى ٩:٣٠؛ مرقس ١:٤٣؛ ١٤:٥؛ وفي السبعينية، دانيال ١١:٣٠). وقد أُستخدم الاضطراب للاشارة الى "اضطراب" التلاميذ ابان الآلام (يوجنا ١٤:١). ولا سيما اضطراب يسوع وهو يواجه موته (١٢:٢٧) وخيانة يهوذا (١٣:٢١).

فيسوع، حين اقترب من موت لعازر (وهو إنباء بموته)، ورأى امارات الحزن، وجد نفسه، هو ايضاً، متضامناً مع الظاهرات التي ترافق الانسان ازاء امتحان الموت. ويعني هذا الاضطراب انه اختبر، امام الموت، مشاعر كل البشر: ففي اللغة الكريستولوجية نقول انه انسان حقاً. ويتسم هذا المقطع الاليم بالظلمة، ولكن يسبقه ويليه مشهدان من النور: الكلام الكاشف لمرتا، والفعل الذي يحرر لعازر.

يسوع ازاء لعازر (١١: ٣٨-٤٤)

تكشف الآية بان يسوع الذي جاء من العبر (عالم الحياة) الى مقربة من الرجل المدفون في القبر -وقد تعرّض هو ذاته للموت- قادر ان ينتزع الانسان من حدوده الكبرى: الموت. واذا خرج لعازر، فلأن كلمة يسوع تحيي. وهكذا فان ما قيل في يوحنا ٥: ٢٥، بعبارات ذات ايحاء، من اجل كل الذين يسمعون صوت ابن الله، اتخذ هنا بداية تحقيق.

وتختم الآيتان ٤٥-٤٦ المقطع، وتنفتحان، في الوقت ذاته، على إدانة يسوع. هناك ترجمات تعمم كلمة "كثير" (وكأنهم كل الذين جاءوا): "فآمن به كثير من اليهود... ولكن اناساً منهم مضوا الى الفريسيين". وتشدد هذه الخلاصة على المفعول الذي احدثته الآية. غير ان هذه الآية، بعد ان اصبحت رواية مكتوبة، اخذت تواصل سيرها وتستدعي رد فعل القراء من كل الازمان. ونجدنا اليوم، مع هذه الرواية، بازاء الكاشف، سيد الموت والحياة. وكما قالها القديس غريغوريوس النزيزي في نشيد، بوسعنا ان نقول معه:

"على كلمتك
ثلاثة من الموتى ابصروا النور:
ابنة الامير
وابن الارملة
ولعازر الخارج من القبر نصف متفسّخ
اجعلني اكون انا رابعهم"!

ثانيا: البشر يحكمون على يسوع بالموت (١١: ٤٦-٥٧)

المؤامرة ضد يسوع

٤٦ على أنَّ أُناساً منهم مَضَوا إلى الفرِّيسيِّينَ فَأَخبَروهم بما صَنَعَ يسوع.
٤٧ فعقَدَ عُظَمَاءُ الكَهَنَةِ والفرِّيسيُّونَ مَجلِساً وقالوا: "ماذا نَعمَل؟ فإنَّ هذا الرَّجُلَ يَأتي بِآياتٍ كثيرة.
٤٨ فإذا تَرَكْناهُ وشَأنَه آمَنوا به جَميعاً، فيأتي الرُّومانيُّونَ فيُدَمِّرونَ حَرَمَنا وأُمَّتَنا".
٤٩ فقالَ أَحَدُهم قَيافا، وكانَ في تِلكَ السَّنَةِ عَظيمَ الكَهَنَة: "أَنتُم لا تُدرِكونَ شَيئاً،

٥٠ ولا تَفطُنونَ أَنَّه خَيرٌ لكُم أَن يَموتَ رَجُلٌ واحدٌ عَنِ الشَّعْب ولا تَهلكَ الأُمَّةُ بأَسرِها".
٥١ ولَم يَقُلْ هذا الكَلامَ من عِندِه، بَل قالَه لأَنَّه عظيمُ الكَهَنَةِ في تِلكَ السَّنَة، فَتَنَبَّأَ أَنَّ يسوعَ سيَموتُ عَنِ الأُمَّة،
٥٢ ولا عنِ الأُمَّةِ فَقَط، بل لِيَجمَعَ أيضاً شَمْلَ أَبناءِ اللهِ المُشَتَّتين.
٥٣ فعَزَموا مُنذُ ذلك اليَوم على قَتْله
٥٤ فكَفَّ يسوعُ عنِ الجَوَلانِ بَينَ اليَهود عَلانيَّةً، فذهَبَ من هُناكَ إِلى النَّاحيَةِ المُتاخمَةِ للبَرِّيَّة إِلى مَدينة يُقالُ لَها أَفرامُ، فأَقامَ فيها مَعَ تَلاميذه.
٥٥ وكانَ قَدِ اقتَربَ فِصحُ اليَهود، فصَعِدَ خَلْقٌ كَثيرٌ من تِلكَ النَّاحيَةِ إِلى أُورَشَليمَ قَبلَ الفِصْحِ لِيَطَّهروا.
٥٦ وكانوا يَبحَثونَ عن يسوع، فيَقولُ بَعضُهم لِبَعضٍ وهُم قائمونَ في الهَيكلَ: "ما رَأْيكم؟ أَتُراه لا يَأْتي إِلى العيد؟"
٥٧ وكانَ عُظَماءُ الكَهَنَةِ والفِرِّيسيُّونَ قد أَمروا بِأَن يُخبِرَ عنه كُلُّ مَن يَعلَمُ أَينَ هو، لِكَي يُمسِكوه.

رد الفعل تجاه الاعجوبة (آ ٤٥-٤٦)

تُحدث آيات يسوع، كالمعتاد، نتائج معاكسة: الذين "جاءوا ليروا مريم"، آمنوا. وأبدى المؤرخون دهشتهم من أن مرتا لم تُذكر، فافترضوا ان هناك صيغة سابقة للنص كانت فيها مريم وحدها. ومثل هذا البرهان ينبغي أن يؤخذ بفطنة: ذلك لأن للكتّاب منطقاً خاصًّا بهم، ليس دوماً "عقلانياً". فهناك اسباب عدة يمكن ان تفسّر لماذا ذكرت مريم وحدها: قد تكون الشركة الوثيقة، في الرواية، بين مريم واليهود، ذات صلة مع الحزن؛ او تكون مريم قد تمتعت بشهرة اكبر، لا غير. الا ان هناك شهوداً آخرين سوف يذهبون للوشاية بيسوع لدى الفريسيين، خصوم يسوع، مصرّين على ان يمنحوا ثقتهم للفريسيين اكثر مما ليسوع.

الاجتماع السنهدريم (آ ٤٧-٥٣)

ينسب الانجيلي الدعوة لعقد السنهدريم الى عظماء الكهنة والفريسيين. انه يُخطئ بذكر الفريسيين، إذ ان الفرقاء الثلاثة للسنهدريم هم الكهنة والشيوخ والكتبة (وإن صحّ ان كثيراً من الكتبة كانوا ينتمون الى فريق الفريسيين). وقد يكون يوحنا -وهو يكتب

بعد الحرب اليهودية- قد أسقط ببساطة على زمن يسوع ما كانت عليه الحالة في زمانه: تلك المواقف المتّسمة بالقمع والعداء.

واجتماع السنهدريم هذا -وقد وضعه يوحنا بضعة اسابيع قبل الفصح- لم يأت ذكره في الاناجيل الازائية. ولكن، حتى وإن لم نكن بازاء جلسة علنية، فان انعقاده أمرٌ محتمل. كان متى ايضاً قد اشار الى مؤامرة ضد يسوع: "واجتمع حينئذ عظماء الكهنة وشيوخ الشعب في دار عظيم الكهنة، وكان يدعى قيافا، فأجمعوا على ان يمسكوا يسوع بحيلة ويقتلوه" (متى ٢٦:٣-٥). إلا ان النظرية التي بموجبها، هناك عدة جلسات للسنهدريم، تجعل جلسة السنهدريم الاخيرة تصبح اقل احتمالاً، سيما وانها اتسمت بكثير من المواقف غير المشروعة على المستوى القانوني! اما الاتهام الموجه ضد يسوع، فهو يذكّر بالاتهامات التي ستُوجَّه الى يسوع في غضون الدعوى: "يريد ان يهدم هيكل الله" (متى ٢٦:٦١). ولكن الاتهام هنا يبدو اكثر معقولية واكثر "واقعية".

قيافا، عظيم الكهنة

يكرر يوحنا، في انجيله، ثلاث مرات، ان قيافا "كان عظيم الكهنة **في تلك السنة**" (هنا في ١١:٥١، وايضاً في ١٨:١٣). وشاء بعض المفسرين -وهم على قناعة بالتأثيرات الهيللينية على يوحنا- ان يروا في الملاحظة انعكاساً لممارسات العبادة الوثنية في آسيا الصغرى، إذ كان رؤساء الكهنة ينغيرون فعلاً في كل سنة. وبالحقيقة، يبدو من غير المعقول ان يكون الانجيلي قد وقع في مثل هذا الخطأ؛ لا سيما وانه، في امور كثيرة، يبرهن على معرفة جيدة بمؤسسات العهد القديم. انه يعلم، إذن، ان عظماء كهنة اليهود يمارسون وظيفتهم على مدى الحياة (ما عدا في الفترات المضطربة، كالفترة التي كان فيها قيافا عظيم كهنة من عام ١٨ وحتى عام ٣٦، حين حجب بيلاطس تأييده عنه). وقد يكون هذا الإلحاح، بالاحرى، للتأكيد على اهمية تلك السنة الشهيرة التي فيها صلب يسوع. ومثل هذا التقييم لسنة موت يسوع، انما يعكس نظرة المؤمن الى سنة الخلاص. ويستحق هذا التقييم ان يوضع في موازاة وتضاد معاً مع عبارة تاقيطس الشهيرة الذي، فيما اختصر التاريخ اليهودي تحت ظل القياصرة المختلفين، لم يجد ما يقوله عن طيباريوس (القيصر في زمن يسوع) سوى: "في عهده، كانت البلاد في سلام".

نبوءة قيافا

في مستوى اول، تحدث قيافا، بسخرية، عن موت يسوع، وكأنه أراد ان يجنّب الشعب مأساة. إلا ان يوحنا والكنيسة -وفي مستوى لا يطاله سوى المؤمنين وحدهم، قرأوا عبارته وكأنها نبؤة غير واعية، استشفت مسبقاً قدرة الخلاص التي انطوى عليها موت يسوع. وان السخرية التي يتصف بها يوحنا، قادته الى جعل القول اللاهوتي -وقد نسبه مرقس الى يسوع في ١٠:٤٥ "ابن الانسان جاء ليفدي بنفسه جماعة الناس"- على لسان خصم يسوع الرئيسي! فعلى غرار النبي بلعام الذي، بالرغم منه، تنبأ لصالح اسرائيل يكون عظيم الكهنة قد أضفى، سرّياً، على موت المسيح، قيمة خلاصية.

ولم يكتفِ الراوي بتوضيح كلام قيافا حسب، بل جعل له امتداداً ايضاً، حين رأى في موت يسوع مصدراً لتجمّع اولاد الله في الكنيسة. وهكذا، وبصورة غير مباشرة، فيما لمّح الى موضوع تجمّع الشعب في العهد القديم (اشعيا ١١:١٢؛ ارميا ٢٣:٣)، جعل الكنيسة تصبح بمثابة اسرائيل الجديد.

انتقال (آ ٥٤-٥٧)

وشُدّد على التوتر المأساوي عبر انسحاب يسوع "في ناحية متاخمة للبرية". ووُصف هذا الانسحاب الجديد بكلمات قريبة من يوحنا ١٠:٤٠-٤٢: "انسحب"، "اقام"، "مع التلاميذ". كما يسوع قد خرج من عزلته، مرة اولى، وكأنه خرج ليتهيّأ لمسيرته الخاصة عبر الموت والتمجيد. اما خروجه في المرة الثانية، فسيكون تحقيقاً للساعة.

ويبقى يسوع، اكثر من أي وقت مضى، ذاك الذي يُحدث الانقسام: فالناس الذين صعدوا للاحتفال بعيد الفصح "كانوا يبحثون عن يسوع"، بينما كان عظماء الكهنة والفريسيون يبحثون كيف يمسكوه. وسيعود يوحنا، في الفصل ١٢، الى اهتمام الجمع المتصاعد تجاه يسوع، وفي الوقت ذاته، الى عداء الرؤساء المتنامي ضده.

ثالثاً: مشاهد إعدادية (١٢:١-٣٦)

أ. دهن يسوع بالطيب (١٢:١-١١)

يعطي الراوي توضيحات عن لعازر (آ ١-٢) ليست ذات اهمية لقارئ الانجيل الذي اطلع مسبقاً على الاحداث في الفصل السابق. وان مثل هذا الاهتمام لتقديم

المزيد من المعلومات، يعكس ولا شك الاستخدام الليتورجي لوحدات انجيلية صغيرة مستقلة.

لدينا، في الاناجيل الازائية، مشهدان من الدهن بالطيب، على درجة من الاختلاف: فلدى متى ومرقس (مرقس ١٤:٣-٩؛ متى ٢٦:٦-١٣)، هناك امرأة مجهولة تسكب على راس يسوع، في بيت عنيا، عطراً غالي الثمن، في بيت شخص يدعى سمعان الابرص، وذلك قبل موت يسوع. ويروي لوقا دهناً آخر بالطيب على قدمي يسوع، قامت به امرأة خاطئة في الجليل، في بيت فرّيسي اسمه سمعان (لوقا ٧:٣٦-٥٠). وبالمقابل، لا يذكر لوقا شيئاً عن المسحة التي نقلها الانجيليون الثلاثة الآخرون، قبيل موت يسوع. وبالرغم من هذه الاختلافات الهامة، نجد ان مرقس ومتى يلمّحان ولا شك الى المشهد ذاته الذي يورده يوحنا. لذا يجب الافتراض بان لوقا والثلاثة الآخرين ينقلون حدثين مختلفين يكونان قد دُمجا في التقليد الشفهي. وهكذا تُفسَّر، الى حد ما، المقاربات بين لوقا ويوحنا (الدهن على القدمين).

إلا انه يجب ان نتجنب الرغبة في البحث عن توافق بين كل التفاصيل، على مثال ذاك الكاتب الانكليزي الذي شاء ان يرى في سمعان أباً للعازر، وفي يهوذا أخاً له... وما ذلك إلا لأن يهوذا دُعي في يوحنا ٦:٧١ ابن سمعان! وإذا ادرج يوحنا مقطع الدهن، في انجيله، فمن المحتمل انه استخدم، بحرية، تفصيلات من المسحة كما وردت لدى لوقا، ومن الصعب أن نميز بين الحدث وقراءته المجددة.

١٢ ١ **وقبلَ الفصحِ بِستَّةِ أَيّامٍ جاءَ يسوعُ إِلى بَيتَ عَنْيا، حَيثُ كانَ لَعازرُ الَّذي أَقامَه مِن بَينِ**
الأَمواتَ.
٢ **فأُقيمَ له عَشاءٌ هُناك، وكانَت مَرْتا تَخدُم، وكانَ لَعازَرُ في جُملَةِ الَّذينَ معَه على الطَّعام.**
٣ **فتَناولَت مَريَمُ حُقَّةَ طيب مِنَ النَّارَدينِ الخالِصِ الغالي الثَّمَنِ، ودهَنَت قَدَمَي يسوع ثُمَّ**
مَسَحَتْهما بشَعرِها. فعَبَقَ البَيتُ بالطِّيب.
٤ **فقالَ يهوذا الإِسخَريوطيُّ أَحَدُ تَلاميذه، وهوَ الَّذي أَوشَكَ أَن يُسلِمَه:**
٥ **"لماذا لم يُبَعْ هَذا الطِّيبُ بثَلاثمائَة دينار، فتُعْطى للفُقَراء؟"**
٦ **ولَم يَقُلْ هذا لاهتمامه بِالفُقَراء، بل لأَنَّه كانَ سارِقاً وكانَ صُندوقُ الدَّراهِمِ عِندَه،**
فَيختَلسُ ما يُلْقى فيه.
٧ **فقالَ يسوع: "دَعْها، فإِنَّها حَفظَت هذا الطِّيبَ لِيَومِ دَفْني.**
٨ **إِنَّ الفُقَراء هم عِندكم دائِماً أَبَداً، وأَمَّا أَنا فَلَستُ عِندكم دائِماً أَبَداً".**

٩ وعَلِمَ جَمْعٌ كثيرٌ منَ اليَهود أَن يسوعَ هُناك فجاؤوا، لا مِن أَجلِ يسوعَ فقط، بل لِيَرَوا
أَيضاً لَعازَرَ الَّذي أَقامَهُ منَ بَينِ الأَموات.
١٠ فعَزَمَ عُظَماءُ الكَهَنَة على أَن يَقتُلوا لَعازَرَ أيضاً،
١١ لأَنَّ كَثيراً مِنَ اليَهودِ كانوا يَنصَرِفونَ عنهُم بِسَبَبِه ويُؤمِنونَ بِيسوع.

مقدمة (آ١-٢)

تُضفي المقدمة تواصلاً مع ما سبق: الاشخاص ذاتهم، والمكان ذاته (بيت عنيا)، والوقت الذي يقترب (١١:٥٥ يتحدث عن قرب عيد الفصح، ويوضح يوحنا ١٢:١ "قبل الفصح بستة ايام"). ويبقى يسوع في القلب من الرواية: على شرفه اقيم العشاء (ووُضعت مرتا في دورها التقليدي بحسب لوقا ١٠:٣٨-٤٢). كما ان لعازر مشخَّص بصفته "ذاك الذي اقامه يسوع من بين الاموات". ويطيب ليوحنا ان يذكّر بهذه الملامح كي يتمكّن القارئ من تحديد الاشخاص بشكل افضل.

حركة الدهن (آ٣-٤)

ان "حُقّة" من الطيب تقابل ثلث كيلو تقريباً. إنه عطاء يفوق الثمن، ويدل على احترام كبير وتقدير عالٍ ليسوع. ويمكننا ان نرى لمسة كريستولوجية في انتشار العطر في البيت كله. ذلك ان اعتراف مريم بعظمة يسوع قد أُبلغ للجميع، وبضمنهم الجماعة المسيحية وكل القراء الذين، عبر الرواية، يتذوقون عن بُعد عطر الرب. اما دَهن القدمين (وليس الرأس كما في مرقس)، فانما يُعدّ الطريق للتفسير الجنائزي، إذ ان دهن القدمين، وفق التقليد اليهودي، لم يكن يُصنع للاَحياء، بل للأموات.

تفسيرات (آ٤-٨)

ان تعليق يسوع بشأن معنى حركة المرأة يبرّز سرّ كيانه. فازاء الموت الذي يقترب (لقد تم القرار في ١١:٥٣)، يتلقى يسوع هذه الحركة بوصفها دليل حب. ولكنه حين جعل مسافة بين الفقراء (الذين سيوجدون دوماً) وبين شخصه، فهو لا يؤكد فقط تفوّق كل انسان على اية قيمة تجارية، وانما يفسح المجال كي يتجلى شيء من كرامته الخارقة والتي تسمح بهذا الانفاق الذي تجاوز الحد: "اما انا، فلست عندكم دائماً ابداً" (آ ٨).

بين المرأة ويهوذا، هناك نظرتان الى يسوع في منتهى التضاد. النظرة الاولى تجعل يسوع فوق كل شيء، وتعبّر له، قبل موته، عن حب لا حدود له. اما النظرة الثانية، فتجعل القيمة التجارية فوق شخص يسوع. وفي انجيل متى، نرى ان التلاميذ هم الذين يستاؤون؛ وفي انجيل مرقس، ليسوا سوى بعض الناس. اما بالنسبة الى يوحنا، فيهوذا وحده يحتج، "هو الذي اوشك ان يسلمه". ذلك ان الانجيلي يوحنا يشدد، عبر تعليق غائب لدى الازائيين، على تعلّق يهوذا بالمال. ومن الجدير بالذكر ان متى ومرقس وضعا خيانة يهوذا بعد هذا المشهد مباشرة (متى ٢٦:١٤؛ مرقس ١٤:١٠-١١)، مع ذكر مبلغ الخيانة. وهكذا ترمز مريم هنا الى التلميذ الحقيقي الذي يعترف بان يسوع يساوي اكثر من كل ذهب العالم، في الوقت الذي يبكي يهوذا، لا على يسوع الذي سيموت، بل على المبلغ الذي أُنفق.

لا ينبغي ان تُفسَّر هذه الرواية وكأنها تأكيد على تفوّق العبادة على محبة الفقراء، كما يقال احياناً: "الله يستحق كل شيء"! فحركة مريم خاصة ولا تتخذ معناها إلا لأنها تتعلق بيسوع في كرامته الفريدة. والايات ٩-١١ تعتبر انتقالية، وتسجّل الخلاف بين الرؤساء الذين يريدون قتل لعازر ايضاً، وبين هؤلاء اليهود الذين يؤمنون بيسوع. قد يكون يوحنا، حين روى الانقسام الذي أثاره يسوع، فكّر ايضاً في وضع كنيسته، حيث كثير من اليهود "تركوا" المجمع واتجهوا نحو الكنيسة، لانهم آمنوا بيسوع.

لعازر، وقد ألقى بيسوع (١٢:٩-١١)

وتنتهي مسيرة لعازر هنا. ذلك ان عظماء الكهنة قد قرروا ان يغيّبوه. فالتهديد واقعي، ولن نعرف شيئاً عن التتمة. غير ان الراوي لا يسمح لنفسه ان ينسى يسوع، وهو الشخص المركزي في روايته. ذلك ان آية لعازر حملت ثمارها: فالبعض آمن، والبعض الآخر تصلّب في عدم ايمانه.

ب. دخول يسوع اورشليم (١٢:١٢-١٩)

تنقل الاناجيل الاربعة دخول يسوع المسيحاني الى اورشليم، غير أن قراءة يوحنا للحدث هي في منتهى الاختلاف. فالرواية مقتضبة، لا بل هي اكثر ايجازاً من رواية الازائيين. ويوحنا، كعادته، يركّز الرواية على شخص يسوع، بصفته الرب البليغ في تصرّفه، دون ان تكون هناك حاجة الى الاكثار من الكلام.

١٢ ولَمَّا كانَ الغَد سَمِعَ الجَمْعُ الكَثيرُ الَّذينَ أَتَوا للعيد أَنَّ يسوعَ قادِمٌ إِلى أُورَشَليم.
١٣ فحَمَلوا سَعَفَ النَّخْلِ وخَرَجوا لاستِقباله وهُم يَهتِفون: "*هُوشَعْنا! تَبارَكَ الآتي بِاسمِ الرَّبّ مَلِكُ إِسرائيل!*"
١٤ فوَجَدَ يسوعُ جَحْشاً فرَكِبَه، كما وَرَدَ في الكتاب:
١٥ "*لا تَخافي يا بِنتَ صِهْيون هُوَذا مَلِكُك آت راكِباً على جَحْشِ ابنِ أَتان*".
١٦ هذه الأَشياءُ لَم يَفهَمْها تَلاميذُه أَوَّلَ الأَمر، ولَكِنَّهم تَذَكَّروا، بَعدَما مُجِّدَ يسوع، أَنَّها فيه كُتِبَت، وأَنَّها هي نَفسُها له صُنِعَت.
١٧ وكانَ الجَمْعُ الَّذي صَحِبَه، حينَ دَعا لَعازَرَ مِنَ القَبْر وأَقامَهُ مِن بَينِ الأَموات، يَشهَدُ له بذلك.
١٨ وما خَرَجَ الجَمْعُ لاستقباله إِلاَّ وقَد سَمِعَ أَنَّه أَتى بتلكَ الآيَة.
١٩ فقالَ الفِرِّيسيُّونَ بَعضُهم لِبَعض: "تَرونَ أَنَّكم لا تَستَفيدونَ شَيئاً. هُوَذا العالَمُ قد تَبِعَه".

الدخول الى اورشليم (آ ١٢-١٤أ)

يجري المشهد (١٢:١٢) غداة الدهن بالطيب في بيت عنيا، أي خمسة ايام قبل عيد الفصح (١:١٢). وهذا الاستقبال الظافر الذي لقيه يسوع، جُعل في علاقة مباشرة مع قيامة لعازر. وكتب يوحنا: تناول الجمع سعف النخل. بوسع هذا التفصيل ان يذكّر بتجديد الهيكل بعد تدنيسه على يد انطيوخس ابيفانيوس، حين كان الجمع قد جاء الى الهيكل بسعف النخيل (٢ مكابيين ٧:١٠). فمن المحتمل ان يكون الجمع قد اتى **لملاقاة** يسوع كما لملاقاة ملك. ويشدد يوحنا على البُعد المسيحاني للمشهد، إذ وضع على لسان الجمع -على غرار الازائيين- المزمور ١١٨ الذي كان يُتلى في الاعياد الكبرى: الاكواخ والفصح والتجديد. ولكنه هو وحده بين الانجيليين، اضاف الى المزمور هذه الكلمة: "ملك اسرائيل".

ليس يسوع هو الذي ينظّم المشهد، كما فعل الازائيون (حين ارسل تلميذين ليجدا جحشاً ليركبه ويدخل). هذا الايجاز، لم يقلّص مجد يسوع بقدر ما برّزه واضفى عليه أبهة. "وجد يسوع جحشاً فركبَه". انها حركة من دون كلام، ولكنها حركة تحمل معنى لدى الجمع، ولا سيما لدى التلاميذ الذين سيقرأونها بعد الحدث.

مبادرة الاسفار المقدسة. الفصح (آ ١٤ب-١٦)

يطيب ليوحنا ان يذكّر بان القيامة وحدها مكنّت من إعادة قراءة الكتب المقدسة التي بوسعها ان تنير تصرّف يسوع، وتنير سرّه من خلال تصرفه. فلقد كتب: "هذه الاشياء لم يفهمها التلاميذ اول الامر" (انظر على سبيل المثال ٢٢:٢). واصبح هذا الفهم ممكناً بفضل نور الاسفار المقدسة (١٧:٢، ٢٢). وهكذا يمكن أن يُفسَّر تصرّف يسوع بمثابة ازاحة الستار عن هويته المسيحانية: انه ملك، حين امتطى جحشاً على طريقة زكريا ٩:٩ الذي اشار الى مجيء مسيح مسالم ومتواضع (راجع تكوين ١١:٤٩). والجمع الذي جاء لملاقاته، كان يهتف لذاك الآتي باسم الرب، ملك اسرائيل. وتجاه هذا النداء، من مستوى سياسي قومي، قام يسوع بحركة رمزية لم ترافقها اية كلمة، سوى تلك التي تضمّنها سفر النبي زكريا، وهي في متناول معاصريه الذين كانت لهم ألفة مع الاسفار المقدسة.

وحين حرّر الانجيلي المشهد، كانت الالتباسات قد رُفعت: لقد كان بوسعه الآن ان يشرح المعنى الاخير للحدث، انطلاقاً من تمجيد يسوع. وبامكاننا ان نلاحظ كيف ربط انجيل يوحنا —لا بل كيف قرأ من جديد- وبشكل مدهش، الازمنة الثلاثة من تاريخ الخلاص: العهد القديم، زمن يسوع التاريخي، الحدث الفصحي. فالمؤمن، كي يفهم يسوع، عليه ان ينطلق من تمجيده عبر الصليب والقيامة، ويعيد قراءة مسيرته التاريخية بمعونة الكتاب المقدس.

استقبال يسوع (آ ١٧-١٩)

ان مردودات اعتلان يسوع هي ذاتها التي اثارها المشهد السابق: فبسبب آية لعازر (١١:١٢، ١٨)، هوذا الجمع (٩:١٢، ١٢) يؤمن ويسير وراءه (١١:١٢، ١٨). وبالمقابل، يتصلّب الرؤساء والفريسيون في موقفهم (١٠:١٢، ١٩). وهكذا اصبح كل شيء جاهزاً للمنازلة الحاسمة.

ج. ساعة يسوع (٢٠:١٢-٣٦)

هذا المقطع هو امتداد لما قيل عن يسوع منذ الفصل ١١. فساعة تمجيد الابن، المعلن عنها في ٤:١١، هي في طريقها الى الاكتمال. وفي ٥١:١١-٥٢، يعلن يوحنا بان موت يسوع، سيرافقه افتتاح رسالته باتجاه كل البشر. وهذا ما يعنيه مجيء اليونانيين الى يسوع.

٢٠ وكانَ بَعضُ اليونانيِّينَ في جُملَةِ الَّذينَ صَعدوا إلى أُورَشَليمَ لِلْعبادَةِ مُدَّةَ العيد.
٢١ فقَصَدوا إلى فيلبُّسَ، وكانَ مِن بَيتَ صَيدَا في الجَليل، فقالوا له مُلتَمسين: "يا سَيِّد، نُريدُ أَن نَرى يسوع".
٢٢ فذَهَبَ فيلبُّس فأَخبَرَ أَندرواس، وذهَبَ أَندَرواس وفيلبُّس فأَخبَرا يسوع.
٢٣ فأَجابَهما يَسوع: "أَتَت السَّاعَةُ الَّتي فيها يُمَجَّدُ ابنُ الإِنسان.
٢٤ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: إِنَّ حَبَّةَ الحِنطَةِ الَّتي تَقَعُ في الأَرض إِن لَم تَمُتْ تَبقَ وَحدَها. وإِذا ماتَت، أَخرَجَت ثَمَراً كثيراً.
٢٥ مَن أَحَبَّ حياتَهُ فقَدَها ومَن رَغِبَ عنها في هذا العالَم حَفِظَها للحَياة الأَبَديَّة.
٢٦ مَن أَرادَ أَن يَخدُمَني، فَلْيَتْبَعْني وَحَيثُ أَكونُ أَنا يَكونُ خادِمي وَمَن خَدَمَني أَكرَمَهُ أَبي.
٢٧ الآنَ نَفْسي مُضطَرِبة، فماذا أَقول؟ يا أَبَتِ نَجِّني مِن تِلكَ السَّاعة. وما أَتَيتُ إِلاَّ لِتِلكَ السَّاعة.
٢٨ يا أَبت، مَجِّد اسمَكَ". فانطَلَقَ صَوتٌ مِنَ السَّماء يَقول: "قَد مَجَّدتُه وسأُمَجِّدُه أَيضاً".
٢٩ فقالَ الجَمْعُ الَّذي كانَ حاضِراً وسَمِعَ الصَّوتَ: "إِنَّه دَوِيٌّ رَعْد". وقال آخَرونَ: "إِنَّ مَلاكاً كَلَّمَه".
٣٠ أَجابَ يسوع: "لم يَكُنْ هذا الصَّوتُ لأَجلي بل لأَجلِكُم.
٣١ اليَومَ دَينونَةُ هذا العالَم. اليَومَ يُطرَدُ سَيِّدُ هذا العالَمِ إِلى الخارِج.
٣٢ وأَنا إِذا رُفِعتُ مِنَ الأَرض جَذَبتُ إِلَيَّ النَّاسَ أَجمَعين".
٣٣ وقالَ ذلكَ مُشيراً إِلى المِيتَةِ الَّتي سَيَموتُها.

٣٤ فأَجابَه الجَمْع: "نَحنُ عَرَفْنا مِنَ الشَّريعَةِ أَنَّ المَسيحَ يَبْقى لِلأَبَد. فكَيفَ تَقولُ أَنتَ إِنَّهُ لا بُدَّ لابنِ الإِنسانِ أَن يُرفَع. فمَنِ ابنُ الإِنسان هذا؟"
٣٥ فقالَ لَهُم يسوع: "النُّورُ باقٍ مَعَكم وَقتاً قَليلاً فَامشوا ما دامَ لَكُمُ النُّور لِئَلاَّ يُدرِكَكُمُ الظَّلام. لأَنَّ الَّذي يَمْشي في الظَّلام لا يَدْري إِلى أَينَ يَسير.
٣٦ آمِنوا بِالنُّور، ما دام لَكُمُ النُّور لِتَصيروا أَبناءَ النُّور". قالَ يسوعُ هذا، ثُمَّ ذهَبَ فتَوارى عَنهُم.

مقدمة: اليونانيون (آ ٢٠-٢٢)

اليونانيون، هنا، ليسوا يهوداً يعيشون في اليونان او يتحدثون اليونانية. فهذا الاسم يعني وثنيين اتخذوا صفة "خائفي الله" (متعاطفين مع الديانة اليهودية، ولكنهم

لم يشاءوا الخضوع للختان). وأُدرجت، بذكاء، اول خطوة باتجاه يسوع، من قبل غير يهود، بمثابة العلامة التي تعلن بان الساعة قد جاءت. فهؤلاء الرجال القادمون من الوثنية، سبق لهم ان قاموا باختيار اله اسرائيل. وهم يستعدون الى عبور يبدو طبيعياً للانجيلي، من الديانة اليهودية الى يسوع الذي هو اكتمالها. انهم يريدون ان "يروا" يسوع، وبالمعنى العميق، "ان يؤمنوا به" (١٢:٤٥؛ ١٤:٩). وفيلبس، احد التلاميذ الذي غالباً ما يأتي ذكره في انجيل يوحنا (١٢ مرة)، هو الوسيط (كما في ١:٤٥؛ ٦:٥). هل ان لوساطته صلة باسمه اليوناني؟ قد يكون من منطقة ذات كثافة وثنية، ولذلك كان يتكلم اليونانية. وهذه الوساطة التي تمّت عبر اندراوس (وهو من قرية بيت صيدا مثله) للبلوغ الى يسوع، اتخذت اهمية اكبر.

ويوحنا، على عادته، يكثّف العناصر القصصية في بداية روايته، وكأنه يريد ان يشدّ القارئ. ومن ثم، يتوقف كل شيء: لن نعلم شيئاً عن لقاء اليونانيين مع يسوع. وهوذا الانجيلي، منذ الآن، يركز روايته على يسوع.

الساعة (١٢:٢٣-٣٦)

الساعة التي أُرجئت الى الآن، ها قد حضرت اخيراً. وكانت عودة لعازر الى الحياة بمثابة صورة لها: ومجيء اليونانيين أعلن اخيراً تحقيقها. إلا ان هؤلاء اليونانيين لم يتلقوا جواباً مباشراً من يسوع. ذلك ان يسوع تحدث الى التلاميذ، وما قاله يتعلق اولاً بالتلاميذ المدعوين، فيما بعد، الى ابلاغ الوثنيين بان الخلاص اصبح، في موت يسوع، مفتوحاً لكل البشر.

وشُدِّد على احتفالية هذا الكشف من خلال العبارة المضاعفة: "الحق الحق اقول لكم". فالساعة هي ساعة الموت والتمجيد في الوقت ذاته. ويسوع، كي يعبّر عن خصوبة موته المعدّ لأن يقود الى تمجيده، انطلق من مثل مألوف في عالم الزراعة بشأن حبة الحنطة التي تموت لتعطي ثماراً. والتضاد الذي أدرجه يسوع، ليس هو بين "الموت للعيش"، بقدر ما هو بين "الموت لحمل الثمار". فعلى مثال الحبّة، يترتب على يسوع ان يُلقى في الارض ويموت، كي يتمكن من ان يحمل ثمراً للعالم.

ساعة يسوع

لفظة "الساعة" المستعملة في انجيل يوحنا ٢٦ مرة، تشير غالباً الى زمن مؤاتٍ بشكل خاص، فيه يتم الخلاص. وخلال القسم الاول من الانجيل، لم تكن هذه الساعة قد أتت بعدُ. وحين شاءت ام يسوع أن تحمل ابنها على التدخّل في قانا، سمعت هذا الجواب: "لم تأتِ ساعتي بعدُ" (٢:٤). وهكذا كان اعتقال يسوع مستحيلاً للسبب ذاته (٧:٣٠؛ ٨:٢٠). ويسوع، وعلى عدة دفعات، ينبئ باقتراب ساعة يصبح فيها كل شيء واضحاً (١٦:٢٥). وستكون العبادة فيها روحية (٤:٢١-٢٣)، وفيها تتغلب الحياة على الموت (٥:٢٥).

والمفاجأة التي طالما كُتمت، اصبحت مكشوفة الآن، حين اعلن يسوع للوثنيين الذي ارادوا ان يروه، بان الساعة قد جاءت اخيراً (١٢:٢٣). فيسوع، ما ان دخل في الآلام حتى اعلن بان ساعة التمجيد قد حضرت (١٣:١؛ ١٧:١). هذه العبارة نجدها في الاناجيل الازائية (مرقس ١٤:٣٥، ٤١). غير ان يوحنا وحده، على مدى انجيله، نثر تلميحات واضحة الى حدث من التاريخ، هو صلب يسوع. وهذا الوقت ليس من قبيل التسلسل الزمني. فما ان حضر، فانه يبقى دوماً آنياً، ويمدّ مفاعليه لصالح كل الذين يمنحون ولاءهم للكلمة.

لم يكن موت يسوع عبوراً اضطرارياً كي يدخل في المجد، وانما هو الشرط كي تولد الكنيسة وتنمو. وهكذا يكون موت يسوع بمثابة تلك اللحظة المؤسِّسة لكيان المسيحي، إذ "حيث اكون انا، يكون خادمي" (١٢:٢٦). والآيتان ٢٥-٢٦ تشركان، في الواقع، جماعة المؤمنين في مصير يسوع. فالذين يحبون حياتهم هم الذين، في اللغة اليوحنانية، يؤثرون الظلمات وهذا العالم ومجدهم الذاتي.

وهنا ايضاً، نجدنا بصدد الايمان، حتى وإن لم يكن بعين الوضوح، كما لدى الازائيين الذي يشددون على العلاقة مع يسوع: "الذي يفقد حياته **في سبيلي وسبيل البشارة**، فانه يخلّصها" (مرقس ٨:٣٥). فالعلاقة مع يسوع افتتحت بالآية ٢٦: "من اراد ان يخدمني، فليتبعني". ذلك ان على التلميذ ان يذهب حيث يذهب يسوع، بمعنى ان عليه الدخول في الموت للحصول على الشركة بالمجد. وفي هذه الحالة، يقول يسوع: "ابي يكرمه".

الاضطراب، صوت من السماء، وكلام الكشف (آ ٢٧-٣٦)

الساعة التي هي آتية -وبضمنها الغطس في الموت- تفترض عبوراً أليماً يكون فيه مكان للاضطراب والمحنة. وحين يروي يوحنا آلام يسوع، سيُهمل كل ما يبرّز انسانيته، كالنزاع على سبيل المثال. إلا انه احتفظ ببضعة عناصر ووزّعها في اماكن اخرى من انجيله. وهنا يُصدي لكلمات وعبارات من مثل اضطراب يسوع او الحديث عن ساعته "نجني من تلك الساعة" -وقد جاءت ولا شك من التقليد (يمكننا ان نقارن هذا المقطع مع مرقس ١٤:٣٣-٣٦). اما طاعة يسوع لأبيه، فقد شُدِّد عليها كثيراً؛ كما ان قوله "يا ابت، مجِّدْ اسمك"، يرجّع صدى "الابانا" (وهي غائبة من انجيل يوحنا). ذلك ان يسوع، هو الاول، يخرج من ذاته كي يضع نفسه في حالة اصغاء الى الآب.

"وانطلق صوت من السماء" (آ ٢٨). انها المرة الاولى في انجيل يوحنا (مقابل مرتين في الاناجيل الازائية: في العماذ وفي التجلي، راجع لوقا ٩:٢٨-٣٦)، يتوجه الصوت إلى يسوع. ولمقطع يوحنا، في الواقع، علاقة مع التجلي، حيث يرافق الاعتلان المجيد ليسوع حوار بشأن خروج يسوع (اعني موته). نستشف التقارب مع النزاع لدى لوقا، حين "تراءى له ملاك من السماء يشدد عزيمته" (لوقا ٢٢:٤٣). ففي الحالتين، هناك صلات محتملة ما بين التقاليد الانجيلية. إلا ان يوحنا يتصرف كمبتكر، فيختار معطيات التقليد ويعيد صياغتها في خدمة مشروعه اللاهوتي.

ان تدخل الآب، من خلال طابعه الفريد، ومكانه في نهاية القسم الاول من الانجيل، يبدو بمثابة تأييد الآب الاحتفالي ليسوع، بصفته ابناً ومُرسَلاً. فنحن بازاء شبه موافقة ذات طابع تمجيدي، اعطيت في جزء منها منذ الآن، وفي جزء آخر وُعد بها في المستقبل. ذلك ان الآلام هي، **بالنسبة له، امتحان للتمجيد.**

"مجدتك". في اليونانية، يُستخدَم فعل بصيغة "الماضي الحاضر" للاشارة الى حدث ماضٍ يستمر حضوره. فنحن ولا شك بصدد التجسّد في شموليته، مع آياته، وفي المقدمة آية المَوت/التمجيد. اما التمجيد الثاني، فسيتم حين يجمع الابن كل الشعوب.

حديث يسوع

من الغرابة بمكان ان كلام الله الذي يدفع السامعين إلى معرفة يسوع (آ ٣٠) سُمع ولكنه لم يُفهَم (هل نحن بازاء صاعقة ام ملاك؟). فالقراء الذين كتب لهم يوحنا انجيله تمتعوا، هم ايضاً، على مثال يسوع، بالكشف الصريح.

ويصبح يسوع المفسِّر لصوت الله. والساعة التي يجب عليها ان تمجّد يسوع، ستحدد زمن الدينونة: ذلك ان غياب الايمان بيسوع يؤدي، كنتيجة حتمية، الى الدينونة. وفي ارتفاع يسوع يتم مصير كل البشر، ولا سيما هزيمة "رئيس هذا العالم"، وبشكل جذري. فيسوع **المرفوع** يقود **طرد** هذا الواقع المعقّد -ويسمّى، في مكان آخر، الشيطان. وهنا يُشخَّص عدو الله والمسيح، في ثنائية تجعل القارئ العصري يميل الى التخفيف منها. ذلك ان عالم الشر والظلمات وعدم الايمان هو واقع يخترق كل انسان وكل مؤمن. وانتصار يسوع ضد الشر امر واقعي، إلا ان على المؤمنين ان يجعلوا هذا الواقع مرئياً، فيهم وفي من حولهم. وللبلوغ الى هذا الامر، يلزم وقت وصبر: وتشدد رسالة يوحنا الاولى على ذلك: "نحن نعلم ان العالم كله يئن تحت وطأة الشرير" (١ يوحنا ١٩:٥). ويوضح تعليق الانجيلي المعنى: الرفع يتم على الصليب، وعلى الصليب يصبح يسوع ملكاً.

والجمع -وقد يكون تبنى التفسير المسيحاني القوي الذي برز في استقبال يسوع في اورشليم (١٣:١٢)- يتقبل مسيحاً "ازلياً"، ولكنه يرفض المسيح الذي جسّده يسوع والذي عليه ان يمر بالموت. هذه المعثرة لا تليق به: انها معثرة بطرس والتلاميذ الذين "لم تكن افكارهم افكار الله" (مرقس ٣٣:٨).

لا يجيب يسوع مباشرة الى السؤال عن هوية ابن الانسان وموته (آ ٣٤)، ولكنه، كعادته غالباً، يدعو مستمعيه الى الاهتداء. ففي تعارض ثنائي بين النور والظلمات، يشدّد على قرب الزمن. فهو ذلك النور الذي سيذهب، ويتحتّم على المرء ان يقوم باختيار. فأنْ نمشي في النور، معناه ان نؤمن بمن هو نور العالم. ومعناه ايضاً ان نتصرّف بصفة ابناء النور، أي ان نتعلق بالمسيح وبوحيه، بشكل واقعي، وننتمي بالتالي الى جماعة المخلَّصين (قارن مع ١ تسالونيقي ٥:٥؛ افسس ٨:٥-١٤). وكما في ٣٩:١٠، هوذا يسوع يبتعد ويختفي "بعيداً عنهم".

خلاصة القسم الأول (٣٧:١٢-٥٠)

تقييم ختامي (آ ٣٧-٤٣)

٣٧ **أَتى يسوعُ بجَميعِ هذه الآيات بمَرأى منهم، ولَم يُؤمنوا به،**
٣٨ **فتَمَّت الكَلِمَةُ الَّتي قالَها النَّبيُّ أَشَعْيا: "*يَا ربّ، مَنِ الَّذي آمَنَ بِما سَمِعَ مِنَّا؟ ولِمَن كُشِفَت ذِرَاعُ الرَّبّ؟*"؟**

٣٩ لم يَستطيعوا أن يُؤمنوا، لأنَّ أَشعْيا قالَ أيضاً:
٤٠ *"أعْمى عُيونَهم وقَسّى قُلوبَهم لئلاَّ يُبصِروا بِعُيونِهم ويَفهَموا بِقُلوبِهِم ويَرجِعوا فأشفيَهم".*
٤١ قالَ أَشعْيا هذا الكَلام لأنَّه رَأى مَجدَه وتَكَلَّمَ في شَأنه.
٤٢ غيرَ أنَّ عَدَداً كَثيراً منَ الرُّؤَساء أَنفُسِهِم آمَنوا به، ولَكِنَّهم لم يُجاهِروا بِإيمانِهِم، بِسَبَبِ الفرِّيسيِّين، لئلاَّ يُفصَلوا منَ المَجمَع،
٤٣ ففَضَّلوا المَجدَ الآتيَ مِنَ النَّاسِ على المَجدِ الآتيِ مِنَ الله.

ان فشل يسوع النسبي طرح على الانجيلي السؤال العسير حول عدم الفاعلية الظاهرة ليسوع النبي. وفيما عاد، في ختام كتاب الآيات، الى المعطى المطروح في البداية: "جاء الى بيته، فما قبله اهل بيته" (١:١١)، حاول ان يقيّمه عبر التفاته الى خبرة اسرائيل السابقة. وتذكّر الكلمات المستخدمة في ١٢:٣٧ بالافكار التي نسبها سفر تثنية الاشتراع الى موسى، في نهاية خطاباته الوداعية. فلقد حاول موسى ان يُدرك معنى فشل شعب الله، فخرج بهذه النتيجة: "قد رأيتم كل ما صنع الرب امام عيونكم في ارض مصر، بفرعون وبرجاله كلهم وارضه كلها، تلك التجارب العظيمة التي رأتها عيناكَ **وتلك الآيات والخوارق العظيمة**. ولم يُعطِكم الرب الى هذا اليوم قلوباً لتعرفوا وعيوناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا" (تثنية ٢٩:١-٣).

وهكذا يتوافق نبذ يسوع، الى حد ما، مع منطق تاريخ الخلاص. لا بل هو يكرر نبذ العبد المتألم بحسب اشعيا، وقد استشهد يوحنا بفاتحة الفصل ٥٣ (اشعيا ٥٣:١)، وهو الفصل الاكثر وضوحاً بشأن معنى الفشل وما ينطوي عليه من قيمة خلاص.

اما المرجع الثاني الذي اورده من سفر اشعيا، فقد استقاه من دعوة النبي (اشعيا ٦:٩-١٠)؛ ويستخدم الانجيلي مجدّداً، وبصراحة، البرهان الذي استخدمه تلامذة اشعيا انفسهم حين واجهوا فشل معلّمهم: هو الله ذاته اراد هكذا. ونجد هذا المرجع في سفر اعمال الرسل (٢٨:٢٦-٢٧). اما في الاناجيل الازائية (متى ١٣:١٣-١٥)، فيسوع ذاته هو الذي يورده، بينما يرى فيه يوحنا تفسيراً متأخراً قامت به الكنيسة.

ويعيد يوحنا، في الآية ٤١، قراءة اشعيا ٦، ناسباً الى النبي رؤية مجد الله، أي **مجد يسوع**. انه يستخدم مجدَّداً، ولا شك، تراجيم لسفر اشعيا كانت تفسّر رؤيا النبي وكأنها "رؤيا الكلمة". ذلك ان الكلمة، بالنسبة له، هو يسوع. وهكذا ترسخت قراءته الكريستولوجية: اشعيا رأى يسوع بصفته تجلي مجد الله بين البشر.

وهذه الخلاصة السلبية تخص ايضاً الرؤساء (آ ٤٢-٤٣). ذلك انهم، بخلاف الاعمى منذ مولده (يوحنا ٩)، لم يجرؤوا على الاعتراف بيسوع، مخافة ان يُطردوا من المجمع. ففي حياة يسوع، كان بوسع هذه الطروحات ان تنطبق على نيقوديمس (٣:١؛ ٧:٥٠)، وعلى يوسف الرامي (١٩:٣٨)، وعلى ذاك الوجيه المجهول بحسب لوقا ١٨:١٨. ولكن بوسعنا ان نفكر بالاكثر في وضع يرجع إلى زمن الانجيلي، حين لم يجرؤ بعض الرؤساء اليهود، القريبين من الحركة المسيحية، على القيام بالخطوة الحاسمة.

الخطاب الأخير (آ ٤٤-٥٠)

٤٤ **ورَفَعَ يَسوعُ صَوتَه قال: "مَن آمَنَ بي لم يُؤمِنْ بي أَنا بل بالَّذي أَرسَلَني.**
٤٥ **ومَن رآني رأَى الَّذي أَرسَلَني.**
٤٦ **جئتُ أَنا إِلى العالَمِ نوراً فكُلُّ مَن آمَنَ بي لا يَبْقَى في الظَّلام.**
٤٧ **وإِن سَمِعَ أَحَدٌ كَلامي ولَم يَحفَظْه فأَنا لا أَدينُه لأَنِّي ما جِئتُ لأَدينَ العالَم بل لأُخَلِّصَ العالَم.**
٤٨ **مَن أَعرَضَ عَنِّي ولَم يَقبَلْ كَلامي فلَه ما يَدينُه: الكَلامُ الَّذي قُلتُه يَدينُه في اليَومِ الأَخير**
٤٩ **لأَنِّي لم أَتَكَلَّمْ من عندي بل الآبُ الَّذي أَرسَلَني هو الَّذي أَوصاني بما أَقولُ وأَتَكَلَّم**
٥٠ **وأَنا أَعلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَه حَياةٌ أَبَدِيَّة فما أَتَكَلَّمُ به أَنا أَتَكَلَّمُ به كما قالَه لِيَ الآب".**

لاحظ كثير من المؤلفين تعثّر هذا المقطع: كيف يمكن ليسوع -وقد اختبأ في آ ٣٦- أن **يصرخ** علناً ويقول بعض هذه الآيات (آ ٤٤)؟ لذا، لم يتردد بعضهم من نقل هذه الآيات الى ما بعد ١٢:٣٦أ. لا شك ان هذا النص لا يبدو في مكانه، وهو يكرِّر مواضيع طُرحت في مكان آخر (كما في يوحنا ٣:١٦-١٩).

ومع ذلك، فمن الافضل أن نتنازل عن تغيير الترتيب المعتمد في الانجيل، ونبحث عن المعنى انطلاقاً من الصيغة النهائية للانجيل كما وصلتنا.

اول ما نلاحظ هو غياب مستمعين للخطاب. فيسوع يضع حدًّا للقسم الاول من الانجيل، مشدِّداً على نقطتين مركزيتين من كرازاته:

أ) الاولى، تتعلق **بهويته** وبعلاقته مع الآب. فبين الآب ويسوع، تبدو الصلة على درجة من العمق بحيث اصبح الايمان بيسوع ايماناً بالآب الذي ارسله؛ لأن ما يقوله، انما

يأتي من لدن الآب: "... كما اوصاني الآب". وبالتالي، من رأى يسوع، رأى الآب. ونفهم حينذاك جذرية الدينونة، طالما ان نبذ يسوع هو نبذ لله ذاته.

ب) الثانية، تنتج عن الاولى، ولها صلة **بالدينونة**. فيسوع لم يأتِ ليدين بل ليخلص: إلا ان كلام يسوع سيدين ذاك الذي لا يكون قد حفظه وطبّقه. لذا، فموقف السماع أو عدم السماع قد بدأ منذ الآن. ومنذ الآن تجري الدينونة أيضاً، حتى وإن كان التركيز، في هذه الخلاصة للقسم الاول من الانجيل، هو باتجاه تلك الدينونة التي ستجري في آخر الازمنة.

في هذه الخلاصة للقسم الاول من الانجيل، يبدو يسوع، بوضوح، بصفته ذاك النبي الذي أعلن موسى عنه، والذي يبقى كلامه بعد رحيله. ففي يوحنا ٥:٤٥، كان يسوع قد اوضح بأن موسى ذاته هو الذي سيشكو اليهود. وفي سفر تثنية الاشتراع (١٨:١٧-١٩) يقول الرب: "سأقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك، واجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به. واي رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي، فاني احاسبه عليه". تلك هي بالضبط نبرة **"الصرخة"** الاخيرة (آ ٤٤، وقد ترجمت احياناً بـ: "اكد يسوع بقوة"). فيسوع بدا بوضوح انه النبي الاواخري، ذاك الذي انبأ عنه موسى والذي يجب أن يُسمَع، تحت طائلة الدينونة التي تبدأ منذ الآن، وفي اليوم الاخير.

القسم الثاني

كتاب المجد
(١٣:١-٢٠:٣١)

الجزء الاول:
العشاء الاخير
(١٣:١-٣٠)

المقدمة

الجزء الأول: العشاء الاخير [١٣:١-٣٠]

مقدمة [١٣:١-٣]

أ. غسيل الارجل [١٣:٤-٢٠]

ب. إنباء بالخيانة [١٣:٢١-٣٠]

مقدمة

فيما كان يسوع، في القسم الاول من الانجيل، يتوجه الى كل البشر، عارضاً عليهم ان يؤمنوا، به بصفته مرسَل الآب، ها هي الحلقة تتحدد هنا. فمنذ الآن فصاعداً يتحدث يسوع الى الفريق المحدود، فريق الذين ارتضوا ان يؤمنوا. وهكذا بلغ صراع الايمان ذروته. هوذا الفريق يترك ضجة العالم واضطرابه وظلمته وعدم ايمانه. وهوذا الكاشف ينسحب مع اخصائه في مناخ صاف الى حد كبير. فلقد اتت الساعة التي كان القسم الاول بمثابة اعلان وتمهيد لها. ورواية الآلام ذاتها، وإن اختلفت عن خطاب الوداع، فهي تحكي احداث الساعة وتكشف عن تمجيد الابن. وهذه الاحداث لن يطالها سوى المؤمنين الذين، من وراء الظواهر المأساوية غالباً والمحقِّرة في نظر البشر، يقرأون تجلّي مجد الابن.

الفصول ١٣-١٧ تعطي المعنى الذي ينطوي على الحدث. هوذا يسوع يتحدث طويلاً مع تلاميذه، وينتمي خطابه الى فن "خطابات الوداع". ومثل هذا الفن الادبي نجده في الكتاب المقدس، كما في الادب اليهودي الرؤيوي، ولكننا نجده ايضاً في العهد الجديد. لنذكر على سبيل المثال: تكوين ٤٩ (بركات يعقوب لبنيه)، تثنية الاشتراع ٣٣:١-٢٩ (الكلمات التي "قالها موسى قبل موته")، اعمال الرسل ٢٠:١٧-٣٨ (وداع القديس بولس لقسس افسس في ميليطش). فحين يشعر رجل، أو شيخ في الغالب -يكون اقله على وعي بانه بلغ نهاية مطافه الانساني- ان موته اقترب، يستدعي اخصاءه المقربين ويسلّم اليهم اثمن ما يملك، بصيغة خطاب توجيهي، في استذكار للماضي وانفتاح على المستقبل. وهو يذكّر بما صنعه الله له، ويتمنى ان يستمر إرثه. وللحال يعطي معنى لموته القريب. وغالباً ما كانت هذه الوصية الاخيرة تُبلَّغ في غضون مأدبة تتخذ، في الوقت ذاته، طابعاً احتفالياً خاصاً، ترافقها حركات رمزية هدفها التأثير على المخيلة، فتمكّن المشرف على الموت من أن يستمر حياً في ذاكرة احبائه.

وكان الخطاب الوداعي يتضمن عادة المقاطع التالية: يجمع المشرف على الموت اولاده، وغالباً الاشخاص المقربين اليه ايضاً. ومن ثم يعطيهم تعليمه الاخير الذي يوجز ابرز ما يريد ان يتركه لهم. انه يعرض حياته وشخصه بمثابة نموذج، وينبئ عن المصير المقبل لشعبه.

هذا القسم هو الاكثر فرادة في مؤلَّف يوحنا، ولا مثيل له في الاناجيل الازائية.

الجزء الاول العشاء الاخير (١٣:١-٣٠)

قد يعطي الفصل ١٣ انطباعاً عن تكرارات: فلقد لاحظ الاختصاصيون معلومات مكررة عن يهوذا (١٣:٢، ٢٧)، وتكراراً في ١٣:١-٣ بصدد العودة الى الآب، وتفسيرات مختلفة الى حد ما بشأن تغسيل الارجل (١٣:٦-١١ و١٢: ١٣-٢٠). الى جانب متناقضات احياناً (الآية ٧ تعلن عن فهم مؤجل للحدث، بينما الآية ١٢ تفسّره للحال). ولكن يجب ان نتجنّب انطباعاتنا المنطقية: فالفصل، كما هو عليه، يحمل معنى؛ وهناك عناصر في النص جديرة بالاهتمام، تكشف عن انسجام، وتولّف صيغ "تطويق" كثيرة.

آ ١: كان قد احبّ، **احبّهم الى اقصى الحدود**
آ ٣٥: احبوا **كما انا احببتكم**

آ ٤: "**ترك**" ثيابه
آ ٣٨: "ترك" (بذل) حياته

آ ٧: **لا الآن بل بعد حين**
آ ٣٦: **لا الآن بل بعد حين**

آ ٢: **يهوذا**، وآ ٦ **سمعان بطرس**
آ ٢١-٢٩: **يهوذا** وآ ٣٦-٣٨ **سمعان بطرس**

آ ١٢-١٥: ان تصنعوا **كما صنعت**
آ ٣١-٣٥: احبوا **كما انا احببتكم**

فالكلمات المكررة والتطويقات والتوازيات تحيلنا الى رواية أُلّفت لكي تُسمع مع ايقاع. وهذه التلاقيات لا يمكنها ان تكون عرضية، كما لا يمكن ان تُفسَّر بفعل تنسيق لا غير. إلا انه ينبغي ان نستكمل هذه المعطيات ببحث عن المعنى.

١٣ ١ قبلَ عيد الفصح، كانَ يسوعُ يَعلَمُ بأن قد أَتت ساعَةُ انتقاله عن هذا العالَمِ إلى أبيه،
وكانَ قدَ أَحَبَّ خاصَّتَه الَّذينَ في العالَم، فَبَلَغَ به الحُبُّ لَهم إلَى أَقْصى حُدوده.
٢ وفي أَثْناء العَشاء، وقَد أَلْقى إبْليسُ في قَلْب يَهوذا بْنِ سمعانَ الإسخَريوطيِّ أَن يُسلمَه،
٣ وكانَ يسوعُ يَعلَمُ أَنَّ الآبَ جَعَلَ في يَدَيه كُلَّ شَيء، وأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الله، وإلى الله يَمْضي،
٤ فقامَ عنِ العَشاء فخَلَعَ ثيابَه، وأَخَذَ منديلاً فَائتَزَرَ به،
٥ ثُمَّ صَبَّ ماءً في مَطهَرَةٍ وأَخَذَ يَغسلُ أَقدامَ التَّلاميذ، ويَمسَحُها بالمنديلِ الَّذي ائتَزَرَ به.
٦ فجاءَ إلى سمعانَ بُطرُس فقالَ له: "أَأَنتَ، يا ربُّ، تَغسلُ قَدَمَيَّ؟"
٧ أَجابَه يَسوع: "ما أَنا فاعلٌ، أَنتَ لا تَعرفُه الآن، ولكنَّكَ ستُدرِكُه بَعدَ حين".
٨ قالَ له بُطرُس: "لن تَغسلَ قَدَمَيَّ أَبداً". أَجابَه يسوع: "إذا لم أَغسلْكَ فلا نَصيبَ لَكَ معي".
٩ فقالَ له سمْعانُ بُطرُس: "يا ربّ، لا قَدَمَيَّ فَقَط، بلْ يَدَيَّ ورَأسي أَيضاً".
١٠ فقالَ لَه يَسوع: "مَن استَحَمَّ لا يَحتاجُ إلاَّ إلى غَسلِ قَدَمَيه، فهو كُلُّه طاهِر. أَنتُم أَيضاً
أَطهار، ولكن لا كُلُّكم".
١١ فقَد كانَ يَعرِفُ مَن سَيُسْلمُه، ولذلكَ قال: لَستُم كُلُّكم أَطهاراً.
١٢ فلَمَّا غَسَلَ أَقدامَهم لَبِسَ ثيابَه وعادَ إلى المائدة فقالَ لَهم: "أَتَفهَمُونَ ما صَنَعتُ إليكم؟
١٣ أَنتُم تَدعونَني "المُعَلِّمَ والرَّبَّ" وأَصَبتُم في ما تَقولون، فهكذا أَنا.
١٤ فإذا كُنتُ أَنا الرَّبَّ والمُعَلِّمَ قد غَسَلتُ أَقدامَكم، فيَجِبُ علَيكُم أَنتُم أَيضاً أَن يَغسلَ
بَعضُكم أَقدامَ بَعْض.
١٥ فقَد جَعَلتُ لَكُم من نَفْسي قُدوَةً لتَصنَعوا أَنتُم أَيضاً ما صَنَعتُ إلَيكم.
١٦ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: ما كانَ الخادِمُ أَعظَمَ مِن سَيِّدِه ولا كانَ الرَّسولُ أَعظَمَ مِن
مُرسله.
١٧ أَمَّا وَقَد عَلمتُم هذا فطوبى لَكُم إذا عَملتُم به.
١٨ لا أَقولُ هَذا فيكم جَميعاً، فأَنا أَعرِفُ الَّذينَ اخترتُهم، ولكِن لابُدَّ أَن يَتمَّ ما كُتِب: *أَنَّ
الآكلَ خُبزي رَفَعَ علَيَّ عَقِبَه*.
١٩ مَنذُ الآن أُكَلِّمُكُم بالأمر قَبلَ حُدوثه حتَّى إذا حدَثَ تُؤمنونَ بأَنِّي أَنا هو
٢٠ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: مَن قَبِلَ الَّذي أُرسِلُه قَبِلَني أَنا ومَن قَبِلَني قَبِلَ الَّذي أَرسَلَني".

مقدمة (١٦-٣)

هذه الآيات الثلاث هي مقدمة لمجمل القسم الثاني من الانجيل، وفي الوقت ذاته لمشهد تغسيل الارجل الفريد. ويشكّل مجمل الآيات جملة واحدة معقدة تبدو، حرفياً، غير

منسجمة. ومع ذلك، فان هذه المقدمة -وقد بُنيت بشكل "تطويق" ("الانتقال الى الآب"، آ١، المضي الى الله"، آ ٣)- تبرّز الى اقصى الحدود مشهد تغسيل الارجل، وبشكل أعم، مشهد الآلام. إذ يشدد يوحنا على ان يسوع هو سيّد الاحداث (كان يعلم)، وهو الذي يعطيها معنى (**كان قد احبَّ، احبّهم**)، ويكشف عن مغزى الآلام (صراع بين الله والشيطان). وهكذا اصبحنا مهيَّأئين لتجاوز البُعد الغريب للأحداث، كي نتمكن من الولوج الى معانيها العميقة: فمن جهة الآب ويسوع، نجدنا ازاء اعتلان حب بلغ ذروته، يتم بوعي كامل (اقرأ ايضاً ١٨:٤؛ ١٩:٢٨)؛ ومن جهة يهوذا، نجده وقد اصبح العوبة بيد الشيطان (انظر ١٣:٢٧). فالمشهد يرفرف عليه الحب، وهو يتوجه الى التلاميذ الذين آمنوا. ومع ذلك، يبقى المشهد بمنأى عن السذاجة، طالما ان الكاتب، في بدء المقطع وفي نهايته، أدرج ذكر ابليس "الذي دخل قلب يهوذا" (٢، ٢٧).

أحبَّ "حتى النهاية"، وهذا يعني، في آن واحد، انه احب حتى الموت وحتى اقصى الحب. ويسوع، منذ الفصل ١٣، يحيط بحبه "خاصته" (انظر ايضاً ١٣:٣٤-٣٥؛ ١٥:١٢، ١٧). ولا يحدّ ذلك من الحب اللامحدود الذي اتسم به يسوع، بحسب الازائيين، وانما يعني بالاكثر الحب الفريد بين المؤمنين، والمتجذّر في حب الابن تجاه الآب.

أ. مشهد تغسيل الأرجل ومعناه

المبادرة (آ٤-٥)

المقدمة الاحتفالية تُعدّ القارئ كي يقرأ مبادرة تغسيل الارجل بصفتها اكثر من حركة ضيافة اعتيادية: انها حركة رمزية تدلّل على الحب الذي يذهب الى الموت. لم يكن طقس احتفالية الفصح يتضمن شيئاً مماثلاً. وبالاكثر، وبحسب الميدراش عن الخروج (٢١:٢)، لم يكن العبد اليهودي ملزماً بغسل قدمي سيده. نحن بازاء رتبة موصوفة بشكل دقيق، إذ تتوقف طويلاً على كل من الحركات، كما لو كنا في مشهد سينمائي يعرض بالحركة البطيئة، كي تفسح للقارئ ان يتشبّع من كل القوة التي تنطوي على هذه الرتبة التي قام بها يسوع.

هوذا يسوع "**يترك**" ثوبه، و"**يلبسه**" من ثم (آ ١٢) في النهاية. والفعلان اليوحنانيان يُستخدمان للتعبير عن موت يرتضيه المرء بحريته، وعن القيامة في ١٠:١١، ١٥، ١٧. والصلة مع موت يسوع، تجد لها ما يدعمها في مقاومة بطرس.

الحب في انجيل يوحنا

يأخذنا العجب حين ننكب على دراسة مفردات الحب في انجيل يوحنا، وبشكلٍ اوسع في المؤلّفات اليوحنانية، إذ نلاحظ ان كلمة "حب" تكاد تكون محفوظة دوماً للاخوة في الايمان. واستنتج بعضهم ان يوحنا تبنى توجّه قمران (أي انه حصره في الجماعة، كما كانت الحال في جماعة قمران) في ما يتعلّق بالحب الشامل والسخي الذي نجده لدى الازائيين، المنفتح على الجميع، وحتى على الاعداء.

لا غرو ان يوحنا، في معظم الحالات، يجعل الحب وقفاً على اعضاء الجماعة: "احبّ خاصته ... وبلغ به الحب لهم الى اقصى حدوده" (١:١٣). ويقول يسوع بان وصيته الجديدة تكمن في هذا: "احبوا بعضكم بعضاً" (٣٤:١٣). والوصية ذاتها معروضة في ١٢:١٥. وتسير رسائل يوحنا في الاتجاه ذاته: "البلاغ الذي سمعتموه منذ البدء هو ان يحب بعضنا بعضاً" (١ يوحنا ١١:٣). والعلامة التي يعرف بها المؤمنون انهم انتقلوا من الموت الى الحياة، هي "ان نحب اخوتنا" (١ يوحنا ١٤:٣). والرسالة الاولى، بمجملها، تؤكد على هذا الالتزام القائم على الحب الإخوي.

كيف نفسّر مثل هذا الحصر والتخصيص؟ يجب أولاً ان نوضح بان يوحنا، في القسم الاول من الانجيل، ذكّر بشمولية حب الآب: "الله احب العالم حتى انه جاد بابنه الوحيد" (١٦:٣). إلا ان هذه الشهادات تبقى مع ذلك منفردة لدى يوحنا. لذا فان بوسعنا ان نفسّر هذا التأكيد على الحب الاخوي، في ضوء الازمات الداخلية المختلفة التي عرفتها الجماعة: فاذا كان هناك حديث مكثف عن الحب، فلأنه لم يكن يعاش كما ينبغي. إلا ان هذا الالحاح يبين ايضاً بان هناك امراً اساسياً لكيان الجماعة، حتى ان رسالة يوحنا الاولى ستجرؤ على استخدام هذه المقولة المدهشة بصيغة الغائب: "وصيته هي ان نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح، وان يحب بعضنا بعضاً، كما اعطانا وصية بذلك" (١ يوحنا ٢٣:٣).

لذا لا ينبغي ان نجعل تعارضاً بين الحب المتدفق الذي عكسه الازائيون، وبين الحب الاخوي الحصري لدى يوحنا، لأنهم لا يتحدثون عن الشيء عينه. فالحب الاخوي، لدى يوحنا، هو غير تلك المحبة الانسانية، أو ذاك السخاء تجاه اولئك البعيدين. انه الحب الالهي، أي ذاك الحب المتأصل في حب الآب لابنه. وحين قال يسوع "كما انا احببتكم" (٣٤:١٣)، فعبارة "كما" ليست هي اولاً مقارنة، ولا علامة قوة: وانما تعني تجذّراً واساساً. ذلك ان جماعة المؤمنين مدعوة الى عيش هذا الحب الالهي الذي هو، في الوقت ذاته، ايمان وحب، كما توجزه الرسالة الاولى ٢٣:٣. والحب الالهي، بحسب يوحنا، هو بحاجة الى الحب الشامل لكل البشر الذي شدّد عليه الازائيون: وإلا اصبح انطواء الجماعة على ذاتها، واتّسم بالجمود والتزمت. وبالعكس، فالحب الذي يجسّده السامري الصالح (لوقا ٢٥:١٠-٣٧) او التلميذ بحسب متى (٣١:٢٥-٤٦؛ "جعت فأطعمتموني") يجب ان يستقي قوته من الحب الالهي الذي يؤسس هوية الجماعة المؤمنة ويُلهم عملها.

ليس امراً اساسياً ان نعلم إذا كان بطرس هو الاول (بحسب القديس اوغسطينس) ام الاخير (بحسب اوريجانس). وليس من الثابت ان يكون شهود المشهد هم الاثنا عشر وحدهم (ذلك ان الذين حظوا بالغسل هم **التلاميذ**، وهم الاثنا عشر ولا شك، إذا قارنّا ١٣:٨ مع ٦:٧٠). ومن المؤكد ان سمعان بطرس عكس موقفاً نموذجياً تجاه صعوبة الايمان. وقد عبّر، بحسب الازائيين، عن تحفّظه في قبول فكرة مسيح متألم: ففي مرقس ٨:٣٣، كان يسوع قد طرده بصفته مجرّباً؛ وفي التجلي، تمنى بطرس أن يقيم في رؤيا المجد ويلغي المرور بالالام (لوقا ٩:٢٨-٣٦). وهكذا يكون قد تكلم، ولا شك، باسمه الخاص، ولكن ايضاً بصفته لسان حال جمع التلاميذ.

الحوار ذو تفسير (٦:٦-١١)

التفسير الاكثر وثوقاً هو ذاك المعطى في الحوار بين يسوع وبطرس حين بدا سوء التفاهم مفتاحاً للرواية. ذلك ان بطرس يبرهن على سوء فهم: بوسعنا أن نفهم رفضه، إذ ان يسوع يقول له: "ستدركه بعد حين". ولكنه يتصرف "بحسب الجسد". ويسوع، حين يشدد ان تغسيل الارجل ليس حرًّا، بل هو الشرط للشركة في الملكوت، فهو انما أراد ان يفهمنا بان هذه الحركة الرمزية هي ذات قيمة، ولا سيما بالنسبة لمكانة الذي يقوم بها، إذ يترتب على يسوع ان يحقق ما ترمز اليه هذه الحركة، كما يترتب على بطرس ان يقبل ما تعنيه. فان غسل الارجل حركة فريدة قام بها يسوع، مرة واحدة، في اطار استباق لموته. وان قبول الغسل يعني، بالنسبة الى بطرس (والى التلميذ)، قبول مسيحانية الألم، والمغامرة في مسيرة يسوع المسيحانية حتى الموت. ولن يصبح هذا السر معقولاً في نظر التلاميذ إلا فيما بعد، في اعقاب القيامة وهبة الروح (٢:٢٢؛ ٧:٣٧-٣٩؛ ١٢:١٦؛ ١٤:٢٦)، إذ ان مرافقته إلى الموت هي جزء من الملكوت.

وتبدو كلمة يسوع لبطرس "من استحمّ" (١٣:١٠)، وكأنها تميز بين "حمّامين" رمزيَين: فالأول هو استقبال الكلمة التي تحققت: "انتم الآن اطهار بفضل الكلام الذي قلته لكم" (١٥:٣)، والثاني هو مرافقة يسوع حتى النهاية، والولاء الكامل لمنهاجه المسيحاني، وبضمنه شهادة الموت. وسيترتب على بطرس **فيما بعد** أن يقوم بهذه المشاركة. أما الآن، فيتسم موقفه بعدم الفهم (وقد عكسته رغبته في المضي معه حتى النهاية، هنا وفي ١٦:٣٦-٣٨).

مونولوج ذو تفسير (آ ١٢-٢٠)

لقد رأى بعض المفسرين في هذا المونولوج تفسيراً آخر للمشهد، من مستوى اخلاقي. فيسوع اعطى تلاميذه مثالاً يُحتذى. ونقرأ في الرسالة الاولى الى طيموثاوس، من بين التوصيات الموجهة الى الأرامل، ان يكنّ قد "غسلن اقدام القديسين" (١ طيموثاوس ٥: ١٠). علماً بان يسوع –بالرغم من بعض التفسيرات في القرون الوسطى– لم يؤسس سرًّا جديداً، و لم يطلب ان تُفتح مسابح عامة!

ان الدافع الى خدمة الاخوة، على مثال يسوع، مشهود له ايضاً لدى الازائيين (مرقس ١٠: ٤٢-٤٥)؛ فلوقا، على غرار يوحنا، ادرجه في سياق العشاء الاخير (لوقا ٢٢: ٢٧). انه يتأصل في الفعل الفريد الذي قام به يسوع ليستخرج منه تعليماً يتعلق بممارسة المسيحيين –وهم مدعوون الى ان "يغسلوا اقدام بعضهم البعض"، بمعنى ان يتصرفوا بتواضع، على مثاله، كما صنع هو، السيد والمعلّم.

وهكذا بوسعنا ان نستلخص من تغسيل الارجل ثلاثة تفسيرات مترابطة في ما بينها:

أ) اولاً التذكير بالفعل الفريد لموت يسوع، وقد استُبق عبر هذه الحركة الرمزية لمروره عبر الموت؛

ب) ومن ثم تطبيق ممكن على العماذ بصفته تطهيراً ودخولاً في جماعة المؤمنين المدعوين الى اتباع يسوع؛

ج) واخيراً، نداء الى الاقتداء بالمعلم في حبه وفي خدمته المتواضعة للاخوة.

فما قد يبدو "محطِّماً" ومُذلاً في نظر البشر، هو في نظر يسوع مصدر تطويبة التلميذ: "اما وقد علمتم هذا، فطوبى لكم إذا عملتم به" (١٣: ١٧).

يهوذا وبطرس (آ ٨)

على غرار بطرس، يبدو يهوذا معارضاً ليسوع، ولكنه معارض بطريقة جذرية، وكأننا بازاء امر تراجيدي مقدَّر مسبقاً. فبطرس لم يشأ ان **يغسل له** يسوع **قدميه**، مسجّلاً بذلك رفض مرافقته إلى الموت. ويهوذا، فيما أتمّ الاسفار المقدسة (مزمور ٤١: ١٠)، **رفع عقبه** عليه، بمعنى انه اخذ مبادرة استعجال موته.

يوحنا والافخارستيا

حين رسموا، في القرن الوسيط، بطرس حاملاً المفاتيح ويوحنا حاملاً الكأس، فهم انما عبروا عن قناعة تقليدية بان الانجيل الرابع يمنح مكانة هامة للافخارستيا. كيف يمكن ان نوفّق بين هذا التقليد وبين غياب رواية تأسيس الافخارستيا لديه؟

ويصبح هذا الصمت اشد دهشة حين خصص يوحنا مكاناً كبيراً للقاء يسوع الاخير مع تلاميذه (لا اقل من خمسة فصول!). يجب اولاً ان نتجنب تفسير هذا الصمت بقانون "السرّية" التي بموجبها سكت المسيحيون الاولون، ارادياً، عن طقوسهم الاكثر قدسية. ذلك لأن يوحنا، في مقاطع اخرى من الانجيل، لم يخشَ ان يتحدث عن الافخارستيا، وبشكل واقعي الى حد كبير، كما في ٥٦:٦. وتساءل بعضهم أليس في ٥١:٦ ("الخبز الذي سأعطيه انا هو جسدي ابذله ليحيا العالم") ما يشير مباشرة الى تأسيس الافخارستيا؟ ان صمت يوحنا واقع يجب ان نفسره بفطنة. فيوحنا يعرف ولا شك رواية التأسيس؛ وهو يعكس مفرداتها في رواية تكثير الخبزات في الفصل ٦.

ولشرح هذا الصمت، قُدمت نظرية مغرية يكون يوحنا بموجبها، قد أورد عوضها، عن قصد، رتبة تغسيل الارجل التي بدت له معبّرة بالكامل عن معنى الافخارستيا. وفي الواقع، هناك بين الروايتين تشابهات مدهشة. فالرتبتان تجريان في غضون عشاء يسوع الاخير، بحضور فريق التلاميذ المحدود. والروايتان كلتاهما تكوّنتا انطلاقاً من رتبة (حركة على الخبز والخمر، غسل الارجل) ترافقها كلمات تفسيرية. وفي الحالتين، هناك دعوة الى تكرار الرتبة (لوقا ١٩:٢٢؛ يوحنا ١٥:١٣). ولو قارّنا بين لوقا ويوحنا، نلاحظ ايضاً ان خيانة يهوذا تحتل المكان ذاته في الروايتين: بعد تأسيس الافخارستيا (لوقا ٢١:٢٢-٢٣) وبعد تغسيل الارجل (يوحنا ٢١:١٣-٣٠). والانذار الموجه لبطرس، في لوقا ٣١:٢٢، يشبه الى حد ما ممانعة بطرس من تغسيل قدميه. واخيراً، نجد موضوع الخدمة حاضراً جداً في لوقا كما في يوحنا (لوقا ٢٤:٢٢-٢٧ ويوحنا ١٣:١٣-١٦).

بوسعنا، اذن، ان نحاول تفسير وجهة نظر يوحنا: انه يعرف رواية تأسيس الافخارستيا، وهو يشهد ممارستها في جماعته منذ سنين طويلة. إلا انه يتمنى ان يُفهم قرّاءَه المعنى العميق الذي ينطوي على هذه الرتبة. ولذا روى مشهد تغسيل الارجل بصفته استباقاً نبوياً لموت يسوع القريب: "احب خاصته، وبلغ به الحب لهم الى اقصى حدوده" (يوحنا ١:١٣). وتغسيل الارجل حركة رمزية، جسّد فيها يسوع، مسبقاً، مروره بالموت، بصفته علامة الحب للبشر، في الامانة لأبيه. وهذا ما يجب ان يستمر ذكره. وإذ يكرر المؤمنون الرتبة الافخارستية، يصبحون متضامنين مع المعلم، ويغامرون في حبه الكامل لخدمة البشر.

ب. الإنباء بالخيانة (١٣:٢١-٣٠)

٢١ قالَ يسوعُ هذا فاضطَرَبَت نَفْسُه فأعلَنَ قال: "الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: إِنَ واحِداً مِنكُم سَيُسلِمُني".
٢٢ فنَظَرَ التَلاميذُ بَعضُهُم إِلى بَعضٍ حائرينَ لا يَدرونَ على مَن يَتكلَّم.
٢٣ وكانَ أَحدُ تَلاميذه، وهُو الَّذي أَحبَّه يسوع، مُتَّكئاً إِلى جانبِ يسوع،
٢٤ فأَومَأَ لَه سمْعانُ بُطرس وقالَ له: "سَلْهُ على مَن يَتَكَلَّم".
٢٥ فمالَ دونَ تَكَلُّف على صَدرِ يسوعَ وقالَ له: "يا ربّ، مَنْ هو؟".
٢٦ فأَجابَ يسوع: "هو الَّذي أُناوِلُه اللُّقمَةَ الَّتي أَغمِسُها". فَغَمَس اللُّقمَةَ ورَفَعَها وناوَلَها يَهوذا بْنَ سمْعانَ الإِسخَريوطيّ.
٢٧ فما إِن أَخَذَ اللُّقمَةَ حَتَّى دَخَلَ فيه الشَّيطان. فقالَ له يسوع: "إِفعَلْ ما أَنتَ فاعِلٌ وعَجِّل".
٢٨ فلَم يَعلَمْ أَحَدٌ مِنَ الَّذينَ عَلى الطَّعام لماذا قالَ له ذلك،
٢٩ ولَمَّا كانَ صُندوقُ الدَّراهِمِ مع يَهوذا، ظَنَّ بَعضُهم أَنَّ يسوعَ قالَ له: اِشتَرِ ما نَحتاجُ إِلَيه للعيد، أَو أَمَرَهُ بأَن يُعطيَ الفُقَراءَ شَيئاً.
٣٠ فَتَناوَلَ اللُّقمَةَ إِذاً وخرَجَ مِن وَقتِه، وكانَ قد أَظلَمَ اللَّيل.

هذه الحركة النبوية، تبعتها كلمة نبوية تتعلق بخيانة يهوذا. و"اضطراب" يسوع (آ ٢١) مرتبط بالخيانة وبما تكشفه من سلطان الشيطان. وان مشهد اضطراب التلاميذ مشهود له ايضاً في الاناجيل الازائية؛ إلا ان يوحنا وصفها بشكل اكثر حيوية، إذ شخّص المشاركين في المشهد: بطرس، يهوذا و"التلميذ الذي يحبه يسوع". وهذا التلميذ يظهر، لدى يوحنا، للمرة الاولى، في علاقة حميمة مع يسوع (حرفياً: "هو الذي كان منطرحاً في حضن يسوع"، وذلك تكرار للصيغة التي وصفت علاقة يسوع بالآب، راجع ١:١٨).

اما مرور بطرس عبر التلميذ الذي يحبه يسوع، فقد يعني، لاول وهلة، قرباً جغرافياً. إلا ان انجيل يوحنا يدعونا الى قراءة اكثر رمزية: سيترتب على بطرس مراراً ان يمرّ عبر التلميذ الذي يحبه يسوع (اربع مرات من اصل خمس مرات ورد فيها ذكر التلميذ: ١٨:١٥؛ ٢٠:٣؛ ٢١:٧). فيهوذا والتلميذ الذي يحبه يسوع يعكسان شكلين متضادين من التعامل مع يسوع: الاول يخونه دون ندم، ودون ان يقول كلمة. وما حركة يسوع سوى علامة حب وتقدير كان المضيِّف يحفظها لضيوف الشرف. غير ان القبول المتسم بالرياء لهذه الحركة تعني ان يهوذا اختار جانب الشيطان اكثر من اختياره جانب يسوع (آ ٢٧). وهكذا يغوص في "الليل" (آ ٣٠)، أي تلك الليلة التي أنبأ يسوع بمجيئها (٩:٤)؛ في حين ان التلميذ الثاني يرافقه في موته، من دون اية شروط، مجسِّداً صورة التلميذ الحقيقي (١٩:٢٦). وبطرس، بين الاثنين، يخون ولكنه يندم.

الجزء الثاني:

الخطابات الاخيرة

(١٣:٣١-١٧:٢٦)

أ. مقدمة الخطاب [١٣:٣١-٣٨]

ب. خطاب الوداع الاول [١٤:١-٣١]

ج. خطاب الوداع الثاني [١٥:١-١٦:٣٣]

١. الكرمة والاغصان [١٥:١-١٧]

٢. حقد العالم [١٥:١٨-١٦:٤]

٣. الروح شاهد ليسوع [١٦:٥-١٥]

٤. التلاميذ في الفرح [١٦:١٦-٣٣]

د. صلاة يسوع من اجل احبائه [١٧:١-٢٦]

الجزء الثاني: الخطابات الاخيرة (١٣:٣١-١٧:٢٦)

أ. مقدمة الخطاب (١٣:٣١-٣٨)

٣١ فلَمَّا خَرَجَ قالَ يسوع: "الآنَ مُجِّدَ ابنُ الإنسان ومُجِّدَ اللهُ فيه وإذا كانَ اللهُ قد مُجِّدَ فيه
٣٢ فسَيُمَجِّدُه اللهُ في ذاته وبَعدَ قليلٍ يُمَجِّدُه.
٣٣ يا بَنيَّ، لَستُ باقياً مَعَكُم إلاَّ وَقْتاً قليلاً فستَطلُبونني وما قُلتُه لليَهود أَقولُه الآنَ لَكُم أَيضاً: حَيثُ أَنا ذاهب لا تَستَطيعونَ أَن تَأتوا.
٣٤ أُعْطيكم وَصِيَّةً جَديدَة: أَحِبُّوا بَعضُكم بَعضاً. كما أَحبَبْتُكم أَحِبُّوا أَنتُم أَيضاً بَعضُكم بَعْضاً.
٣٥ إذا أَحَبَّ بَعضُكُم بَعضاً عَرَفَ النَّاسُ جَميعاً أَنَّكُم تَلاميذي".
٣٦ فقالَ له سمعانُ بُطرُس: "يا ربّ، إلى أَينَ تَذهَب؟" أَجابَ يسوع: "إلى حَيثُ أَنا ذاهبٌ لا تَستَطيعُ الآنَ أَن تَتبَعَني، ولكن ستَتبَعُني بَعدَ حين".
٣٧ قالَ له بُطرُس: "لِماذا لا أَستَطيعُ أَن أَتبَعَكَ الآن؟ لأَبذِلَنَّ نَفْسي في سَبيلِكَ".
٣٨ أَجابَ يسوع: "أَتبذِلُ نَفْسَكَ في سبيلي؟ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكَ: لا يَصيحُ الدِّيكُ إلاَّ وقَد أَنكَرتَني ثَلاثَ مَرَّات.

اعلان الرحيل (١٣:٣١-٣٥)

مجد الابن (١٣:٣١-٣٢)

كان خروج الخائن قد ترك يسوع مع "ابنائه الصغار" (آ ٣٣). وعبارة "الآن" لا تُفسَّر فقط بمغادرة يهوذا وبلوغ الساعة المرتبطة بخيانته. فساعة يسوع تعني تمجيده (١٢:٢٣): على الصليب سيُرفع ويمجَّد. في هاتين الآيتين وحدهما (آ ٣٢، ٣٣)، استُخدم فعل "مجّد" خمس مرات (اربع مرات في بعض المخطوطات). في ثلاث مرات منها، يُعرَض التمجيد بصيغة الماضي الحاضر —وهي صيغة يونانية للتعبير عن الآنية. والهدف ولا شك هو الاشارة بوجه عام الى مسيرة يسوع التاريخية التي تجد ذروتها في

الآلام. اما صيغة المستقبل المستخدمة مرتين، فتحيل الى عودة الابن الى ابيه، وقد تشير في الوقت ذاته الى تمجيده في الازمنة الاخيرة. وإذا كان لقب يسوع "ابن الانسان" قد استُخدم خصوصاً في القسم الاول من الانجيل، إلا انه هنا، يجمع بين مجد ابن الانسان وآلامه.

رحيل ووصية أخيرة (آ ٣٣-٣٥)

يكرر يسوع، الى حد ما، من اجل تلاميذه، اعلاناً سبق ان اطلقه مرتين باتجاه اليهود: "حيث يمضي، لا يستطيعون الذهاب" (انظر ٧:٣٣-٣٤؛ ٨:٢١). إلا ان السياق مختلف: فبالنسبة الى اليهود، يبدو هذا الانفصال بمثابة قطيعة حاسمة، بسبب خطيئتهم. اما بالنسبة الى التلاميذ، فان غيابه الذي لا بد منه -بسبب رحيله نحو الآب- هو مؤقت (قال يسوع لبطرس: "ستتبعني فيما بعد"، آ ٣٦). فضلاً عن ان هذا الغياب ترافقه كلمة ودّية ("يا بَنيّ") هي، في الوقت ذاته، كلمة وداع وبرنامج عمل، كما هي الحال في العشاءات الوداعية لدى الاقدمين.

فالمقصود هو "ان يحبوا بعضهم بعضاً" **كما** احبهم يسوع. ويمكننا ان نقول عن هذا الحب:

- يجب ان يكون **حارًّا** ("يسوع احب حتى اقصى الحدود"، آ ١).

- أن يتوجه في المقدمة نحو **الاخوة المؤمنين**؛ وتجب الاشارة الى ان يسوع الذي احب، يعرض على التلاميذ حباً متبادلاً لا يكون موجهاً اليه كما يخيل الينا ("كما احببتكم، احبوني")، وانما بشكل افقي باتجاه التلاميذ؛

- أن يتأصل في **حب الابن للبشر**، وبالتالي ان يكون حباً الهياً يكشف عن علاقة الحب القائمة بين الله الآب وابنه، وقد عاشها يسوع في حياته وفي مواجهته للموت؛

- أن يكون حباً **يكشف عن يسوع** الذي يستمر بهذا الشكل على مناشدة البشر، حتى بعد رحيله ("بهذا يعرفون انكم تلاميذي").

فنحن بصدد وصية **"جديدة"**. وهذه الجدّة ليست زمنية، كما حين نتحدث عن أحداث جديدة. انها جدة في نوعيتها، إذ تتم العهد **الجديد** (ارميا ٣١:٣١). وهي التي يتكلم عنها لوقا (٢٢:٢٠).

رد فعل وخيانة (٣٦-٣٨)

ويجد بطرس ذاته في دور التلميذ المتحمّس جداً، والمدعو، كما في ١٣:٧، إلى الانتظار "فيما بعد"، أي حتى زمن الفهم وزمن عبوره هو ذاته. فان عبارة "فيما بعد" تعني بان موت يسوع فريد، وان عليه ان يُتمه في عزلة رسالته بصفته ابن الآب. وبعد موت يسوع، سيتلقى بطرس الروح الذي سيمنحه القوة لاتّباع يسوع، بصفة تلميذ وراع للقطيع في آن واحد (راجع ٢١:١٥-١٩). وكما ان الحب والموت مرتبطان هنا، سيتوجب على بطرس، في الفصل ٢١، ان يجاهر بحبه قبل أن تُعهد اليه مجددًا مهمة الراعي، وقبل ان يصبح، وجهاً لوجه، وبطريقة نبوية، قبالة موته المقبل (٢١:١٩).

عشاء يسوع الاخير: عشاء فصحي ام لا؟

احدى الفروقات الكبرى بين يوحنا والازائيين تتعلق بعشاء يسوع الاخير. هل كان هذا العشاء فصحياً كما يقول الازائيون، ام كان مجرد عشاء وداعي، عشية عيد الفصح، كما يقول يوحنا؟

لقد شدد الازائيون، ولمرات عديدة، على الطابع الفصحي للعشاء الاخير. ففي مرقس ١٤:١٢-١٦، من الواضح ان الاعدادات كانت تخص الفصح: وتتكرر الكلمة اربع مرات. انه اليوم "الذي فيه يذبح الفصح". وكان يسوع قد كلّف التلاميذ ان يجدوا الغرفة التي فيها "سيأكلون الفصح" معه ... والمفسّر جيرمياس سجّل ١٤ دليلاً على ان عشاء يسوع الاخير هو عشاء فصحي.

ومع ذلك، هناك اعتراضات هامة تنتصب: لقد أُشير الى اقتضاب الرواية الازائية بشأن الفصح، والى الصمت المدهش عن الحمل الفصحي، والى الانتهاكات الصارخة لقوانين السبت التي يفرزها هذا التوقيت ابان الآلام.

من المحتمل ان يكون يوحنا قد احتفظ بالذكرى التاريخية الحقة عن عشاء يسوع الاخير. انه يحدّد اعتقال يسوع في الليلة التي تسبق بدء الفصح. وفي الوقت الذي تم فيه مثول يسوع امام بيلاطس، "لم يدخل اليهود دار الحاكم مخافة ان يتنجسوا فلا يتمكنوا من أكل الفصح" (يوحنا ١٨:٢٨). ويُنزَل يسوع بسرعة من على الصليب تجنباً لبقاء الاجساد على الصليب يوم السبت –لان ذاك السبت كان يوماً مكرماً (يوحنا ١٩:٣١).

وانطلقت الجدالات مجددا مع نظرية آني جوبير التي اعتقدت ان بوسعها التوفيق بين الازائيين ويوحنا. وفي رأيها ان يسوع احتفل بالفصح وفق طقس الاسيّنيين الذي كان يعتمد تقويماً شمسياً. وبموجب هذا التقويم، كان يتم الفصح كل سنة، يوم اربعاء، وهكذا يكون يسوع قد استطاع ان يأكل الحمل الفصحي (ولكن بحسب الطقس الاسّيني، وفي ليلة الثلاثاء على الاربعاء). ويكون قد اعتُقل مساء الثلاثاء، وصُلب في آخر النهار من الفصح اليهودي الرسمي، أي الجمعة مساء. هذه النظرية، استمالت المفسرين كثيراً بادئ بدء، إذ بدت وكأنها حلّت كل الصعوبات، باعطاء الحق لكل الانجيليين! لقد أكل يسوع الفصح ولا شك قبل موته، كما يؤكد ذلك الازائيون، ولكنه الفصح الاسّيني. ومن جهة اخرى، مات يسوع ولا شك عشية الفصح، كما يقول يوحنا، ونجدنا ازاء الفصح الرسمي. هذه النظرية، كانت مدعومة بتقاليد من الكنيسة الاولى تحدثت عن عشاء فصحي مساء الثلاثاء وعن صوم يومي الاربعاء والجمعة (الديداسكالية، مؤلّف من القرن ٣).

ان العائق الاكبر الذي لا يمكن تجاوزه، في نظرنا، يأتي من الاناجيل ذاتها التي لا تسمح البتة بالقول بان يسوع كان منتمياً الى تيار يهودي هامشي. فيسوع اندمج كلياً في الدين اليهودي الرسمي، حتى وإن تصرّف بصفة مصلح ذي نظرة نقدية (طرد الباعة من الهيكل على سبيل المثال). كما انه واظب على المجامع (يوحنا ٦:٥٩؛ ١٨:٢٠ "اني علّمت دائماً في المجمع والهيكل"). لذا يجب ان نختار ما بين قراءة يوحنا وقراءة الازائيين. والمؤرخون الذين، طيلة فترة من الزمن، كانوا من جانب الازائيين، اخذوا اليوم يميلون الى تفضيل قراءة يوحنا للاحداث. ذلك ان يوحنا احتفظ بدقة بذكرى طبيعة عشاء يسوع الاخير، وبموجبه، يكون هذا العشاء عشاء وداع جرى في اجواء الفصح. والمسيحيون، بعد القيامة، ادركوا ان التحرير الذي يجسده الاحتفال الفصحي، قد تحقق بشكل جديد، في موت يسوع وقيامته. لذا كان من الطبيعي جداً ان يجعلوا من عشاء يسوع الاخير عشاء يحل محل العشاء الفصحي بحسب التقليد اليهودي.

ب. خطاب الوداع الأول (١٤:١-١٣)

الفصل الرابع عشر مبني حول موضوع **رحلة** (وبمفردات "رحل"، "ذهب"، "عاد"، "طريق") الابن نحو الآب، وحول دوره الفريد الذي يؤهّله لأن يقود تلاميذه نحو

الآب. ويشدد هذا الفصل برمته على المغادرة القريبة، ولا سيما على الضرورة القصوى في ادراك الكشف الأسمى بشأن يسوع ("اني معكم منذ وقت طويل، ولا تعرفني يا فيلبس؟" آ ٩)، وفي بقاء يسوع مع التلاميذ ("لن أدَعَكم يتامى؟ آ ١٨)، خلافاً لوضع العالم ("بعد قليل لن يراني العالم"، آ ١٩). وهكذا نكتشف وحدة في هذا الفصل، لا في الموضوع حسب، بل ايضاً في المؤشرات الادبية، وبالاخص من خلال "التطويق" الذي تتسم به الرواية:

لا تضطرب قلوبكم (آ ١)
اني ذاهب لأعدّ لكم مقاماً (آ ٢)
لا تضطرب قلوبكم (آ ٢٧)
انا ذاهب ثم أرجع اليكم (آ ٢٨)

هذا الفصل يفسح المجال لظهور دوافع خطاب الوداع العديدة: هبة السلام الوداعي (آ ٢٧)، المناشدة على الامانة في الايمان (آ ١، ١٠، ٢٩)، الوعود العديدة في زمن الغياب، وبنوع خاص عطية الروح (آ ١٦) من اجل الكنيسة والاعمال التي بوسعها ان تقوم بها، ومن ثم السعادة مع يسوع لدى الآب في منتهى الزمن (آ ٣). وتجدر الاشارة الى ان بنية هذا الفصل ليست في منتهى الوضوح. ونلاحظ التدخل الثلاثي لتوما (آ ٥)، وفيلبس (آ ٨)، ويهوذا (آ ٢٢)، والذي يضفي بعض الحيوية على الرواية المجردة الى حد ما، ويسمح، عبر اسلوب سوء التفاهم، بأن يتعمق الكشف الذي يتسم بالكريستولوجيا الصاعدة. فمن بين التقسيمات الممكنة لهذا الفصل، نتبنى:

أ) طروحات الايمان (آ ١-١٤): ان **نؤمن** بيسوع (يظهر فعل "آمن" ٦ مرات)،

ب) طروحات الحب (آ ١٥-٢٤): ان **نحب** (نجد فعل "احب" ١٠ مرات).

أن نؤمن بيسوع (آ ١-١٤)

١٤ ١ **لا تَضطَرِبْ قُلوبُكم. إنَّكم تُؤمنونَ بالله فآمنوا بي أيضاً.**
٢ **في بَيت أبي مَنازلُ كثيرة ولَو لَم تَكُنْ، أَتُراني قُلتُ لَكم إنِّي ذاهبٌ لأُعدَّ لَكُم مُقاماً؟**
٣ **وإِذا ذَهَبتُ وأَعددتُ لَكُم مُقاماً أَرجعُ فآخُذُكم إِلَيَّ لِتَكونوا أَنتُم أَيضاً حَيثُ أَنا أَكون.**

٤ أَنتُم تَعرِفونَ الطَّريقَ إِلى حَيثُ أَنا ذاهِب".

٥ قالَ له توما: "يا ربّ، إِنَّنا لا نَعرِفُ إِلى أَينَ تَذهَب، فكَيفَ نَعرِفُ الطَّريق؟"
٦ قالَ له يسوع: "أَنا الطَّريقُ والحَقُّ والحَياة. لا يَمْضي أَحَدٌ إِلى الآب إِلاَّ بي.
٧ فلَو كُنتُم تَعرِفونِي لَعَرفتُم أَبي أَيضاً. مُنذُ الآنَ تَعرِفونَه وقَد رأَيتُموه".

٨ قالَ له فيلبُّس: "يا ربّ، أَرِنا الآبَ وحَسْبُنا".
٩ قالَ له يسوع: "إِنِّي معَكم مُنذُ وَقتٍ طَويل، أَفلا تَعرِفُني، يا فيلبُّس؟ مَن رآني رأَى الآب. فكَيفَ تَقول: أَرِنا الآب؟

١٠ أَلا تُؤمِنُ بأَنِّي في الآب وأَنَّ الآبَ فيَّ؟ إِنَّ الكَلامَ الَّذي أَقولُه لكم لا أَقولُه مِن عِندي بلِ الآبُ المُقيمُ فيَّ يَعمَلُ أَعمالَه.
١١ صَدِّقوني: إِنِّي في الآب وإِنَّ الآبَ فيَّ وإِذا كُنتُم لا تُصَدِّقوني فصَدِّقوا مِن أَجْلِ تِلكَ الأَعمال.
١٢ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: مَن آمَنَ بي يَعمَلُ هو أَيضاً الأَعمالَ الَّتي أَعمَلُها أَنا بل يَعمَلُ أَعظَمَ مِنها لأَنِّي ذاهِبٌ إِلى الآب

١٣ فكُلَّ شيءٍ سأَلتُم باسْمي أَعمَلُه لكَي يُمَجَّدَ الآبُ في الابْن.
١٤ إِذا سَأَلتُموني شَيئاً باسمي، فإِنِّي أَعمَلُه.

المغادرة لاعداد مكان (آ١-٣)

على مثال يسوع ازاء موته القريب (١٢:٢٧)، هوذا التلاميذ ايضاً معرّضون للاضطراب ازاء موت يسوع وغيابه. والايمان، بحسب اللغة السامية، يعني منح الثقة لكلام شخص، والالتزام من اجل كلامه. انها الثقة ذاتها التي يطالب يسوع بها التلاميذ، على مثال ثقتهم بالآب: لذا لن يكون رحيل يسوع نحو الآب تخلياً عن التلاميذ: انه يشاء ان يشركهم في مصيره بالذات، فهو يذهب ليعد لهم مكاناً في بيت الآب.

اما موضوع "المنازل الكثيرة" في السماء، فذلك مشهود له في كثير من المؤلفات المنحولة. ويتخذ يوحنا ولا شك لغة مألوفة كي يعبّر بها عن عالم ما فوق، ولكنه يُنَصِّرها حين يتحدّث عن "بيت ابي". فضلاً عن انه لا يتحدث عن اختلاف نوعي، وفقاً للاستحقاقات، وانما عن امكانية استقبال تلاميذ مختلفين (الحاضرين والمقبلين).

ان سكنى التلاميذ مع يسوع، بحسب ١٢:٢٦ و١٧:٢٤، سبق أنْ بدأت: انها ممكنة بسبب ارتفاع يسوع. ولا يصف لنا يوحنا "كيفية" هذه الشركة مع الابن. انها تبدأ في حياة المؤمن، منذ القيامة، وتكتمل كلياً في لحظة الموت.

اعتراض توما: يسوع هو الطريق (١٤-٧)

ويتحول الخطاب من "الرحلة" الى "الطريق". ذلك لان اعتراض توما يفسح المجال ليقوم يسوع بقفزة نوعية في الكشف. فهو لا يجيب مباشرة عن السؤال "إلى اين تمضي؟"، بل يركّز كشفه على شخصه بالذات: ذلك ان عبارة "انا هو" "***Egô eimi***"، حتى وإن استخدمت بمعنى نسبي -كما هي الحال هنا- إلا انها توجه الرواية نحو يسوع. وهوذا يسوع يصف ذاته عبر ثلاث مفردات. وتستحق صيغة الجواب ان تدرس بالتفصيل لادراك معناها:

أ) انا

ب) **الطريق** والحق والحياة؛

ب") **لا يمضي** احد الى الآب

أ") إلاّ بي

توضح الموازاة بين المفردات بان موضوع الطريق مركزي. هوذا يسوع يستخدم، لوصف دوره، استعارة الطريق. فللذهاب الى الآب -وهو حق وحياة- يجب المرور بيسوع. وبوسعنا ان نقولها بألفاظ اقل ايجازاً من الالفاظ التي استخدمها يسوع: "بما ان يسوع يكشف عن الحقيقة التي تقود الى الحياة، وبما انه يمنح الحياة الحقة للذي يقبل هذه الحقيقة في الايمان ويطبقها، فهو بالتالي يقود المؤمن به الى غاية وجوده، الى الآب، وهكذا يصبح يسوع طريقاً" (شناكنبورغ).

لا يمكن للاستعارات أن تُحمَّل اكثر من قدرتها. فكما، في الخبرة الانسانية، يجب الفصل بين "الطريق" وبين "الغاية" من الطريق، كذلك تسمح الاستعارة هنا بالقول ان اختيار يسوع بصفته طريقاً، يعني -بالنسبة لنا نحن الذين على الارض بمثابة رُحَّل- ان نكون **منذ الآن** (آ ٧) من جانب الحياة والحق. فلا يكفي ان نقول بأن لا احد يذهب الى الآب من دون المرور بيسوع، بل ان من يمر بيسوع، هو مسبقاً في الآب.

اعتراض فيلبس: يسوع والآب (آ ٨-١٤)

يُعبّر اعتراض فيلبس عن صعوبة تلقي الكشف. ففيلبس الذي، في ٦:٧، عبّر عن مخاوفه ازاء النقص في الخبز، بدا **غير راضٍ** ازاء الكاشف (آ ٨). ولكنه في الوقت ذاته، طرح على يسوع السؤال الذي يؤسس مجيئه بين البشر: أرنا الآب. فهو، على مثال موسى في سيناء، عطشان الى رؤية مجد الله (خروج ٣٣:١٨).

هل ينبغي ان نرى، في هذا الطلب، فضحاً للتيارات الغنوصية التي كانت تبحث عن صلة مباشرة مع الالوهية، دون المرور بيسوع؟ وفيلبس، ومعه كل المؤمنين، مدعوون الى التخلي عن الاختبارات المباشرة لله. ذلك اننا نلتقي بالآب عبر الايمان بيسوع والاصغاء الى كلامه. وهذه الالفة بين الآب والابن، سبق أن شُدِّدَ عليها في ١٠:٣٨. وفيلبس مدعو الى ان **يؤمن**، اعني الى ان يرى، في الانسان يسوع، تجلّي الآب بين البشر.

وكما ان اعمال يسوع واقواله هي اعمال الآب واقواله، فسيعمل المؤمن اعمالاً اكبر من اعمال يسوع، ويحصل منه على ما يطلبه: ذلك ان الايمان ذاته بيسوع، يمنح المؤمنين قدرة اكبر من قدرة الابن على العمل، ويضمن لهم استجابة الابن الفعالة لهم (قارن مع مرقس ١١:٢٠-٢٥). ولا ينبغي لهذه القدرة على العمل ان تُفسَّر وكأنها القدرة على القيام بآيات اعظم من الآيات اليوحنانية الكبرى، من مثل شفاء الاعمى او احياء لعازر، وانما أن تبلغ بالآيات المعلنة في الانجيل الى ذروتها، حين "تُمنح الحياة الابدية للمؤمنين" (١٧:٢)، و"يُجمَع في الوحدة ابناء الله المشتتين" (١١:٥٢)، ويُغلَب العالم (١٦:٨-١١). وان ارتفاع يسوع وعودته الى الآب، سيجعلان هذه الآيات تصبح ممكنة. كما ان هذه الفاعلية ليست، في الواقع، عمل التلاميذ الخاص، بقدر ما هي عمل ذاك الذي يرسلهم. انهم "مرسَلون" من قبل يسوع، بمعنى "**شالياح**"، ذلك المرسَل في الجماعات اليهودية، الذي لم تكن لأقواله واعماله قيمة إلا بفضل سلطة المرسِل.

الالتزام بالحب (آ ١٥-٢٤)

١٥ **إذا كُنتُم تُحبُّوني، حَفظتُم وَصاياي.**
١٦ **وَأَنا سأَسأَلُ الآب فيَهَبُ لَكم مُؤَيِّداً آخَرَ يَكونُ معَكم للأَبَد**
١٧ **رُوحَ الحَقِّ الَّذي لا يَستَطيعُ العالَمُ أَن يَتَلَقَّاه لأَنَّه لا يَراهُ ولا يَعرِفُه. أَمَّا أَنتُم فتَعلَمون أَنَّه يُقيمُ عندكم ويَكونُ فيكم.**
١٨ **لن أَدَعَكم يَتامى، فإِنِّي أَرجعُ إِلَيكم.**

١٩ بَعدَ قَليلٍ لَن يَراني العالَم. أَمَّا أَنتُم فستَروني لأَنّي حَيٌّ ولأَنَّكُم أَنتُم أَيضاً سَتَحيَون.
٢٠ إِنَّكم في ذلك اليَومِ تَعرِفونَ أَنّي في أَبي وأَنَّكم فيَّ وأَنّي فيكُم.
٢١ مَن تَلَقّى وَصاياي وحَفِظَها فذاكَ الَّذي يُحِبُّني والَّذي يُحِبُّني يُحِبُّه أَبي وأَنا أَيضاً أُحِبُّه فأُظهِرُ لَهُ نَفْسي".
٢٢ قالَ له يَهوذا، غَيرُ الإِسخَريوطيّ: "يا ربّ، ما الأَمرُ حتَّى إِنَّكَ تُظهِرُ نَفْسَكَ لَنا ولا تُظهِرُها للعالَم؟"
٢٣ أَجابَه يسوعُ: "إِذا أَحَبَّني أَحَد حَفِظَ كَلامي فأَحَبَّه أَبي ونأتي إِلَيه فنَجعَلُ لَنا عندَه مُقاماً.
٢٤ ومَن لا يُحِبُّني لا يَحفَظُ كَلامي. والكَلِمَةُ الَّتي تَسمَعونَها لَيسَت كَلِمَتي بل كَلِمَةُ الآبِ الَّذي أَرسَلَني.

مجيء الفارقليط (آ ١٥-١٧)

كان موضوع الايمان بيسوع قد هيمن على القسم الاول من الفصل، بينما اصبح الآن الحب ليسوع (وهو موضوع استثنائي في أدب العهد الجديد) في المرتبة الاولى. ليس هناك ولا شك تضاد، في انجيل يوحنا، بين الايمان والحب: أليست الوصية **الوحيدة** هي "ان نؤمن بيسوع ونحب بعضنا بعضاً" (١ يوحنا ٣:٢٣). فأنْ نحب، يعني ان نكون امناء على الوصايا. ولقد وُضعت الوصايا والمحبة، وعلى ثلاث دفعات، في صلة وثيقة، في الآيات ١٥، ٢١، ٢٣؛ وفي كل مرة نجدنا ازاء حضور الهي موعود به.

- آ ١٥-١٧: الروح سيأتي ويسكن بين التلاميذ
- آ ١٨-٢١: يسوع سيأتي ويسكن بين احبائه
- آ ٢٣-٢٤: هو الآب الذي سيأتي مع يسوع

وهكذا، عبر هذا الذكر المثلّث للحضور الالهي بين التلاميذ، سيكون بوسع الكنيسة ان تعيش امانتها: حين تحبّ وتحفظ الوصايا.

ولن تكون هذه الامانة ممكنة إلا بموهبة "المدافع"، روح الحق. ونجد هنا اول ذكر للروح، من اصل خمس مرات يرد فيها ذكره في انجيل يوحنا. وسيكون فارقليطاً آخر (إذ ان يسوع، ابان حضوره الارضي، كان هو الاول). وعديدة هي مهمات الروح، في انجيل يوحنا: يعلّم، يذكّر (١٤:٢٦)، يشهد ليسوع (١٥:٢٦)، يغلب العالم (١٦:٨-١١).

"الروح" في انجيل يوحنا

لكي نفهم جيداً دور الروح في انجيل يوحنا، يترتب علينا ان نلقي نظرة، في العهد القديم، على الشخصيات الموهوبة التي كانت تأتي إثر شخص مهم لتواصل رسالته: يشوع يواصل عمل موسى، اليشاع في اثر ايليا، يسوع من بعد يوحنا المعمذان. وهكذا يبدو الروح، في انجيل يوحنا، وكأنه يلعب دوراً مماثلاً بالنسبة الى يسوع.

ينفرد يوحنا باستخدام لفظة "الفارقليط" للتعريف بالروح. انها صيغة المجهول لفعل *Parakaleo* (باراكاليئو): ذاك الذي يُنادى، ذاك الذي يأتي للنجدة، ذاك الذي يقوم بدور الشاهد في الدفاع (وقد ترجم في الليتورجيا بلفظة "المؤيد"، ابّان الدفاع في المحكمة، بمعنى "المدافع"). اما بالمعنى الايجابي، فهو الشفيع، الوسيط، المعزّي. ففي انجيل يوحنا، يبدو الفارقليط شاهداً ليسوع، ومفسّراً رسالته امام اعدائه، ولا سيما ابان الدعوى؛ وهو معزّي التلاميذ عوض يسوع وفي مكانه، كما انه بالنسبة للتلاميذ المعلّم والقائد وبالتالي المساعد. وفي ١ يوحنا ١:٢، يُقدَّم يسوع بصفته فارقليطاً، مدافعاً عن الخاطئ امام الله.

فمن خلال نصوص يوحنا عن الروح، بوسعنا ان نكتشف الملامح التالية: سيأتي الفارقليط من لدن الآب، لدى ذهاب يسوع (١٥:٢٦؛ ١٦:٧، ٨، ١٣)، وعلى طلبه (١٤:١٦، ٢٦). وهو يُدعى "فارقليطاً آخر" (١٤:١٦)، روح الحق (١٤:١٧؛ ١٥:٢٦؛ ١٦:١٣)، الروح القدس (١٤:٢٦). سيعرفه التلاميذ (١٤:١٧)؛ وسيكون فيهم ويقيم معهم (١٤:١٧)، معلّما اياهم كل شيء (١٤:٢٦)، وقائداً اياهم في طريق الحق (١٦:١٣). انه يأخذ من يسوع ليعطيه للتلاميذ (١٦:١٤)، وهو يمجّد يسوع (١٦:١٤)، مقدّماً شهادة عنه، ومذكّراً التلاميذ بكل ما قاله لهم (١٤:٢٦). فهو لن يقول شيئاً من عنده (١٦:١٣)، وانما ما سمعه فقط. لن يستطيع العالم ان يقبله (١٤:١٧)؛ لانه لا يراه ولا يعرفه (١٤:١٧). وسيؤدي الروح الشهادة ليسوع بوجه حقد العالم (١٥:٢٦). وهو الذي سيُخزي العالم بشأن الخطيئة والبر والدينونة (١٦:٨).

وتكمن الميزة الكبرى، في طرح يوحنا، في ان الفارقليط يبدو وكأنه يسوعَ آخر. انه سيأتي على مثال يسوع (٥:٤٣؛ ١٦:٢٨؛ ١٨:٣٧). وما دام هو فارقليط "آخر"، فلأن يسوع كان الفارقليط الاول. ذلك ان يسوع ايضاً هو روح الحق

(٦:١٤)، قدوس الله (٦٩:٦). ويلعب الروح، لدى التلاميذ، دورا قريبا جدا من دور يسوع: ذلك ان معرفة الروح ومعرفة يسوع محفوظتان للتلاميذ (٧:١٤، ٩). وعلى مثال الروح، يقيم يسوع في التلاميذ (٢٠:١٤، ٢٣؛ ١٥:٤، ٥؛ ١٧: ٢٣، ٢٦)، ويقودهم نحو الحقيقة (٦:١٤)، ويعلّمهم (٥٩:٦؛ ١٤:٧، ٢٨؛ ٢٠:٨)، ويعلن عن امور مقبلة (٢٥:٤-٢٦). وعلى مثاله، يشهد يسوع (١٤:٨)، ولكنه يُرفض (٤٣:٥؛ ٤٨:١٢). وعلى غرار يسوع (٧:٧) يشهد الروح ضد العالم.

وإذا كان الروح يُحيل الى يسوع، إلا انه يتكلم بلسان المسيحيين. انه ذلك الحضور الداخلي الذي يغيّرهم: فعلى مثال الروح، سيشهد المؤمنون (٢٧:١٥)، او بالاحرى، هو الروح الذي سيعمل بهم وفيهم.

عودة يسوع (آ ١٨-٢١)

هنا يتكلم يسوع عن حضوره الدائم وغير المنظور لدى جماعته بعد قيامته. ويكشف الالحاح على حفظ الوصايا، على الواقعية التي يتسم بها انجيل يوحنا: والدليل على حضوره، ليس امراً ذاتياً حسب، وانما يجب أن ينعكس في الممارسة.

مجيء الآب مع يسوع (آ ٢٢-٢٤)

اما سؤال يهوذا، فسيتيح ليسوع ان يوضح شروط مجيئه مع الآب وحضورهما المشترك لدى التلاميذ: حب الابن وحفظ الوصايا. ونفهم هنا لماذا يفصل الحب، في انجيل يوحنا، المؤمنين عن سائر الناس: انه علامة الانتماء الى الجماعة.

اقوال الخاتمة (آ ٢٥-٣١)

٢٥ قُلتُ لَكُم هذه الأَشياءَ وأَنا مُقيمٌ عِندكم

٢٦ ولكنَّ المُؤَيِّد، الرُّوحَ القُدُس الَّذي يُرسِلُه الآبُ بِاسمي هو يُعَلِّمُكم جَميعَ الأشياء ويُذَكِّرُكُم جَميعَ ما قُلتُه لَكم.

٢٧ السَّلامَ أَستَودِعُكُم وسَلامي أُعطيكم. لا أُعْطي أَنا كما يُعْطي العالَم. فلا تَضْطَرِبْ قُلوبُكم ولا تَفْزَعْ.

٢٨ سمعتمُوني أَقولُ لَكم: أَنا ذاهِبٌ، ثُمَّ أَرجعُ إِلَيكمُ. لو كُنتُم تُحِبُّوني لَفَرِحتُم بِأَنِّي ذاهِبٌ إِلى الآب لأَنَّ الآبَ أَعظَمُ مِنِّي.

٢٩ لقَد أَنبَأتُكم مُنذُ الآنَ بالأَمرِ قَبلَ حُدوثه حَتَّى إذا حَدَثَ تُؤمنون.
٣٠ لن أُطيلَ الكَلامَ عَلَيكُم بَعدَ ذلك لأَنَّ سيِّدَ هذا العالَم آت وَلَيسَ لَه يَدٌ عليَّ.
٣١ وما ذلكَ إلاَّ لِيَعرِفَ العالَمُ أَنِّي أُحِبُّ الآب وأَنِّي أَعمَلُ كمَّا أَوصاني الآب.
قوموا نَذْهَبْ من ههنا.

تبدو الكلمات الاولى من الآية ٢٥ وكأنها خاتمة: "قلت لكم هذه الاشياء". فيسوع يفتح الطريق امام خَلَفه، إذ ان الروح هو الذي سيعمّق التعليم الذي اعطاه يسوع طيلة رسالته (١٦:٧، ٢٨؛ ٢٨:٨)، كما سيجنّبهم النسيان. والآب الذي ارسل يسوع، سيُرسل الروح باسمه. هذا المقطع يمنح شرعية لانجيل يوحنا واسلوبه، إذ فيه يصبح فهمنا ليسوع اكثر تأصلاً وعمقاً وآنية.

كانت خطابات الوداع تُختم عادة بتحية السلام (١ صموئيل ١٧:١). وهنا يجعل منها يسوع **هبة**. ففي اللغة البيبلية، يعني "شالوم" السلام الاخروي (اشعيا ٧:٥٢). وهو يُمنح مع مجيء يسوع (مرقس ٣٤:٥)، وفي لحظة القيامة بنوع خاص (لوقا ٣٦:٢٤)؛ وهوذا يسوع هنا، يهب تلاميذه سلام الازمنة الاخيرة، وعلى مدى التاريخ، اية كانت المحن (٣٣:١٦).

والآية ٣١ هي مؤشر لخاتمة الخطاب ("قوموا نذهب من ههنا"). ومن المحتمل ان خاتمة الفصل هذه، في مرحلة اولى من الانجيل، كانت بمثابة نهاية خطاب يسوع الوداعي. فقبل الانشاء النهائي للانجيل، كان هذا هو الخطابَ الاخير ليسوع قبيل مسعاه تجاه تلاميذه في الجتسمانية (١٨:١-١٢). وهكذا تصبح الكلمة الاخيرة التي قالها ذات اهمية، لانها عبّرت للمرة الاولى (والاخيرة؟) عن ان يسوع **يحب** اباه، قبل ان يبرهن على ذلك بالفعل.

الآب اكبر منّي (٢٨آ)

لَكَم اثارت هذه العبارة من جدالات كريستولوجية كبرى لدى آباء الكنيسة. فالاريوسيون استخدموها لتبرير المقولة التي بموجبها يكون يسوع ادنى مرتبة من الآب. وفسّر عددٌ من آباء الكنيسة (اوريجانس، ترتليانس، اثناسيوس) هذا التأكيد بصفته علامة

على الاختلاف بين الوالد والمولود: الابن مولود، وليس الآب. وهناك آباء آخرون من امثال قورلس الاسكندري وامبروسيوس واوغسطينس شاءوا ان يعتبروا يسوع، بصفته انساناً متجسداً، اصغر من الآب: "الآب هو اكبر بما ان الكلمة صار بشراً" (اوغسطينس). الا انه يترتب علينا ان نفهم هذه العبارة في ضوء يوحنا ١٣:١٦، حيث يؤكد يسوع بان "لا رسول اعظم من مُرسله". فالآب هو اكبر، إذ ان كل شيء يأتي منه، وكل شيء يذهب اليه: وبالاخص ارسال الابن وتمجيده.

ج. خطاب الوداع الثاني (١٥:١-١٦:٣٣)

يثير هذان الفصلان عدداً من الصعوبات، بالمقارنة مع سائر الفصول ١٣-١٧. هل ينبغي، مع عدد من المفسرين، ان نحاول اكتشاف ترتيب معقول للفصول ١٤ و١٥ و١٦؟ المهمة عسيرة، وقد تبلغ بنا الى انجيل يُعاد بناؤه وفقاً لمنطق خاص بالمفسر. ونلاحظ ان للفصل ١٦ كثيراً من النقاط المشتركة مع الفصل١٤: ضرورة ذهاب يسوع، عودة يسوع القريبة نحو البشر، المجيء الفعال للروح، هبة السلام. فمن المحتمل ان الفصل ١٦ كان في الاصل قراءة مجددة للفصل ١٤.

اما الفصل ١٥، فقد تناول موضوعاً جديداً: فمن خلال استعارة الكرمة، نجدنا بازاء وضع الجماعة الخاص في غياب يسوع، وقد احتل المكانة الاولى. ونلمس هنا بوضوح طريقة تأليف الانجيل: خطابات ليسوع وضعت على حدا، في مرحلة اولى، ومن ثم أُعيد ادراجها، بفرصة "طبعات" لاحقة. اما وصايا يسوع الاخيرة، فقد اتخذت اتساعاً، بفعل قراءة قام بها الواعظون الاوائل.

١. الكرمة والاغصان (١٥:١-١٧)

ان التقسيم في الخطابات هو دوماً عرضة للاعتباط والتعثر، وخير دليل هو الاختلاف بين الاختصاصيين في التقسيم. لذا يجب اعتبار مخططنا بمثابة مقترح من بين مُقترحات اخرى. فالآيات ١-١٧ تشكل حلقة موحدة حول صورة الكرمة الاستعارية. وهناك تطويق يطبع بداية المقطع ونهايته، عبر فعل "يثمر" (آ ٢ وآ ١٦). وفيما تتوسع الآيات ١-٨ في الاستعارة ذاتها، نرى ان الآيات ٩-١٧ تطبقها على التلاميذ.

الكرمة والتلاميذ (١٥: ١-٨)

١٥ ١ **أنا الكَرمَةُ الحَقّ وأَبي هوَ الكَرّام.**
٢ **كُلُّ غُصنٍ فيَّ لا يُثمِر يَفصلُه. وكُلُّ غُصنٍ يثمِر يُقَضِّبُه لِيَكثُرَ ثَمَرُه.**
٣ **أَنتُمُ الآنَ أَطهار بِفَضْلِ الكَلامِ الَّذي قُلتُه لَكم.**
٤ **اُثبُتوا فيَّ وأَنا أَثبُتُ فيكم. وكما أَنَّ الغُصنَ، إِن لم يَثْبُتْ في الكَرمَة لا يَستَطيعُ أَن يُثمِرَ مِن نَفْسِه، فكذلكَ لا تَستَطيعونَ أَنتُم أَن تُثمِروا إِن لم تَثبُتوا فيَّ.**
٥ **أَنا الكَرْمَةُ وأَنتُمُ الأَغصان. فمَن ثَبَتَ فيَّ وثَبَتُّ فيه فَذاكَ الَّذي يُثمِرُ ثَمَراً كثيراً لأَنَّكُم، بِمَعزِلٍ عَنِّي لا تَستَطيعونَ أَن تَعمَلوا شيئاً.**
٦ **مَن لا يَثْبُتْ فيَّ يُلْقَ كالغُصنِ إِلى الخارِجِ فَيَيْبَس فيَجمَعونَ الأَغْصان ويُلْقونَها في النَّارِ فَتَشتَعِل.**
٧ **إِذا ثَبَتُّم فيَّ وثَبَتَ كَلامي فيكُم فَاسأَلوا ما شئتُم يَكُنْ لَكم.**
٨ **أَلا إِنَّ ما يُمَجَّدُ بِه أَبي أَن تُثمِروا ثمراً كثيراً وتكونوا لي تلاميذ.**

يُفتتح خطاب يسوع بهذه الصيغة: "انا"! وتُكرَّر في الآية ٥. وكما هي الحال في الفصل ١٠، بشأن الراعي الصالح، لسنا بازاء تشبيه (إذ لا وجود لكلمة المقارنة "كما")؛ انها استعارة، أي صورة تُحوَّل فيها اللفظة (هنا الكرمة) من مجالها الطبيعي لتُستَخدَم، في الخطاب، في مجال آخر (وهنا هوية يسوع).

تتألف هذه الاستعارة، في جزء منها، من عناصر مألوفة لدى اليهود (الأب بصفته الكرّام)، ومن عناصر اخرى جديدة كتأكيد يسوع على انه "الكرمة الحقة". فمن النافل البحث عن ما يوازيها في العالم الغنوصي (وشاء بعضهم ان يروا فيها تلميحاً الى شجرة الحياة التي شُبّهت احياناً وكأنها كرمة). والافضل هو ان نعود الى الكتاب المقدس الذي يستخدم غالباً صورة الكرمة في الكلام عن اسرائيل (اشعيا ٥: ١-٧؛ ٢٧: ٢-٥؛ ارميا ٥: ١٠؛ ١٢: ١٠-١١).

إلا ان هذه الصورة المألوفة للسامعين، في انجيل يوحنا، تتجاوز الخلفية الكتابية: فيسوع هو الكرمة **الحق** (ونجد التعبير ذاته في ارميا ٢: ٢١ بحسب الترجمة السبعينية)، والاغصان تستمد حيويتها منه. فالذين لا يعطون ثمراً، يجب ان يُبعدوا. وفي سياق الليلة الاخيرة، ينتقل فكرنا طبيعياً الى يهوذا الذي ينتمي الى عالم الظلمات (١٣: ٢، ٢٧).

إلا ان بوسع الصيغة الجذرية (وهي تستبعد الاهتداء، كما في متى ٣:١٠) ان تنطبق ولا شك على مسيحيين من كنيسة يوحنا، كانوا قد قطعوا صلتهم مع الجماعة، من امثال المسحاء الدجالين "الذين لم يكونوا منّا" (١ يوحنا ٢:١٩).

وفي مقارنة بين الذي "لا يقيم في يسوع" وبين "الاغصان الملقاة في النار والمحترقة"، لا ينبغي ان نرى في ذلك وصفاً لجهنم وعقاباتها. ومع ذلك فان هذا الافق، يلفه التهديد، ويعكس ثنائية عنيفة بين التلاميذ الامناء وبين الذين انفصلوا عن يسوع. ويستخدم يوحنا، بالنسبة الى غير المؤمن، الصورة ذاتها التي استخدمها لوصف "سيد هذا العالم": "سيُطرح خارجاً" (١٢:٣١ و١٥:٦). لذا يترتب علينا ان نضع هذه المقاطع في اطار التيارات الثنائية التي تبنتها بعض الجماعات المسيحية الناشئة، وقد كانت تواجه ازمات داخلية. اما بالنسبة الى يومنا، فينبغي للقارئ ان يكون على وعي بالنتائج المحتومة التي تقوده اليها اختياراته. فالنداء الى التوبة يبقى دوماً حاضراً في طروحات الانجيل.

ان "يثمر" المرء، فذلك يعني، في نظر يوحنا، ان يكون تلميذاً، أي ان ينتمي الى يسوع، في الايمان والحب، عبر موقف من الاهتداء الدائم، وعبر حب يكون علامة للعالم، بنوعيته وقوّته. وتعود الآية ٣ لتدرج مأساة الليلة الاخيرة ملمِّحة الى التطهير (تغسيل الارجل) الذي تناوله الفصل ١٣.

اما الآيتان ٥-٦، فتستعيدان المقدمة في صيغة "تطويق". ولكن التركيز يذهب الآن في اتجاه البعد الكريستولوجي: "بمعزل عني، لا تستطيعون ان تعملوا شيئاً". وهكذا، بين فاتحة الرواية التي تحدثت عن "الكرمة الحق"، وبين هذا الحكم الحاسم، نستشف نبرات جدالية ضد اولئك (يهوداً كانوا ام مسيحيين) الذين بحثوا عن نبع الحياة خارجاً عن يسوع. اما بالنسبة الى المؤمن العصري الذي تتجاذبه طروحات كثيرة بشأن المعنى، فيجب ان تكون له هذه الكلمة بمثابة سفينة النجاة التي لا يتخلى عنها. فاذا كان يسوع حقاً كلمة الله الآتي لكي يَبلُغ بالكشف الى ذروته، فينبغي من ثم ان يبقى يسوع للمؤمن المَرجعَ الذي لا بديل له (من دون مطلقية او نبذ لأناس نزيهين قد ارتبطوا بتيارات دينية او انسانية اخرى).

التلاميذ او وصية المحبة (١٥:٩-١٧)

٩ كما أَحَبَّني الآب فكذلكَ أَحبَبْتُكم أَنا أَيضاً. أُثبُتوا في مَحَبَّتي.

١٠ **إذا حَفظتُم وَصاياي تَثبُتونَ في مَحَبَّتي كَما أَنّي حَفظتُ وَصايا أَبي وأَثبُتُ في مَحَبَّته.**
١١ **قُلتُ لَكم هذه الأشياءَ لِيَكونَ بِكُم فَرَحي فيَكونَ فَرحُكم تامّاً.**

١٢ **وصيَّتي هي: أَحبُّوا بَعضُكم بَعضاً كما أَحبَبتُكم.**
١٣ **لَيسَ لأَحَد حُبٌّ أَعظمُ من أَن يَبذلَ نَفسَه في سَبيلِ أَحبَّائه.**
١٤ **فَإن عَملتُم بِما أُوصيكم به كُنتُم أَحبَّائي.**
١٥ **لاَ أَدعوكم خَدَماً بعدَ اليَوم لأَنَّ الخادمَ لا يَعلَمُ ما يَعمَلُ سَيِّدُه. فَقَد دَعَوتُكم أَحبَّائي لأَنّي أَطلَعتُكم على كُلِّ ما سَمِعتُه من أَبي.**

١٦ **لم تَختاروني أَنتُم، بل أَنا اخترتُكم وأَقمتُكُم لِتَذهَبوا فَتُثمِروا ويَبْقى ثَمَرُكم فيُعطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ ما تَسأَلونَهُ باسمي.**
١٧ **ما أُوصيكُم به هوَ: أَحِبُّوا بَعضُكم بَعضاً.**

يتوجه القسم الثاني من الخطاب الى التلاميذ وحدهم، هم الذين قاموا بالخيار الجيد. ففي هذا المقطع، لا نجد سوى اصدقاء يسوع. وتتردد لفظة "حب" ١٢ مرة، فضلاً عن ان "التطويق" بلفظة "احبّ" (آ ٩-١٧)، فقد حوّطت الخطاب برمته ومنحته لوناً.

وهنا تصبح الاستعارة مجازاً. ذلك ان الصور تفسَّر بكلمات: فعل "يُثمر" يساوي "يحب". ففي الوقت الذي فيه يحب يسوع حتى النهاية (١٣:١)، نراه يدعو تلاميذه الى التجذّر في الحب عينه. والتبادل الذي هو شريعة الحب، يلعب، دوراً في هذا المقطع، بشكل مدهش: كما احبّني الاب، احببتكم... وكما احببتكم، احبوا **بعضكم بعضاً**. ففي هذه الحالة، سيتّجه العمل بالمقابل، والهبة بالتبادل —وتلك شريعة كل حب— نحو مُحاورٍ آخر غير الذي كان في اصل الهبة.

وكما ان جواب يسوع الى حب الآب موجّه نحو التلاميذ، هكذا يجب ان يصبح جواب التلاميذ الى حب يسوع لهم، مُنصبًّا على اخوتهم.

ان لفظة "كما" المكررة مرتين، هي في غاية الاهمية، إذ انها تعبّر عن السر الاكثر عمقاً من الكشف: فلسنا، بادئ بدء، بازاء تشبيه؛ وانما نحن، في الاساس، بازاء تجذّر وعمق. ذلك ان حب الاب وحب يسوع يُعبَّر عنه في التجسد ولا سيما في الموت حيث يبلغ ذروته ومعناه. وقد رأى بعضهم ان الالحاح على التبادل: الآب/يسوع،

يسوع/الجماعة، التلاميذ/التلاميذ، يبدو وكأنه وضع حدًّا للحب الذي لا حدود له، كما في متى ٥:٤٤، ٤٦: "اما انا فاقول لكم: احبوا اعداءكم... لتصيروا بني ابيكم الذي في السموات؛ فان احببتم من يحبكم فأي أجر لكم؟". غير ان يوحنا يتحدث هنا عن شيء آخر: عن ذلك الحب الحميم بين الآب والابن، والذي يُعبَّر عنه على الصليب (٣:١٦)، حبّ هو نموذج ومرجع للجماعة الجديدة: "اما نحن، فلنحبّ، لانه احبنا هو الاول" (١ يوحنا ٤:١٩). ففي هذا الجزء من الخطاب، لم يعد للتهديد بالعقاب مكان؛ إذ ان الخصوم اختفوا، ليفسحوا المجال للاصدقاء فقط، اولئك الذي أُختيروا، هم الذين سبقوا أنْ اختاروا.

هنا يعطي يسوع المقياس الذي به يعرف اصدقاءه: انهم اولئك الذين يصنعون ما يأمرهم به (آ ١٤)، أي اولئك الذي يحبون بعضهم بعضاً (آ ١٥-١٧). ويبقى الحب، في الانجيل، ما هو عليه في النصوص البيبلية: التزام واقعي، امانة في الاعمال. وهكذا تحوّل التلاميذ من خَدَم الى اصدقاء. فلقد اشركهم يسوع بأثمن ما لديه: معرفة الآب (١٧:٢٦) في ملئها (١٦:١٥). وبفضله، اصبحوا موضوع حب الآب (١٦:٢٧). لقد كان هذا القرب من الله حلم البشر، في كل زمان. ففي العهد القديم، كان بعض اصدقاء الله، من مثل ابراهيم، قد التقوا الله بصفته شخصاً قريباً. وعاش موسى ايضاً هذه الخبرة السرية؛ هو الذي "كان يهوه يكلمه وجهاً الى وجه، كما يكلّم المرء صديقه" (خروج ٣٣:١١)، فما لم يكن سوى امتياز يُمنح للبعض، اعطاه يسوع لكل الذين يرتضون ان يصبحوا تلاميذه.

هذا الحب، في الحقيقة، لا يمكنه ان يكون نتيجة قرار يتخذه المؤمن: ذلك ان يسوع هو الذي يختار اصدقاءه (٦:٧٠؛ ١٣:١٨). انها هبة مجانية، وليس على الانسان أن يكابر بها.

٢. بغض العالم (١٥:١٨-١٦:٤)

١٨ إذا أبغَضَكُمُ العالَمُ فَاعلَموا أَنَّه أَبغَضَني قَبلَ أَن يُبغِضَكم.
١٩ لَو كُنتُم مِنَ العالَمِ لأَحَبَّ العالَمُ ما كانَ لَه. وَلكِن، لأَنَّكم لَستُم مِنَ العالَمِ إِذ إِنِّي اختَرتُكم مِن بَينِ العالَمِ فلذلكَ يُبغِضُكُمُ العالَم.
٢٠ أُذكُروا الكَلامَ الَّذي قُلتُه لَكم: ما كانَ الخادِمُ أَعظَمَ مِن سَيِّدِه. إِذا اضطَهَدوني فسَيَضطَهِدونَكم أَيضاً. وإِذا حَفِظوا كلامي فسيَحفَظونَ كَلامَكم أَيضاً.
٢١ لا بَل سيَفعَلونَ ذلكَ كُلَّه بِكُم مِن أَجْلِ اسمي لأَنَّهم لا يَعرِفونَ الَّذي أَرسَلَني.

٢٢ لو لم آتِ وأُكَلِّمْهُم لَما كانَت عَليهِم خَطيئَة. ولكِن لا عُذْرَ لَهُمُ الآنَ مِن خَطيئَتِهِم.
٢٣ مَن أَبغَضَني أَبغَضَ أَبي أَيضاً.
٢٤ لو لم أَعمَلْ بَينَهم تلكَ الأَعمالَ الَّتي لم يَعمَلْها أَحَد لَما كانَت علَيهِم خَطيئَة أَمَّا الآنَ فقَد رأَوا وهُم معَ ذلك أَبغَضوني وأَبغَضوا أَبي أَيضاً.
٢٥ وما كانَ ذلك إلاَّ لتَتِمَّ الآيَةُ المَكتوبَةُ في شَريعتهم وهي: *أَبغَضوني بلا سَبَب*.
٢٦ ومَتى جاءَ المُؤَيِّدُ الَّذي أُرسِلُه إِلَيكُم مِن لَدُنِ الآب رُوحُ الحَقِّ المُنبَثِقُ مِنَ الآب فهُو يَشهَدُ لي
٢٧ وأَنتُم أَيضاً تَشهَدون لأَنَّكُم مَعي مُنذُ البَدْء.

١٦ ١ قُلتُ لَكم هذه الأَشياءَ لئَلاَّ تَعثُروا.
٢ سيَفصلونَكم منَ المَجامِع بل تأتي ساعةٌ يَظُنُّ فيها كُلُّ مَن يَقتُلُكم أَنَّهُ يُؤَدِّي لله عِبادة.
٣ وسَيَفعَلونَ ذلكَ لأَنَّهم لم يَعرِفوا أَبي، ولا عَرَفوني.
٤ وقد قُلتُ لَكم هذه الأَشْياءَ لتَذكُروا إذا أَتَت السَّاعَة أَنِّي قلتُها لَكم.
ولم أَقُلْها لَكم مُنذُ البَدْءِ لأَنِّي كُنتُ معَكم.

بُغض واضطهاد (آ ١٨-٢٥)

ان كلمة "بُغض" -وقد استخدمت ٧ مرات- تفتح هذه الوحدة وتُغلقها (آ ١٨، ٢٥). ويتعارض هذا المقطع مع المقطع الذي سبقه، كما يتعارض الظل مع النور. فالعالم يبغض المسيحيين للاسباب ذاتها التي من اجلها ابغض بها يسوع: انهم، على مثاله، ليسوا من "العالم" (انظر الاطار ادناه بصدد "العالم"). وبغض العالم تجاه التلاميذ ليس بغضاً عابراً: انه يتواصل، طالما ان هناك جزءاً من البشرية يرفض تلقّي رسالة يسوع. ويوحنا، على مدى انجيله، يضع تضاداً بين يسوع والعالم. فالعالم يبغضه، لان يسوع يشهد ضده (٧:٧). وهذا التضادّ متأت من عدم التوافق بين عالمين، عالم ما فوق وعالم من اسفل (٢٣:٨). وإذا كنا موضوع اختيار يسوع، فمعناه اننا انتُشلنا من عالم الظلمات. فالمؤمنون منذئذ، بصفتهم تلاميذ، ملتزمون بالحرب ذاتها التي شنها يسوع ضد العالم (١٤:١٧).

وسيكون للتلاميذ المصير عينه الذي كان للمعلم (١ يوحنا ١٣:٣). وتكرر الآية ٢٠ القول الوارد في ١٦:١٣، إبان تغسيل الارجل: فالتلميذ الذي دُعي الى الاقتداء

بالمعلم في غوصه في الموت، يتحتم عليه من ثم ان يمرّ بالاضطهادات. وهو سيتحمّلها (٢١:١٥) "من اجل يسوع"، المعلّم.

وهنا تظهر بوضوح ثنائية انجيل يوحنا التي قسمت العالم الى مملكتين لا تلتقيان: من جهة، مملكة النور والحب، المؤلفة من يسوع وتلاميذه؛ ومن الجهة الاخرى، عالم الشيطان الذي يسيطر عليه رئيس الظلمات، والمطبوع بالبغض والعنف. فبالنسبة الى الانجيلي، يصطف اليهود في زمانه، بمجملهم، في مملكة الظلمات، بينما تلاميذ يسوع هم ابناء النور (راجع ١ يوحنا ٤:٥-٦). ويبيّن الانجيلي "منطق" هذا البغض (وهو وراء من هم موضوعه) طالما انه يمس بالتتالي: الآب (٢٤:١٥)، والانسان التقي في العهد القديم ("انهم ابغضوني بلا سبب"، مزمور ٦٩:٥)، والمسيح (١٨:١٥)، والتلاميذ انفسهم (١٨:١٥-١٩).

يعكس هذا المقطع وضع اناس محاصَرين، هو وضع مسيحيين في نهاية القرن الاول. لقد نبذهم الجماعة اليهودية، اولاً؛ والعبارة القائلة "... في شريعتهم" (٢٥:١٥) تدلل، باجلى بيان، على القطيعة الحاسمة بين الجماعتين. كما ان العالم الوثني قد نبذهم هو الآخر. وتحمل مثل هذه الثنائية سمات زمن يوحنا والصراعات الدينية التي برزت فيه. واليوم ايضاً، يتعرض المؤمنون، في ايمانهم، للاضطهاد والسخرية. ولكن يجب ان نتعامل بحذر مع هذه الرؤية التشاؤمية للعالم وقيمه، إذ ان النور والظلمات تسكن معاً في قلب كلّ منا.

الفارقليط المدافع (٢٦:١٥-٢٧)

سنجد التوسّع في دور الفارقليط في ٥:١٦-١٥. اما هاتان الآيتان، فيرى بعضهم فيهما آثار تحوّل من مكانهما. وحيث هما الآن، يمكننا ان نقرأهما وكأنهما فسحة تنفّس جاءت لتلطّف مقطعاً قاتماً. ذلك ان على التلاميذ ان يعرفوا بانهم ليسوا لوحدهم ابان الاضطهادات: المدافع (المؤيد) سيكون الى جانبهم، هو روح الحق الذي يشهد ليسوع. وما دام التلاميذ سيحملون الشهادة ذاتها، فبوسعنا ان نستنتج بان بوسع الروح ان يحمل هذه الشهادة من خلال المؤمنين.

الاضطهاد (١٦:١-٤)

"قلت لكم هذه الاشياء": انها ردّة تتكرر مراراً في خطاب الوداع (١١:١٥؛ ١:١٦، ٦؛ ٢٥:١٦، ٣٣) لتضفي احتفالية على كلمات التوصيات الاخيرة، وتنبئ

"العالم" في انجيل يوحنا

حين يريد يوحنا ان يشير الى العالم، يستخدم اللفظة اليونانية *Kosmos* (كوسموس) التي تعني العالم المنظّم، بالتضاد مع الفوضى. ففي هذا العالم، يحتل الانسان مكانة هامة، إذ بواسطته يتواصل النظام الذي دُشّن لدى الخلقة. ويوسع عبارة "العالم" ان تعني ايضاً مجمل المجتمع البشري ("البشرية"). وهذا العالم الذي خُلق من اجل الانسان وبواسطة الانسان يستمر في النظام، هو ايضاً عالم افسدته الخطيئة ونال منه الشر. انه عالم "الظلمات" (يوحنا ١:٥).

يستخدم انجيل يوحنا اللفظة مع كل ما تحتويه من دقة. ففي القسم الاول منه، بنوع خاص (يوحنا ١-١٢)، يوصف العالم بصفته ذاك المجال الذي فيه يعلن الله عن حبه (١٦:٣) ورغبته في خلاص البشر: "ارسل الله ابنه الى العالم ليُخلّص به العالم" (يوحنا ١٧:٣) ولكي يحيا (٣٣:٦، ٥١). وحضور يسوع يجعل من العالم مجالَ خلاص (٤٢:٤) ونور (١٢:٨؛ ٥:٩). ذلك ان ليسوع قدرة على ان يرفع خطيئة العالم (٢٩:١).

إلا ان هناك اناساً آثروا الظلمات (١٩:٣) واصبحوا اضداداً ليسوع. وللاشارة الى هؤلاء، يستخدم يوحنا لفظة "عالم" بمعنى سلبي، ولا سيما في القسم الثاني من الانجيل (١٣-٢١). فلقد جاء يسوع ليدين العالم (٣٩:٩؛ ٣١:١٢). وحينذاك، يمثّل العالم تلك المسكونة تحت سيطرة الشر (١ يوحنا ١٩:٥)، والتي لا تنسجم مع تلاميذ يسوع (٢٠:١٦)، إذ "ليسوا من العالم" (١٤:١٧-١٥). فمن هذا العالم الذي لا ينسجم مع روح يسوع (١٤:١٧؛ ٨:١٦-١١)، لا يمكن للانسان ان ينتظر سوى البغض والعداوة (٧:٧؛ ١٩:١٥؛ ٣٣:١٦).

ويخرج المسيح منتصراً من هذا الصراع بينه وبين عالم الظلمات (٣١:١٢؛ ٣٣:١٦). والتلاميذ، على مثال يسوع، هم مرسَلون في العالم (١٨:١٧)، وعليهم ان يتوقعوا العداء ذاته، ويرجوا ايضاً الانتصار ذاته على العالم (١ يوحنا ٤:٥-٥). اذ ان هذا العالم محكوم عليه بالزوال (١ يوحنا ١٧:٢).

وتحمل هذه الثنائية سمات زمن يوحنا. انها جزء من مفردات القتال، نرى مثلها في نصوص قمران، مفردات تتحدث عن حرب ابناء الظلمات ضد ابناء النور. ففي زمن يسوع، كان هناك شعور بعيش ازمنة التاريخ الاخيرة.

وفي اقتراب نهاية الازمنة، كان لدى معسكرَي أبناء الظلمات وابناء النور، ميل الى الانطواء على الذات والى النبذ المتبادل، عبر العنف الكلامي.

وعلى قارئ الانجيل ان يعرف كيف يعيد وضع هذه المفردات في اطار زمنه وحضارته، ويعرف في الوقت ذاته ألا يمنحها صفة المطلقية. واليوم، ومن دون ان نقع في اجواء ملائكية، نعلم ان العالم هو مجال مدعو للخلاص، وان للمؤمن، في اثر يسوع، رسالة لا تقوم في التخلي عنه، وانما في تبشيره. فضلاً عن اننا استشففنا، بشكل افضل، ان الفصل بين ابناء الظلمات وابناء النور يمرّ في قلب كلّ منّا.

بالمعثرة التي سيتعرض لها التلاميذ، حين تتحقق هذه الاوضاع المعلَن عنها. ويوحنا، من خلال خطاب يسوع، يرى، في زمن الكنيسة، امتداداً لهذا الاضطهاد الذي يلازم وضع التلميذ. فلقد وضع نفسه في زمن اصطدم فيه المسيحيون بصعوبات قصوى. انهم أُبعدوا من المجمع، وقتلوا، والانكى هو ان هذه العقوبات تجري على يد اناس يوقنون انهم يؤدون مجداً لله! وهكذا من خلال هذا النص، يُعبَّر ولا شك عن اوضاع واقعية عرفتها الجماعة المسيحية التي تنتسب الى يوحنا، في نهاية القرن الاول. وحينذاك نفهم ضرورة التنبيه، عبر خطاب وُضع على لسان يسوع لزمن الاضطهادات.

٣. الروح شاهد ليسوع (١٦:٥-١٥)

٥ أَمَّا الآنَ، فإنّي ذاهبٌ إلى الّذي أَرسَلَني وما من أَحَد منكُم يسأَلُني: إلى أَينَ تَذهَب؟
٦ لا بل مَلأَ الحُزنُ قُلوبَكم لأَنّي قُلتُ لَكم هذهَ الأَشياءَ.
٧ غَيرَ أَنّي أَقولُ لَكُمُ الحَقّ: إِنَّه خَيرٌ لَكم أَن أَذهَب. فَإِن لم أَذهَبْ، لا يَأتِكُمُ المُؤَيِّد. أَمَّا إِذا ذَهَبتُ فأُرسلُه إِلَيكُم.
٨ وهو، مَتى جاءَ أَخزى العالَمَ على الخَطيئة والبِرِّ والدَّينونَة:
٩ أَمَّا على الخَطيئَة فَلأَنَّهم لا يُؤمنونَ بي.
١٠ وأَمَّا على البِرّ فلأَنّي ذاهبٌ إِلَى الآب فلَن تَرَوني.
١١ وأَمَّا على الدَّينونة فَلأَنَّ سَيِّدَ هذا العالَمِ قد دين.
١٢ لا يَزالُ عِنْدي أَشْياءُ كثيرةٌ أَقولُها لَكم ولكنَّكُم لا تُطيقونَ الآنَ حَملَها.
١٣ فَمتى جاءَ هوَ، أَي رُوحُ الحَقّ، أَرشَدكم إِلَى الحَقِّ كُلِّه لأَنَّه لن يَتَكَلَّمَ مِن عِندِه بل يَتَكلَّمُ بِما يَسمَع ويُخبِرُكم بِما سيَحدُث

١٤ **سيُمَجِّدُني لأَنَّه يَأخُذُ ممَّا لي ويُخبِرُكم به.**
١٥ **جَميعُ ما هو لِلآب فهُو لي ولِذلكَ قُلتُ لَكم إِنَّه يأخُذُ مِمَّا لي ويُخبِرُكم بِه.**

موضوع الرحيل الذي كان حاضراً في الفصل ١٤، يعود فيظهر هنا. ويأخذنا العجب من سؤال يسوع الموجه الى التلاميذ، كما لو ان سمعان بطرس وتوما لم يطرحا عليه مسبقاً هذا السؤال (١٣:٣٦؛ ١٤:٥). فنحن ولا شك بازاء آثار القصّة المعقدة التي ينطوي عليها خطاب الوداع. ويؤثر بعض المفسرين أن يصوغوا الآية على النحو التالي: "لماذا ملأ الحزن قلوبكم بحيث **لا تعودون تسألونني بعدُ الى** أين انا ذاهب؟".

الروح للتلاميذ (آ ٥-٧)

في ١٤:٢٨، كان رحيل يسوع خيراً **له**، اما هنا، فخير **للتلاميذ** ان يذهب يسوع. ذلك انهم لن يحصلوا على مدافع فقط، بل سيحصلون ايضاً على مفسِّر كي يفهموه بشكل افضل. فمن دون الروح، لن يكون للتلاميذ فهم كامل ليسوع. ولكن، كي يأتي الروح، يجب ان يذهب يسوع: "... اراد بقوله الروح الذي سيناله المؤمنون به. فلم يكن هناك بعد من روح، لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد" (٧:٣٩).

الفارقليط ضد العالم (آ ٨-١١)

يواصل الروح عملَ يسوع، ويُطَمْئِن الكنيسة بانها تسير في الحق، ويمكّنها من ان تجابه القوى المعادية او اللاابالية في العالم. فلقد كان يسوع، ابّان حضوره، يكشف خطيئة البشر في شكل دينونة (٣:١٩). وسيترتب على الروح ان يواصل مهمة يسوع حين يُلهم الجماعة. هناك ثلاث وظائف تنسب اليه:

أ) يبرهن للتلاميذ ان العالم هو في الخطيئة. ذلك ان الروح سيكشف بوضوح الخطيئة العظمى وهي: قتل الابن.

ب) يقيم العدل لصالح يسوع: انه يبيّن بان موته —وهو ذلك الموت البائس في نظر البشر– هو تمجيد من لدن الله. وهذه النقطة هي اساسية، إذ لولا الروح (الذي يواصل رسالة يسوع بين البشر) لما كان لموت يسوع من معنى.

ج) يطلق الحكم ضد العالم الذي أذنب بحق يسوع المحكوم عليه. فالروح الذي يحيا في الكنيسة، يشهد بان الحكم على يسوع وموته اسفرا عن تمجيده لدى الآب.

الفارقليط، دليل التلاميذ (آ ١٢-١٥)

اعطى يسوع كُنْهَ كشفه. وسيعمل الروح على جعل الاحداث تصبح مفهومة. كما سيفعل الروح ما فعله الله سابقاً في العهد القديم: "هداية المؤمن نحو حقه" (مزمور ٥:٢٥). وهذه المسيرة نحو الحقيقة ليست حصولاً على معرفة حسب، وانما هي ادراك عملي ووجودي للبشرى السارة. هذه المهمة تفتح سُبلاً طموحة للمسيحيين الذين هم مفسرون لهذه الحقيقة، بحياتهم وتعليمهم. لنذكر فقط فيلبس الذي **أقتيد بالروح** ليجعل الخصي قادراً على ربط نص اشعيا ٧:٥٣-٨ بيسوع (اعمال الرسل ٢٩:٨).

وسيكشف الروح ما سيأتي، لا بالتنبؤ بالمستقبل، او باعطاء وحي جديد لا طائل تحته من بعد يسوع، وانما باضاءة هذا المستقبل بعون سر يسوع. وبالتالي، يتابع الروح ما فعله يسوع: الكشف عن سر الله للناس. ذلك ان يسوع، بصفته كلمة الله الاخيرة للبشر، يبقى لغزاً، الى حدّ ما، طالما لا يفتحنا الروح على الفهم العميق لسرّه.

ويُختم المقطع بآيتين تتسمان بالطابع الثالوثي (آ ١٤-١٥): يعود الروح فيتبنّى ما كان عليه الابن وأعطاه، وكله من لدن الآب. ومع ذلك تبقى الرؤية كريستولوجية: ففي المسيح، بتفسير من الروح، يتجلّى سر الله.

٤. التلاميذ في الفرح (١٦:١٦-٣٣)

ونجد اخيراً، في البداية والنهاية، حوارين بين يسوع وتلاميذه (آ ١٧، ٢٩)، في أعقاب مونولوج طويل ليسوع كان قد انطلق منذ مطلع الفصل ١٥. ففي بداية هذه الوحدة وفي نهايتها، نجدنا بازاء حزن وفرح يعبران عن المشاعر المزدوجة التي يخلّفها رحيل يسوع.

١٦ **"بَعدَ قَليلٍ لا تَرَونَني ثُمَّ بَعدَ قَليلٍ تُشاهدونَني".**

١٧ **فقالَ بَعضُ التَّلاميذِ لِبَعض: "ما هذا الَّذي يَقولُه لَنا: بَعدَ قَليلٍ لا تَرَونَني، ثُمَّ بَعدَ قَليلٍ تُشاهِدونَني، وأَنا ذاهِبٌ إِلى الآب".**

١٨ وقالوا: "ما مَعنى هذا القليل؟ لا نَدري ما يَقول".
١٩ فعَلِمَ يسوعُ أَنَّهم يُريدونَ أَن يَسأَلوه، فقالَ لَهم: "تَتساءلونَ عن قَولي: بَعدَ قَليلٍ لا تَرَونَني، ثُمَّ بَعدَ قَليلٍ تُشاهِدونَني.
٢٠ الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: ستَبكون وتَنتَحِبون، وأَمَّا العالَمُ فَيَفرح. ستَحزَنون ولكِنَّ حُزنكم سيَنقَلِبُ فَرَحاً.
٢١ إِنَّ المرأَةَ تَحزَنُ عِندما تَلد لأَنَّ ساعتَها حانَت. فإِذا وَضَعتِ الطِّفْلَ لا تَذكُرُ شِدَّتَها بَعدَ ذلك لِفَرَحِها بِأَن قد وُلِدَ إِنسانٌ في العالَم.
٢٢ فأَنتُم أَيضاً تَحزَنونَ الآن ولكِنِّي سأَعودُ فأَراكُم فتَفرَحُ قُلوبُكم وما مِن أَحَدٍ يسلُبُكم هذا الفَرَح.
٢٣ وفي ذلكَ اليَوم لا تسأَلونَني عن شَيء. الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكم: إِنَّ سَأَلتُمُ الآبَ شَيئاً بِاسمي أَعطاكم إِيَّاه
٢٤ حتَّى الآن لم تَسأَلوا شَيئاً بِاسمي. إِسأَلوا تَنالوا فيَكونَ فَرحُكم تاماً.
٢٥ قُلتُ لَكم هذه الأَشْياءَ بِالأَمثال. تَأتي ساعَةٌ لا أُكَلِّمُكم فيها بِالأَمثال بل أُخبِرُكم عن الآبِ بِكَلامٍ صَريح.
٢٦ في ذلك اليَومِ تَسأَلونَ بِاسمي ولا أَقولُ لَكُم إِنِّي سأَدْعو الآبَ لكُم
٢٧ فَإِنَّ الآبَ نَفسَه يُحِبُّكُم لأَنَّكُم أَحبَبتُموني وآمَنتُم أَنِّي خَرجتُ مِن لَدُن الله.
٢٨ خَرَجتُ مِن لَدُنِ الآب وأَتَيتُ إِلى العالَم. أَمَّا الآن، فَإِنِّي أَترُكُ العالَم وأَمضي إِلى الآب".
٢٩ فقالَ تلاميذُه: "ها إِنَّكَ تَتكَلَّمُ الآنَ كَلاماً صَريحاً ولا تَضرِبُ مَثَلاً.
٣٠ الآنَ عَرَفْنا أَنَّكَ تَعلَمُ كُلَّ شَيء، لا تَحتاجُ إِلى مَن يَسأَلُكَ. فلِذلكَ نُؤمِنُ بِأَنَّكَ خَرَجتَ مِنَ الله".
٣١ أَجابَهم يسوع: "الآنَ تُؤمِنونَ؟
٣٢ ها هي ذي ساعَةٌ آتية، بل قد أَتت فيها تَتفرَّقون فيَذهَبُ كُلُّ واحدٍ في سَبيلِه وتَترُكوني وَحْدي. ولَستُ وَحْدي، فإِنَّ الآبَ مَعي.
٣٣ قُلتُ لَكم هذه الأَشياء لِيكونَ لَكُم بِيَ السَّلام. تُعانونَ الشِدَّةَ في العالَم ولكن ثِقوا إِنِّي قد غَلَبتُ العالَم".

سرّ الانزواء الى الفرح (آ ١٦-٢٤)

ان اعلان يسوع اللغزي عن الاختفاء والعودة الى الظهور، قد طبّقهما بوضوح على آلامه وموته. فنحن بازاء فرح عابر للعالم وحزن للتلاميذ، سينقلبان بعد القيامة (٢٠:٢٠). ولقد اثار كلام يسوع هذا سوء تفاهم، حتى ان التلاميذ اخذوا يتجادلون في ما بينهم، معبّرين عن سوء فهمهم العميق: "لا ندري ما يقول". ويأتي تفسير يسوع، بدءاً بالعبارة الاحتفالية: "الحق الحق اقول لكم" (آ ٢٠).

اما المقارنة مع المرأة الحامل، فهي تقليدية في الديانة اليهودية، وكانت تطبَّق غالباً على الازمنة الاخيرة (هوشع ١٣:١٣؛ اشعيا ١٧:٢٦؛ ارميا ٢٤:٦). ويستخدم سفر الرؤيا الصورة ذاتها عن المرأة التي تضع الولد المسيحاني (رؤيا ٢:١٢). وهذا الانفتاح الاسكاتولوجي على آخر الازمنة، يمكّننا من ان نقرأ عبارة "القليل" بطريقتين: فنحن في الوقت ذاته بازاء القيامة، بصفتها اعتلاناً مؤقتاً، كما بازاء نهاية الازمنة، بصفتها مجيء يسوع الحاسم الذي أُفتُتِح في الآلام.

خاتمة اللغز (آ ٢٥-٣٣)

تأتي الساعة متزامنة مع تمجيد يسوع الذي تميّز بكونه زمن الروح. ومنذئذ سيحظى التلاميذ بالامتياز الذي بموجبه يستجيب الله لهم، وسيفهمون من ثم سر هوية يسوع. فمع الموت والقيامة، يدخل التلاميذ في زمن العلاقة الحميمية مع الله، بفضل الروح (هذه الفكرة قريبة من افسس ١٨:٢). ذلك ان الاعلان الصريح عن الآب لا يعني التمركز النهائي في البديهية والوضوح في كل شيء. فبواسطة الروح، يلج المؤمنون الى معنى التجسد، هذا المعنى الذي يوجزه يسوع في خلاصة، عبر الآية ٢٨: خرج من لدن الله ليقيم علاقة مع البشر؛ وبعودته الى الله، يستعيد هذه العلاقة مع الله.

ويعترف التلاميذ بايمانهم من خلال عبارات قريبة من كلمات بطرس في ٦٩:٦، لأن يسوع كشف لهم عن معرفة خارقة. غير ان يسوع لا يغشه هذا الحماس. انه يعلن عن تشتّت التلاميذ، وتخليهم عن المعلم (وهو موضوع مشترك مع الازائيين، مرقس ٢٧:١٤). وان ما يضع حدًّا لعزلة يسوع، فهو ان ما حضورُ الآب الدائم مع ابنه طيلة الآلام.

ويُختتم الفصل بالتأكيد على سيادة يسوع. فالآية ٣٣ تنبئ، وبايجاز رائع، بالمحن التي على الكنيسة ان تواجهها، كما تنبئ بالانتصار المحقّق، طالما ان يسوع قد "غلب العالم". علماً بان هذه الغلبة ليست مؤقتة وعابرة. وللتعبير عنها، يستخدم يوحنا فعلاً بصيغة الماضي الحاضر يشير الى استمرارية عمل تمّ في الماضي. لذا بوسعنا ان نصوغ الجملة بالشكل التالي: "لأني **غلبت** العالم، **فأنا غالبٌ** العالم، الآن وفي كل اوان".

د. صلاة يسوع من اجل أحبائه (١٧:١-٢٦)

يمكننا ان نعتبر الفصل ١٧، اما بمثابة قطعة مختلفة عن خطاب الوداع، او بمثابة جزء منسجم كلياً مع مجمل الخطاب. فبموجب النظرية الاولى، يبدو الفصل وكأنه قطعة مستقلة، أُدرجت حتماً في الانجيل، في مرحلة ثانية (كان خطاب الوداع الاصلي ينتهي في ١٤:٣١). ويدهشنا الاسلوب الشعري الذي يذكّرنا بنشيد ذي صلة اكيدة مع مطلع الانجيل. الا ان نظرة اخرى في اتجاه التوافق هي ايضاً ممكنة. وحينذاك، يبدو هذا الفصل خلاصة منطقية لخطاب الوداع (١٣-١٧): ذلك ان رب الاسرة او مسؤول الجماعة، حين يكون على اهبة الرحيل، يرفع صلاة أخيرة من اجل اولاده او من اجل شعبه، كما فعل موسى في سفر تثنية الاشتراع حين صلّى الى الله (تثنية ٣٢) وبارك القبائل (تثنية ٣٣) قبل رحيله.

يشكل الفصل ١٧، من الناحية الادبية، "تطويقاً" مع الفصل ١٣ اذ يستذكر منه بعض المواضيع: الساعة (١٣:١ و١٧:١)، تمجيد الابن من لدن الآب (١٣:٣١-٣٢ و١٧:١، ٤-٥)، نهاية يسوع (١٣:١ و١٧:٤)، دور يهوذا بصفته اداة للشيطان (١٣:٢ و١٧:١٢) وقد بدت خيانته وكأنها معلنة في الاسفار المقدسة (١٣:١٨ و١٧:١٢).

في الاناجيل الازائية ايضاً، هوذا يسوع، في الليلة الاخيرة، يرفع صلاته نحو ابيه (مرقس ١٤:٣٤-٣٦)، ولكنه يرفعها في الألم وبدموع انسانيته. اما هنا، فيبدو يسوع في منتهى كرامته، بصفته ابناً في محادثة حميمة مع ابيه، كما لو انه سبق فدخل في ابدية الله (١٧:١١).

المجد في ختام مسيرته (١٧-٨)

١٧ ١ قالَ يسوعُ هذه الأشياء، ثُمَّ رَفَعَ عَينَيه نَحوَ السَّماءِ وقال: "يا أبتِ، قد أَتَتِ السَّاعة:
مَجِّد ابنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابنُكَ
٢ بما أَولَيتَهُ مِن سُلطان على جَميعِ البَشَرِ لِيَهَبَ الحَياةَ الأَبَدِيَّةَ لِجَميعِ الَّذينَ وهبتَهم له.
٣ والحَياةُ الأَبَدِيَّة هي أَن يَعرِفوكَ أَنتَ الإِلهَ الحَقَّ وحدَكَ ويَعرِفوا الَّذي أَرسَلتَه يَسوعَ
المَسيح.
٤ إِنِّي قد مَجَّدتُكَ في الأَرض فأَتمَمتُ العَمَلَ الَّذي وَكَلتَ إِلَيَّ أَن أَعمَلَه
٥ فمَجِّدْني الآنَ عندَكَ يا أَبتِ بما كانَ لي مِنَ المَجد عندَكَ قَبلَ أَن يَكونَ العالَم.
٦ أَظهَرتُ اسمَكَ لِلنَّاسِ الَّذينَ وَهَبتَهُم لي مِن بَينِ العالَم. كانوا لَكَ فَوهبتَهُم لي وقَد حَفِظوا
كَلمَتَكَ
٧ وعَرَفوا الآنَ أَنَّ جَميعَ ما وَهَبتَه لي هو مِن عندك
٨ وأَنَّ الكلامَ الَّذي بَلَّغتَنيه بَلَّغتُهم إِيَّاه فقَبِلوه وعَرَفوا حَقّاً أَنِّي مِن لَدُنكَ خَرَجتُ وآمنوا
بِأَنكَ أَنتَ أَرسَلتَني.

تُفتتح صلاة يسوع بمناداة بنوية: بوسع لفظة "أب" ان تؤدّي ما تعنيه لفظة "آبّا" الارامية، وهي الكلمة المألوفة للمناداة: "بابا" –ولم تكن مستخدمة في الديانة اليهودية، فيما كانت مألوفة على لسان يسوع (لوقا ١١:٢؛ مرقس ١٤:٣٦).

ان مجد الابن ومجد الآب متداخلان (١٣:٣١-٣٢). ويسجّل الارتفاع على الصليب مجيء الساعة. ذلك ان يسوع، بذهابه الى اقصى الرسالة التي وَكَلها اليه الآب، فهو انما مجّد الله. فكل من يتلقى مجد الله الحاضر في يسوع المصلوب، يحصل على الحياة الابدية: اعني انه يدخل في حميمية ("معرفة") الاله الحقيقي وابنه يسوع المسيح. يا للغرابة! ففيما يسوع هو المتكلم، نراه يسمّي نفسه: "والذي ارسلتَه، يسوع المسيح". لذا بوسعنا ان نرى هنا عنصراً انشائياً واضحاً دُمج فيه خطاب الجماعة مع اقوال يسوع. وتؤكّد الآيات ٦-٨ على ان عمل يسوع –وهو يمجّد الآب– يقوم في"التعريف باسم الله".

اما الحاح يسوع على "معرفة الله"، بصفتها ينبوع حياة، فقد اعتبره بعضهم من تأثير غنوصي. غير ان الغنوصية تخلو من ظاهرتين نجدهما لدى يوحنا؛ اولاً، تبلغ الينا هذه المعرفة عبر حدث واقعي وفريد: موت يسوع وقيامته؛ ومن ثم، تُمنح الحياة الابدية، منذ الآن، على هذه الارض، بينما تدعو الغنوصية، بالعكس، إلى التخلي عن الارض.

إلا ان مجد يسوع المعلَن هنا والمعترف به، فهو يكمن، "منذ انشاء العالم"، في ذلك الحب الذي يوحّد الاب بالابن (١٧:٢٤)، على صورة الحكمة المقامة "**قبل ان كانت الارض...**" والتي جعلت "**نعيمها مع بني البشر**" (امثال ٨:٢٣-٣٠).

الصلاة من اجل التلاميذ الحاضرين (آ ٩-١٩)

٩ **إِنِّي أَدعو لَهم ولا أَدعو للعالَم بل لِمنَ وَهبتَهم لي لأَنَّهم لَكَ.**
١٠ **وجَميعُ ما هو لي فهو لَكَ وما هو لَكَ فهو لي وقَد مُجِّدتُ فيهم.**
١١ **لَستُ بَعدَ اليَومِ في العالَم وَأَمَّا هُم فلا يَزالونَ في العالَم وَأَنا ذاهبٌ إِليكَ. يا أَبَتِ القُدُّوس احفَظْهم باسمِكَ الَّذي وَهَبتَه لي لِيَكونوا واحِداً كما نَحنُ واحِد.**
١٢ **لَمَّا كُنتُ معَهم حَفظتُهم باسمِكَ الَّذي وَهَبتَه لي وسَهِرتُ فلَم يَهلِكْ مِنهُم أَحَدٌ إِلاَّ ابنُ الهَلاك فتَمَّ ما كُتِب.**
١٣ **أَمَّا الآنَ فإِنِّي ذاهِبٌ إِلَيكَ. ولكِنِّي أَقولُ هذه الأَشياءَ وأَنا في العالَم لِيَكونَ فيهِم فَرَحي التَّامّ.**
١٤ **إِنِّي بَلَّغتُهم كَلمَتَكَ فأَبغَضَهُمُ العالَم لأَنَّهُم لَيسوا مِنَ العالَم كما أَنِّي لَستُ مِنَ العالَم.**
١٥ **لا أَسأَلُكَ أَن تُخرِجَهُم مِنَ العالَم بل أَن تَحفَظَهم مِنَ الشِّرِّير.**
١٦ **لَيسوا مِنَ العالَم كَمَا أَنِّي لَستُ مِنَ العالَم.**
١٧ **كَرِّسْهُم بالحَقّ إِنَّ كلمَتَكَ حَقّ.**
١٨ **كَمَا أَرسَلتَني إِلَى العالَم فكَذلكَ أَنا أَرسَلتُهم إِلى العالَم**
١٩ **وأُكَرِّسُ نَفْسي مِن أَجلِهِم لِيَكونوا هم أَيضاً مُكَرَّسينَ بِالحَقّ.**

حين ركّز يسوع خطابه على التلاميذ، لم يتخلَّ عن موضوع المجد. ذلك لأن المؤمنين، عبر امانتهم، سيمكّنون اسم الله (أي الله ذاته في التعبير السامي) -وقد كشفه ابنه- من ان يبقى ممجَّداً.

والتضاد بين التلاميذ والعالم -وقد تم التشديد عليه في الفصلين ١٥ و١٦- يتجدد هنا: فالتلاميذ الذين تُركوا في العالم، ليسوا من العالم. لقد اعطاهم يسوع كلامه وارسلهم الى العالم، ولكن العالم لم يقبلهم، كما لم يقبل يسوع من قبل. ومع ذلك، هوذا يسوع يرسلهم الى هذا العالم الذي لا يصلّي من اجله (آ ٩).

في هذا القسم الثاني من الانجيل، نجدنا بعيدين جداً عن يوحنا ١٦:٣، وعن المحبة التي دفعت الآب الى ارسال الابن. كان القسم الاول من الانجيل قد خُتم بمشهد الفشل بصدد اللقاء بين العالم ويسوع. اما هنا، فلم يبقَ سوى اولئك الذين قاموا بخيار: ومنذ الآن، وعبر ثنائية تلامس المانوية، يمثّل العالم اولئك الذين ولّوا ظهرهم ليسوع، ليجعلوا انفسهم تحت قبضة رئيس هذا العالم (٣١:١٢؛ ٣٠:١٤). وهذا العالم الذي دينَ، بمعية رئيس هذا العالم (١١:١٦)، قد غُلب منذ الآن (١ يوحنا ٤:٥). فرسالة المسيحيين المرسَلين الى العالم، بعد يسوع، هي رسالة يسوع عينها: اعلان الحرب ضد مملكة ابناء الظلمات، والتعرّض للمخاطر ذاتها التي تعرّض لها يسوع. وهذا العداء ليس مأساوياً؛ وانما يُعاش في الفرح، لأن يسوع يمنح احباءه اليقين بالغلبة (قارن مع متى ١١:٥؛ ١ تسالونيقي ٦:١).

الآب **القدوس** (١١:١٧) ارسل ابنه، وهو **قدوس** الله (٦٩:٦). وينبغي للتلاميذ من ثم، من اجل رسالتهم، ان يتلقوا **القداسة** ذاتها التي تجعلهم بمعزل عن هذا العالم الذي يعيشون فيه، وإن ليسوا جزءاً منه. ذلك ان الله، بكلمته التي هي حق، يكرّس الانسان. هكذا كانت صلاة يهودية تعلن: "طهّر قلوبنا لنخدمك بالحق. فيا ايها الاله، انت هو الحق وكلامك حق، ويبقى للابد". فالتلاميذ، فيما يتلقون الكلام، يكرَّسون للرسالة. ويتوقع القارئ ان يجد هنا ذكراً للروح القدس بشكل صريح. قد يكون التلميح الى الحق قد تم بصلة مع الفارقليط الذي هو روح الحق.

يسوع يكرّس ذاته "من اجلهم": فبوسع هذا التكريس ان ينطبق على موت يسوع، هو الذي يعطي حياته من اجل المؤمنين (يوحنا ١١:١٠؛ رومية ٣٢:٨). ذلك ان التكريس ليس ممكناً إلا في موت يسوع وقيامته. غير ان التكريس بقوة الروح يفترض موت/قيامة يسوع. وينتقل بنا الفكر الى عبارة "الصلاة الكهنوتية" التي كان القديس قورلس الاسكندري اول من استخدمها. وهنا تبدو المقارنة واردة: يبدو يسوع وكأنه كاهن يقرّب ذاته بمثابة ذبيحة من اجل الذين وَكَلَهم اليه الله.

صلاة من اجل كل المؤمنين (٢٠-٢٦)

٢٠ **لا أَدْعو لَهم وَحدَهم بل أَدْعو أَيضاً لِلَّذينَ يُؤمنونَ بي عن كلامهم.**
٢١ **فَلْيكونوا بأَجْمَعهم واحداً: كَما أَنَّكَ فِيَّ، يا أَبَتِ، وأَنا فيك فَلْيَكونوا هُم أَيضاً فينا لِيُؤمِنَ العالَمُ بِأَنَّكَ أَنتَ أَرسَلتَني.**

٢٢ وَأنا وَهَبتُ لَهم ما وَهَبْتَ لي منَ المَجْد ليَكونوا واحداً كما نَحنُ واحد:
٢٣ أنا فيهم وأنتَ فِيَّ لِيَبلُغوا كَمالَ الوَحدَة ويَعرِفَ العَالَمُ أَنَّكَ أنتَ أَرسَلتَني وأَنَّكَ أَحبَبتَهم كَما أَحبَبتَني.
٢٤ يا أَبَت، إنَّ الَّذينَ وهَبتَهم لي أُريدُ أَن يَكونوا معي حَيثُ أَكون فيُعاينوا ما وَهَبتَ لي منَ المَجد لأَنَّكَ أَحبَبتَني قَبلَ إنشاء العالَم.
٢٥ يا أَبت البارّ إنَّ العالَمَ لم يَعرِفْكَ أَمَّا أنا فقَد عَرَفتُكَ وعَرَفَ هؤلاء أَنَّكَ أَنتَ أَرسَلتَني.
٢٦ عَرَّفتُهم باسمِكَ وسأُعَرِّفُهم بِه لِتَكونَ فيهمِ المَحبَّةُ الَّتي أَحبَبتَني إيَّاها وأَكونَ أنا فيهم".

يفتح هذا المقطع افقاً نحو المستقبل: اعني على الزمن التاريخي للكنيسة، في مسيرتها نحو الوحدة (آ ٢٠-٢٣)، وبصفتها جماعة موعودة بسعادة الازمنة الاخيرة (آ ٢٤-٢٦). وصلاة يسوع تشمل المؤمنين الذين سيعترفون بعلاقته الحميمة بالآب (في ١ يوحنا ٢:٤-٣، نجد المعيار الذي يميّز المؤمنين الحقيقيين عن الآخرين)، بفضل خدّام الكلمة. ولن تقوم الشركة في الجماعة على معايير اخلاقية، بل على خيارات كريستولوجية.

والوحدة (آ ٢١) التي من اجلها يصلي يسوع هي، اولاً، هبة من الله تمنح الجماعة القدرة على ان تصبح على صورة الآب والابن: "كي يكونوا واحداً كما نحن واحد". وتتعلق هذه الوحدة بحياة الله المعطاة ليقتسمها المؤمنون. فمن هذه الحياة التي تلقوها تنتج شركة قوية من الرجال والنساء، بالايمان ذاته والممارسات ذاتها. ومثل هذه الوحدة تحققت مسبقاً، ولكنها تتضمن مع ذلك وعداً وانفتاحاً اسكاتولوجياً على جماعة آخر الازمنة.

يظهر هذا الانفتاح بوضوح في الآيات الاخيرة (٢٤-٢٦). فشهود يسوع يؤكدون انهم رأوا مجده (١٤:١). والموت/القيامة، هما المجال الذي تجلى فيه هذا المجد (٢:١٧). وسيتاح لهذا المجد في الازمنة الاخيرة، ان يُرى بشكل تام (راجع ١ يوحنا ٢:٣).

"أريد" (آ ٢٤): يجب ان تؤخذ هذه الكلمة بمعناها الكامل، بمثابة **الارادة** القصوى والاخيرة لذاك الذي يرحل. ذلك ان يسوع الذي خضعت ارادته لارادة الآب (يوحنا ٣٤:٤؛ ٣٠:٥؛ ٣٨:٦)، له ارادته الخاصة، في انسجام تام مع ارادة الآب (٣٠:٥؛ ٣٨:٦). وتعبّر هذه الارادة عن الهدف الاسمى من مجيئه: "ان يكونوا معي

ويعاينوا مجدي". والجدير بالذكر ان مجيء يسوع النهائي –وقد أشرك المؤمنين في سعادته– يُعبَّر عنه هنا بشكلٍ روحي جداً، من دون تلك الصور المألوفة في الروايات الرؤيوية. فالاسكاتولوجيا المحقَّقة، والاسكاتولوجيا النهائية لا تتعارضان، بل تتكاملان. "عرّفتهم... وسأعرّفهم": فالمعرفة الاخيرة لن تكون ممكنة إلا لأنها سبقت أنْ افتُتحت مسبقاً في حياة المؤمن.

ويجمع وحي يسوع الاخير بين المعرفة والحب: ذلك ان حضور يسوع بين التلاميذ هو نتيجة حبه؛ وهو التعبير عنه ايضاً. ويختم يسوع وحيه بنظرة خاطفة الى تاريخ العهد: فبعد وحي سيناء، كان مجد الله قد استقرّ على الخيمة في وسط اسرائيل (خروج ٤٠:٣٤). ويسوع، في حياته، بحسب يوحنا، هو مجد الله المعلَن للبشر (يوحنا ١:١٤). وهذا المجد يسكن الآن في جماعة المؤمنين (١٧:٢٢)

الجزء الثالث:

روايات الآلام

(١٨:١-١٩:٤٢)

الآلام في انجيل يوحنا

الآلام والتاريخ

أ. الاعتقال في البستان [١٨:١-١١]

ب. يسوع عند حنان [١٨:١٢-٢٧]

ج. يسوع امام بيلاطس [١٨:٢٨-١٩:١٦]

د. الصلب [١٩:١٧-٣٧]

هـ. الدفن [١٩:٣٨-٤٢]

الجزء الثالث. روايات الآلام (١٨:١-١٩:٤٢)

الآلام في انجيل يوحنا

بعد المقطع الطويل بصدد خطاب الوداع، يلتحق يوحنا، في روايته للآلام والقيامة، وللمرة الاولى، بالروايات الازائية. وروايات الآلام هي من بين اقدم الروايات في التقليد الانجيلي: فلا عجب اذا ما اجمع كل الانجيليين على الاحداث عينها. فلو اخذنا رواية مرقس بمثابة مرجع، نلاحظ انه يشترك مع يوحنا في: اعتقال يسوع في البستان، الدعوى امام رؤساء اليهود، خيانة يهوذا، الدعوى امام بيلاطس، صلب يسوع وموته، دفن يسوع. إلا ان يوحنا يتعامل مع هذه المواد المشتركة بكثير من الفرادة؛ انه يروي، بنوع خاص، مشهد البستان واعتقال يسوع، بهدف كريستولوجي واضح، مما يحمله على حذف كل التلميحات الى نزاع يسوع، بينما يُضفي على المواجهة بين يسوع وبيلاطس أبّهة خارقة.

كيف نفسّر هذه القربى التي تكون احياناً حرفية إلى حد كبير؟ هنا ينقسم المفسّرون. يظن بعضهم ان يوحنا مستقل عن الاناجيل الازائية، وانه استقى من مصدر اكثر قدماً، قد يكون هو ذاته في اصل الاناجيل الازائية. وهناك آخرون، انطلاقاً من التلاقي الحرفي المقلق في بعض الروايات (كما هي الحال بالنسبة الى نكران بطرس وتكليل يسوع بالشوك وصلبه)، يعتبرون ان يوحنا كتب تحت تأثير مباشر من الروايات الازائية. وفي هذا النقاش المفتوح، نختار النظرية الاولى. ذلك ان الاحداث كانت ولا شك معروفة لدى كل الجماعات المسيحية؛ لذا، فان وجود تقليد عريق عن الآلام، مشترك بين الجميع، بوسعه ان يفسّر المقاربات بين الاناجيل، حتى الحرفية منها.

الآلام والتاريخ

تطرح قراءة روايات الآلام ألغازاً عدة على المؤرخ. ذلك ان لكل انجيلي ميزات يصعب احياناً الجزم فيما إذا كنا بصدد ذكريات اصيلة ام بصدد لمسات ادبية ولاهوتية بقلم المؤلف. ويتعرض انجيل يوحنا ايضاً الى مثل هذه الصعوبات التاريخية:

أ) بادئ بدء، لماذا اهمل يوحنا المشهد الاحتفالي امام السنهدريم؟ هل لأنه لم يجده في مصدره؟ يُحتَمَل، على اكثر تقدير، انه رأى من الأفضل ألا يتحدث عنه، لأنه سبق ان شدّد مراراً، وفي اماكن عديدة من روايته، على ان المآخذ ضد يسوع —وقد تكررت ابان الدعوى- تراكمت طيلة رسالة يسوع العلنية: الحكم بالموت والمخاوف من خراب محتمل للهيكل (١١:٤٧-٥٣)، كلام يسوع عن هدم الهيكل (٢:١٩)، الشكاوى التفصيلية (١٠:٢٤-٢٥، ٣٣، ٣٦)، رؤيا ابن الانسان الموعودة —وقد جاءت بحضرة عظيم الكهنة لدى الازائيين (يوحنا ١:٥١). فيوحنا الذي يهمّه ان يجعل الآلام مركّزة على المجابهة بين يسوع وبيلاطس، لم يرَ من المفيد ان يروي مجدداً المحاكمة العلنية امام السنهدريم.

ب) ومن ثم، ما هي القيمة التاريخية للمشهد بين يسوع وحنّان، وقد انفرد يوحنا به؟ لقد كانت ليوحنا ولا ريب معلومات خاصة عن يسوع، وما يتعلّق منها باورشليم واليهودية بنوع خاص. ومن المحتمل انه احتفظ هنا بذكرى حدث واقعي: فما دام حنان يسأل يسوع عن تعليمه وتلاميذه بالتحديد، فبوسعنا ان نفسّر المشهد بصفته اجراء تمهيدياً، بهدف اقامة الدليل بأن يسوع نبي كذاب (مما يستوجب محاكمته امام السنهدريم بكامل اعضائه)، او ان لكرازته انعكاسات سياسية (مما يبرّر مثوله امام بيلاطس).

في مجرى الآلام، يُحتَمل ان يوحنا احتفظ بذكرى اربعة مشاهد بوسعها ان تحيط بالمجرى الواقعي للأحداث:

١. أُقتيد يسوع **ليلاً** من اجل **استجواب اول لدى حنّان** (١٨:١٢-٢٣)، وقد يكون السبب "التستّر" على عظيم الكهنة الفعلي، قيافا، المتّهم بتجاوزات قانونية. وهكذا نجدنا، الى حد ما، وكأننا بازاء اول تحقيق مع المعتقل.

٢. وهنا، في بيت حنان، قد يكون جرى **مشهد الاهانات** (١٨:٢٢).

٣. **في الصباح**، يكون يسوع قد أُقتيد لدى **قيافا ولدى السنهدريم** لاستجواب اكثر دقة، كي يصبح ممكناً تسليمه الى السلطة الرومانية (١٨:٢٤؛ راجع لوقا ٢٢:٦٦-٧١).

٤. واخيراً، يكون يسوع قد أُسلم الى **الحاكم الروماني بيلاطس**، كي يصدر بحقه القرار النهائي (١٨:٢٨-١٩:١٦).

واية كانت النظرية التي نتبنّاها، فان كتابة الآلام بقلم يوحنا تكشف عن تأليف شخصي يتسم بالاقتدار، ويلعب فيه الابتكار دوراً كبيراً. فينبغي، إذن، ان نحذر من الميل الى اضفاء "تاريخية" زائدة على الرواية، بحيث ننسى ما لكل انجيلي من قدرة على الابتكار، ويوحنا في المقدمة. ذلك لأن مجمل رواية الآلام، بحسب يوحنا، يعكس تخطيطاً تلعب فيه المساحة دوراً هاماً. لقد بدأ المشهد في بستان (١٨:١-١١)، وانتهى في بستان (١٩:٤١) لدى دفن يسوع. وتدور الرواية كلها في مساحة محدودة، هي خمسة اماكن: بستان، قصر عظيم الكهنة المستقيل، قصر بيلاطس، الجلجلة، واخيراً بستان. والمشاهد الخمسة مبنية حول مشهد مركزي وفق المخطط التالي:

البستان (المجابهة مع يسوع) (١٨:١-١١)

الاستجواب امام حنّان (١٨:١٢-٢٧)

الدعوى امام بيلاطس (١٨:٢٨-١٩:١٦)

الجلجلة (١٩:١٦-٣٧)

الدفن بقبر في **البستان** (١٩:٣٨-٤٢)

حين نقارن بين الازائيين ويوحنا، نرى لدى جميعهم اسئلة كثيرة، على صعيد التاريخ، من دون جواب. فبعد ان اثبتنا الطابع التاريخي الاساسي الذي تتسم به المقاطع التي اوردها يوحنا، يبدو ان يوحنا —وقد كتب انجيله بعد الثلاثة الآخرين بفترة- يتمركز في افق لاهوتي تتجلى فيه مقاطع تعكس احداثاً: انه، على مثال الرسّام، يكشف عن المعنى الخفي للآلام، ولا يطاله سوى المؤمن الذي يرتضي ان يرافقه على هذا المستوى الرفيع.

أ. الاعتقال في البستان (١٨:١-١١)

١٨ ١ قالَ يسوعُ هذه الأَشياء، وخرجَ مع تَلاميذِه، فعَبَرَ واديَ قِدْرون، وكانَ هُناكَ بُستان،
فدخَلَه هو وتلاميذُه.
٢ وكانَ يَهوذا الَّذي أَسلَمَه يَعرِفُ ذاكَ المكانَ لكَثرةِ ما اجتَمَعَ فيه يَسوعُ معَ تَلاميذِه.
٣ فجاءَ يَهوذا بِحَرَسِ الهَيكَلِ والحَرَسِ الَّذينَ أَرسَلَهم عُظماءُ الكَهَنَةِ والفِرِّيسيُّونَ حتَّى بَلغَ
ذلكَ المكان، ومعَهُمُ المَصابيحُ والمَشاعِلُ والسِّلاح.
٤ وكانَ يسوعُ يَعلَمُ جَميعَ ما سَيَحدُثُ له، فخَرَجَ وقالَ لَهم: "مَن تَطلُبون؟"
٥ أَجابوه: "يسوعَ النَّاصريّ". قالَ لَهم: "أَنا هو". وكانَ يَهوذا الَّذي أَسلَمَه واقِفاً معَهم.
٦ فلَمَّا قالَ لهم: أَنا هو، رَجَعوا إلى الوَراءِ ووَقَعوا إلى الأَرض.
٧ فسَأَلَهم يسوعُ ثانيَةً: "مَن تَطلُبون؟" قالوا: "يسوعَ النَّاصريّ".
٨ أَجابَ يسوع: "قُلتُ لَكُم إِنِّي أَنا هو، فإِذا كُنتُم تَطلُبونِي أَنا فدَعُوا هؤلاءِ يَذهَبون".
٩ فَتمَّت الكَلِمَةُ الَّتي قالَها: "إِنَّ الَّذينَ وَهَبتَهم لي لم أَدَعْ أَحَداً منهُم يَهلك".
١٠ وكانَ سِمْعانُ بُطرُس يَحملُ سَيفاً، فاستَلَّه وضرَبَ خادمَ عَظيمِ الكَهَنَة، فقَطعَ أُذُنَه
اليُمْنى، وكانَ اسمُ الخادمِ مَلْخُس.
١١ فقالَ يسوعُ لِبُطرُس: "أَغمِدِ السَّيف. أَفَلا أَشرَبُ الكَأسَ الَّتي ناوَلَني أَبي إِيَّاها".

يقدّم يوحنا المشهد بعبارة "قال يسوع هذه الاشياء"، كما لو انه يشاء ان يؤكد على الصلة بين كلمات التوصيات الاخيرة للفصول ١٣-١٧، وبين الآلام التي ستلي. والمشهد مشترك بين يوحنا والازائيين، غير ان نقاط الاختلاف تفوق النقاط المشتركة.

أهمل يوحنا، بادئ بدء، مشهد النزاع الحزين (باستثناء ذكر الكأس في ١١:١٨، وذلك دليل على انه كان على علم بتقليد الازائيين، متى ٣٩:٢٦). ومن ثم، اعطى لمشهد الاعتقال احتفالية اكبر، حين وضع جنباً الى جنب السلطتين المناوئتين ليسوع: من جهة، الرؤساء اليهود من فريسيين وعظماء كهنة (تظهر عبارة "عظماء الكهنة" عشر مرات في انجيل يوحنا؛ فهي صيغة مشهود لها في الديانة اليهودية، للاشارة ولا شك الى الفريق الموسّع لعظيم الكهنة في الخدمة، أي اسلافه والمقربين اليه)؛ ومن جهة اخرى، السلطة الرومانية (وكانت الكتيبة مؤلفة من ٢٠٠ الى ٦٠٠ رجل)، كما لو انه شاء ان

يبيّن بان القوى الدينية والسياسية قد تحالفت ضد يسوع. اما ذكر يهوذا، فيثبت بان قوى الظلمات حاضرة هنا (١٣:٢٧، ٣٠) مع فاعليتها الظاهرة (المصابيح والمشاعل والاسلحة).

لقد حذف يوحنا الملامح التي كان بوسعها ان تنال من عظمة يسوع (قبلة الخائن، بحسب الازائيين، غابت لدى يوحنا). وبدا يسوع بصفته سيداً ممتلئاً من الكرامة، لا بل بصفته سيد الاحداث والاشخاص. فلقد اخذ على نفسه ان يضع تلاميذه في مأمن من العنف الذي أوشك ان يزل به (١٨:٨)؛ إذ ان ما يحدث ليس ثمرة صدفة او علامة انتصار الكفّار، وانما هو اتمام الكتب المقدسة.

وتتجلى سيطرة يسوع هذه، بشكل اكبر، في مشهد الاعتقال: فيسوع "يعلم" ما ينبغي ان يحدث. وهو الذي يأخذ المبادرة في الحوار مع خصومه.

"انا هو" "*Egô eimi*". وكما هي الحال غالباً لدى يوحنا، يحمل الجواب معنيين. فللجواب، اولاً، معنى مبتذل، إذ هو بمثابة علامة تشخيص: انا. إلا ان قارئ يوحنا الذي يعرف العهد القديم، يتذكر ان هذه الصيغة المتعددة الاوجه تشير احياناً الى الله، ربّ سيناء (اشعيا ٤٣:١٠؛ ٥١:١٢). وان تكرار ورودها، في انجيل يوحنا، يدلّل على انها كشف يقوم به يسوع عن ذاته، ولا سيما في المقاطع التي لا جدال فيها، من مثل ٨:٢٤، ٢٨؛ ١٣:١٩.

وتصدح هذه الصيغة الاحتفالية على ثلاث دفعات (١٨:٥، ٦، ٨)، حتى ان الخصوم، مع كونهم عديدين ومسلّحين، يتراجعون. فاولئك الذين جاءوا ليعتقلوا الانسان يسوع، ذاك "الناصري"، وجدوا فيه، لا فقط البار "الذي وراءه يرتّد الى الوراء الخصوم والاعداء" (مزمور ٢٧:١٢؛ ٣٥:٤)، بل ايضاً، وبطريقة خاطفة، اله سيناء الكلي القدرة.

تدخّل سمعان بطرس (آ ١٠–١١). في هذا المشهد المشترك بين الاناجيل الاربعة، ينفرد يوحنا بذكر بطرس والخادم ملخس. وتشدد ملامة يسوع الفورية على انه يضع كفاحه على مستوى هو غير مستوى خصومه المسلّحين. انه يرفض العنف ويخضع لارادة الآب.

لا تبدأ، رواية الآلام، بالواقع، إلا مع اعتقال يسوع. ويشكّل مشهد البستان مقدمة تعطي المعنى لما سيتبع. فنحن مُهيَّأوون، لا لاكتشاف مقولات نادرة، وانما لقراءة

احداث ذات معنى عميق. ذلك ان عالمين سوف يتواجهان: من جهة، الظلمات المجتمعة في صورة السلطات الدينية والسياسية المتحالفة؛ ومن جهة أخرى، يسوع وحده، في المنظور البشري، ولكنه، بالايمان، في صلة مع ابيه، وهو يؤدي رسالته بحرية، وينتصر مسبقاً على خصومه، عبر قوله: "انا هو".

ب. يسوع عند حنان (١٨:١٢-٢٧)

١٢ فقَبَضَت الكَتيبَةُ والقائدُ وحَرَسُ اليَهودِ على يسوع وأَوثَقوه
١٣ وساقوهُ أَوَّلاً إلى حَنَّان، وهُو حَمُو قيافا عَظيمِ الكَهَنَة في تلكَ السَّنَة.
١٤ وقَيافا هو الَّذي أَشارَ على اليَهودِ أَنَّه خَيرٌ أَن يَموتَ رَجُلٌ واحدٌ عَنِ الشَّعب.

١٥ وتَبِعَ يسوعَ سِمعانُ بُطرُس وتِلميذٌ آخَر، وكانَ عَظيمُ الكَهَنَةِ يَعرِفُ ذاكَ التِّلْميذ، فدَخلَ دارَ عَظيمِ الكَهَنَة مع يسوع.
١٦ أَمَّا بُطرُس فوقَفَ على البابِ في خارِجِ الدَّار. وخَرجَ التِّلْميذُ الآخَرُ الَّذي يَعرِفُه عَظيمُ الكَهَنَة، فكلَّمَ البَوَّابة وأَدخَلَ بُطرُس.
١٧ فقالَت الجارِيَةُ الَّتي على البابِ لِبُطرُس: "أَلَستَ أَنتَ أَيضاً مِن تَلاميذِ هذا الرَّجُل؟" قال: "لَستُ منهُم".
١٨ وأَوقَدَ الخَدَمُ والحَرَسُ ناراً لِشِدَّةِ البَرْد، ووَقَفوا يَستَدفِئون، ووَقفَ بُطرُسُ يَستدفِئُ معَهم.

١٩ فسأَلَ عَظيمُ الكَهَنَة يسوعَ عن تَلاميذِه وتَعليمه.
٢٠ أَجابَهُ يسوع: "إِنِّي كَلَّمتُ العالَمَ عَلانيةً، وإِنِّي عَلَّمتُ دائماً في المَجمَعِ والهيكَلِ حَيثُ يَجتَمِعُ اليَهودُ كُلُّهم، ولَم أَقُلْ شَيئاً في الخُفْيَة.
٢١ فلماذا تَسأَلُني أَنا؟ سَلِ الَّذينَ سَمعوني عَمَّا كلَّمتُهم به، فهُم يَعرِفونَ ما قُلت".
٢٢ فلَمَّا قالَ يسوعُ هذا الكَلام، لَطَمَه واحِدٌ مِنَ الحَرَسِ كانَ بِجانِبِه وقالَ له: "أَهكذا تُجيبُ عَظيمَ الكَهَنَة؟"
٢٣ أَجابَه يسوع: "إِن كُنتُ أَسَأْتُ في الكَلام، فبَيِّنِ الإِساءَة. وإِن كُنتُ أَحسَنتُ في الكَلام، فلماذا تَضرِبُني؟"
٢٤ فأَرسَلَ به حَنَّانُ مُوثَقاً إِلى قَيافا عَظيمِ الكَهَنَة.

٢٥ وكانَ سمعانُ بُطرُس واقِفاً يَستَدفِئ. فقالوا له: "أَلَستَ أَنتَ أَيضاً مِن تَلاميذِه؟" فأَنكَرَ
قال: "لَستُ مِنهُم".
٢٦ فقالَ خادِمٌ مِن خَدَمِ عَظيمِ الكَهَنَة، وكانَ مِن أَقارِبِ الرَّجُلِ الَّذي قَطَعَ بُطرُسُ أُذُنَه: "أَما
رَأَيتُكَ أَنا بِنَفسي معَه في البُستان؟"
٢٧ فأَنكرَ بُطرُسُ مرَّةً أُخرى. وعِندَئِذٍ صاحَ الدِّيك.

مقدمة (آ ١٢-١٤)

مارس عظيم الكهنة حنّان وظيفته من عام ٦ من التاريخ الميلادي، وأُقيل عام ١٥. إلا انه بقي متنفّذاً لفترة طويلة (العديد من ابنائه اصبحوا عظماء كهنة). وإذا اشير اليه بانه "عظيم الكهنة"، في اعقاب ١٥ سنة من إقالته، فليس في ذلك مغالطة: فالتلموذ، والمؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس ايضاً، استمرا احياناً في اعطاء هذا اللقب لعظماء كهنة سابقين. وفي الاناجيل، نرى لوقا ويوحنا وحدهما، يُشركان قيافا وحنّان بلقب "عظيم كهنة". اما صلة القرابة بينهما، فلم ترد سوى لدى يوحنا.

ويوحنا، هو وحده ايضاً، ينسب الى حنّان دوراً في استجواب يسوع. ومن المدهش انه اطلق عليه لقب "عظيم الكهنة" مرات عديدة، في هذا الفصل (آ ١٥، ١٦، ١٩، ٢٢). وحين ذكّر يوحنا باقوال قيافا، في الآية ١٤، فهو انما ايقظ لدى قرائه ذكرى هذه النبوءة غير الارادية (١١:٥١) -وقد أنبأت بالمعنى الذبائحي لموت يسوع.

نكران بطرس مرة اولى (آ ١٥-١٨)

تنقل الاناجيل الاربعة نكران بطرس الثلاثي. وبخلاف لوقا (الذي احتفظ برواية متواصلة)، وزّع الانجيليون الآخرون نكران بطرس الثلاثي الى مقطعين او ثلاثة، خلال محاكمة يسوع.

ويؤطر يوحنا، بذكاء، مثول يسوع امام حنان بمشهدين مخصَّصين لبطرس. ففيما سُئِل يسوع بشأن **تلاميذه** (آ ١٩) واستمرّ يحميهم، عبر كلامه الذي كان "عَلَناً للعالم"، هوذا بطرس الذي سُئِل بشأن **معلمه**، ينكره.

وبحسب يوحنا، يرافق بطرس شخص سرّي يحمل اسم "التلميذ الآخر" لا غير. وقد شَخَّصَه التقليد بالتلميذ الذي كان يسوع يحبه. لا شك ان هذا وذاك متشابهان: انهما كلاهما مشتركان مع بطرس (١٣:٢٣-٢٦؛ ٢٠:٢-١٠؛ ٢١:٧، ٢٠-٢٣). فالتلميذ الذي كان يسوع يحبه تبع يسوع حتى الصليب: ومن المحتمل بالتالي ان يكون قد تبعه في آلامه. اما دخوله في دار عظيم الكهنة، فيدلّل على امانته للمعلّم. وبوسعنا ان نبدي دهشتنا لأنه لم يُسأل، على غرار بطرس، بشأن تعلّقه بيسوع. وتخيّل بعض المفسّرين نظريات مبتكرة وغريبة: كأن يكون نيقوديمس، او واحداً ذا مكانة رفيعة (طالما انه يعرف عظيم الكهنة). لا يدّعي نص يوحنا ان يقول لنا كل شيء. وبالرغم من فضولنا، فالأولى بنا ان نهتم بدور الشخص وعلاقته ببطرس —متجاوزين هويته وصمت النص. فهنا يضع الانجيلي، جنباً الى جنب، تلميذاً مع بطرس: فالاول هو بمثابة وسيط بين بطرس ويسوع، كما هي الحال غالباً في الانجيل؛ انه ذاك الصامت الذي يبدو مستعدًّا لامتحان الامانة، ولكنه سيتجاوز بطرس فيما بعد، على الصليب. اما بطرس، فيواجه الامتحان في العزلة: ففي برودة الليل، ادّعى انه "يبذل حياته في سبيل يسوع" (١٣:٣٧)، ولكنه سيفضّل حرارة الموقد (وقد تكون ايضاً مصاحبة الرجال المحيطين بالنار الآمنة) على مرافقة المعلّم في العزلة والخطر. ويلتحق هذا المشهد، في بعض اوجهه، بمشهد تخلّي التلاميذ ابان نزاع يسوع، لدى الازائيين، حين كان بطرس حاضراً ايضاً. الا ان الرواية تبقى متمحورة حول يسوع: لا نجد في نكران بطرس الثلاثي تدرّجاً كما لدى الازائيين؛ إذ ليس صياح الديك علامة أثارت ندامة بطرس (كما لدى الازائيين) بقدر ما كان تصديقاً لكلمة الرب الذي انبأ بالخيانة: "لا يصيح الديك إلا وقد أنكرتني ثلاث مرات" (١٣:٣٨).

يسوع ولحنانا (آ ١٩-٢٤)

لا يبدو يسوع هنا كاشفاً غريباً يجعل كشفه وقفاً على بعض العارفين، وانما نبياً يتكلم علَناً ومن اجل الجميع. فكلامه يتسم بالجرأة طالما يقترح على حنّان أن يصغي الى تلاميذه؛ هذه الشجاعة كلّفته صفعة من احد الخدَم: انها الاهانة الوحيدة التي تضمّنها انجيل يوحنا ابان الدعوى اليهودية. وان لقبوله هذه الصفعة هدفاً يكمن ولا شك في التأكيد على تمثّل يسوع بملامح الخادم المتألم (اشعيا ٥٠:٦). إلا ان يسوع —وهو

الصامت في الاناجيل الاخرى ازاء الاهانات- يتصرف في انجيل يوحنا بكرامة السيّد الذي يُطالب الذين ضربوه بالافصاح عن دوافعهم.

وكما جاء يسوع موثقاً، هوذا يذهب موثَقاً ايضاً، بعد ان أُعتُبر خَطِراً. وبحسب الظاهر، اصبح أعزلَ بين ايدي البشر. اما بالنسبة الى يوحنا، فهو الذي يقود الاحداث.

الخيانة المكتملة (٢٥-٢٧)

بخلاف الاناجيل التي تُبرِّز وقع صياح الديك على بطرس (انه يبكي ويهرب)، يروي يوحنا، وببرودة، قصة الخيانة المعلَن عنها (٣٨:١٣). فما أنبأ به الرب، سيد الاحداث، يتم لا محالة. وينبغي ان ننتظر الفصل ٢١ كي يتلقى سمعان بطرس نظرة الرب، نظرة الحق والغفران.

ج. يسوع أمام بيلاطس (٢٨:١٨-١٦:١٩)

رُوي مشهد حضور يسوع لدى قيافا بمنتهى الايجاز: يذكر المؤلف الانتقال من عند قيافا، في وقت "مبكر" جداً، في نحو الساعة السادسة صباحاً، دون ان يقول شيئاً آخر. ذلك ان اهتمامه الانشائي مركّز على اللقاء بين يسوع وبيلاطس، لقاء سوف يمنحه يوحنا مكاناً مركزياً في رواية الآلام. انه في الواقع الخطاب الكبير والاخير من الكشف، على لسان يسوع.

يجري المشهد في قصر الحاكم، وهو مكان سكنى الحاكم الروماني، بيلاطس. ويظهر بيلاطس هنا، للمرة الاولى، في انجيل يوحنا، دون أي توضيح بشأن هويته. نحن نعلم انه كان حاكماً على اليهودية من عام ٢٦ الى عام ٣٦: تؤيد ذلك كتابة محفورة تحمل اسمه في قيصرية، اكتشفت حديثاً. ويتفق فيلون وفلافيوس يوسيفوس وتاقيطس في وصفه فظًّا وساخراً، تعامل مع اليهود بقسوة واحتقار. وقد اقاله من منصبه فيتيلّيوس، المندوب في سوريا، بسبب وحشيته. اما يوحنا، فقد احاط شخصية التاريخية بهالة، كي يجعل منه صورة للسلطة الارضية ازاء يسوع الملك الحقيقي.

كانت قيصرية مكان اقامة الحاكم الاعتيادية (اعمال الرسل ٣٣:٢٣). وفي مناسبة الاعياد الكبرى، او في ازمنة الاضطرابات، كان ينتقل الى اورشليم. اما عن مكان اقامته في اورشليم، فذلك موضوع جدل بين الاختصاصيين: بعضهم يميل الى القلعة التي

بناها هيرودس في غرب المدينة؛ ويفضّل بعضهم حصن الانطونيا الواقع الى شمال الهيكل؛ وهنا، منذ القرن ١٢، جعل التقليد من هذا الحصن موقع اللقاء بين يسوع وبيلاطس. وتجدر الاشارة إلى ان الانجيلي قلّل من اهمية هذه المسائل الجغرافية، واهتم بتسليط الضوء على اللقاء بين بيلاطس ويسوع، حين جعل منه مجابهة بين سلطتين. انه يعرض هذا اللقاء، من خلال سبعة مشاهد مبنية بذكاء، كما يعكسها المخطط التالي:

أ. (**في الخارج**) بيلاطس واليهود: المحادثة الاولى (١٨:٢٨-٣٢)

ب. (**في الداخل**) بيلاطس ويسوع: ملوكية يسوع (١٨:٣٣-٣٨)

ج. (**في الخارج**) بيلاطس واليهود: برأبّا (١٨:٣٨-٤٠)

د. (**في الداخل**) الاكليل (١٩:١-٣)

ج". (**في الخارج**) بيلاطس واليهود: **هوذا الرجل** (١٩:٤-٧)

ب". (**في الداخل**) بيلاطس ويسوع: سلطان بيلاطس (١٩:٨-١٢)

أ". (**في الخارج**) بيلاطس واليهود: هوذا ملككم (١٩:١٣-١٦)

نلاحظ التناوب في المشاهد بين الداخل والخارج. وهناك مشهد أعزل في المركز: تكليل يسوع. وفيما لم يكن لمتى ومرقس سوى ثلاثة مشاهد (بيلاطس يستجوب يسوع، محاولة بيلاطس الفاشلة لاطلاق سراح يسوع، تسليمه لليهود)، يبني يوحنا سيناريو من الدراما بهدف توطيد ملوكية يسوع الحقيقية.

بيلاطس واليهود: المحادثة الاولى (١٨:٢٨-٣٢)

٢٨ **وساقوا يَسوعَ من عند قَيافا إلى دارِ الحاكم. وكانَ ذلكَ عند الفَجْر، فلَم يَدخُلوا دارَ الحاكِمِ مَخافَةَ أَن يَتَنَجَّسوا فلا يَتَمَكَّنوا مِن أَكْلِ الفِصْح.**

٢٩ **فخرَجَ إِلَيهم بيلاطُس وقال: "بماذا تَتَّهمونَ هذا الرَّجُل؟"**

٣٠ **فأَجابوه: "لَو لم يَكُنْ فاعلَ شَرٍّ لَما أَسلَمْناهُ إِلَيكَ**

٣١ **فقالَ لَهم بيلاطُس: "خُذَوه أَنتُم فحاكِموه بِحَسَبِ شَريعتِكم". قالَ لَه اليَهود: "لا يَجوزُ لَنا أَن نَقتُلَ أَحَداً".**

٣٢ بذلك تمّ الكَلامُ الّذي قالَه يسوع مُشيراً إلى المِيتَةِ الّتي سَيموتُها.

يبقى اليهود خارجاً "كي لا يتنجسوا"، ذلك لأن المسكن كان قد تنجّس، سواء بشكل دائم (إذ كانوا قد دفنوا فيه موتى، او بسبب النساء الوثنيات اللواتي كنّ يسكنّ فيه، فجعلنه بالتالي نجساً)، ام بشكل مؤقت (بسبب وجود الخميرة، وهي ممنوعة في الاعياد الفصحية، ومنذ ظهر ١٤ نيسان). وكان هذا الخطر يمسّ بالاكثر الكهنة الذين يشرفون على خدمة ذبح الحملان.

لم يكن اقتسام السلطة القضائية في زمن الرومان واضحاً. ويعتقد كثيرون ان الحق في تنفيذ حكم الموت (وباللاتينية *jus gladii*) كان امتيازاً خاصاً بالمحتلّين. إلا ان هناك استثناءات، كالحكم بالموت الذي يطال، بشكل آلي، كل شخص غير يهودي يجتاز الحدود الممنوعة في المجال المقدس من الهيكل. وبشكل عام، لم يكن لليهود سلطة إلا على قرارات صغيرة (استشهاد اسطفانس في اعمال الرسل ٧:٥٥-٦٠، يمكن ان يُفهم بصفته حركة تعسفية شعبية خارجة عن القانون، كانت السلطة الرومانية قد غضّت الطرف تجاهها). وفي سائر الحالات، كان عليهم ان يحتكموا الى السلطة الرومانية التي كانت لها حرية التصرّف في الحكم على الذين لم يكونوا مواطنين رومانيين.

من المحتمل ان المؤلف كان يعرف هذه المعلومات التاريخية، او لم يُعرها اهمية، هو الذي يهتم بالاكثر بالمجابهة بين يسوع والبشر. وهوذا يسوع قد بدا وكأنه رهان تتنازع عليه السلطات الدينية (في الخارج) والسياسية (في الداخل). وبيلاطس، في خروجه ودخوله بين يسوع واليهود، لا يبدو ضعيفاً بالتمام (والصورة التاريخية لبيلاطس تعكس ساخراً، بقدر أكبر مما رسمه يوحنا حين بنى شخصيته)، بينما رُسمت ملامح اليهود بكثير من السلبية: انهم منغلقون على الخلاص، طالما وصفوا يسوع بانه "فاعل شر"، قبل ان تجري محاكمته، وانه في مخططهم، محكوم عليه مسبقاً بالموت. ونلمس القراءة المجددة التي قامت بها كنيسة يوحنا، حين رفعت المسؤولية عن بيلاطس (والرومان) الى اقصى حد، مواصلةً مجابهتها مع اليهود. ويشعر القراء المسيحيون بالهوّة بين صورتهم عن يسوع، سيد الاحداث ورب التاريخ (آ ٣٢)، وتلك التي رسمها اليهود له بصفته فاعل شر!

بيلاطس وبسوع: ملوكية يسوع (١٨:٣٣-٣٨)

٣٣ **فعادَ بيلاطُس إلى دارِ الحاكم، ثُمَّ دَعا يسوعَ وقالَ له: "أَأَنتَ مَلِكُ اليَهود؟"**

٣٤ **أَجابَ يسوع: "أَمِن عِندِكَ تَقولُ هذا أَم قالَه لَكَ فِيَّ آخَرون؟"**

٣٥ **أَجابَ بيلاطُس: "أَتُراني يَهودِيّاً؟ إِنَّ أُمَّتَكَ وعُظَماءَ الكَهَنَةِ أَسلَموكَ إِلَيَّ. ماذا فَعَلتَ؟"**

٣٦ **أَجابَ يسوع: "لَيسَت مَملَكَتي مِن هذا العالَم. لَو كانَت مَملَكَتي مِن هذا العالَم لَدافَعَ عَنِّي حَرَسي لِكَي لا أُسلَمَ إِلى اليَهود. ولكِنَّ مَملَكَتي لَيسَت مِن ههُنا".**

٣٧ **فقالَ له بيلاطُس: "فَأَنتَ مَلِكٌ إِذَن!" أَجابَ يسوع: "هوَ ما تَقول، فإِنِّي مَلِك. وأَنا ما وُلِدتُ وأَتَيتُ العالَمَ إِلاَّ لأَشهَدَ لِلحَقّ. فكُلُّ مَن كانَ مِنَ الحَقِّ يُصغي إِلى صَوتي".**

٣٨ **قالَ له بيلاطُس: "ما هو الحَقّ؟**

السؤال الذي وجهه بيلاطس الى يسوع عن ملوكيته، مطروح في الاناجيل الاربعة بألفاظ تكاد تكون هي ذاتها. ويتوسع الانجيلي يوحنا وحده في الجواب، عبر حوار بين يسوع وبيلاطس (لفظة "ملك" او "ملوكية" تظهر ٦ مرات في هذه الآيات). هوذا بيلاطس يستدرج يسوع الى الاعتراف بنفسه ملكاً، إلا ان يسوع يقيم للحال مسافة، مبدياً تحفظاته بالنسبة الى صورة الملوكية الارضية، ولكن من دون ان يرفض اللقب ذاته. ولما كانت عبارة "ملك اليهود" لقباً اتخذه الملوك الحشمونيون، آخر ملوك اسرائيل قبل الاحتلال الروماني، ندرك مخاوف يسوع ازاء الالتباسات السياسية العالقة بعبارة "ملك اليهود" في القرن الاول.

إلا ان احتجاج يسوع كان اكثر اتساعاً: فملوكيته ليست تلك التي ينتظرها اليهود، ولا تلك التي تخيلها بيلاطس؛ كما انها ليست على شبه ملوكية البشر التي تُقيَّم بقوة الجيوش واتساع الفتوحات. فملوكيته تأتي من مكان آخر، من حيث "وُلد" يسوع، ومن حيث "جاء"، هو الكائن "منذ البدء". وهي تتوطد، لا بالقوة، بل عبر إعلان كلام وحي. فالذين يقبلون بها، يصبحون اعضاء في هذا الملكوت، لا في آخر الازمنة حسب، بل منذ الآن. وهؤلاء هم "الذين ينتمون الى الحق"، أي اولئك الذين يُصغون الى كلام الوحي.

ويجيب بيلاطس الذي دخل مع يسوع في حوار بمزحة تَنُمّ، اما عن سخرية او عن شك. ونجدنا تجاه دعوى، وقد تغيَّر وجهها! ذلك ان المتّهِم يصبح المتَّهم؛ والضحية تتحول الى دور الحاكم. فلقد دخل بيلاطس ذاته في دينونة. لا شك انه رفض الاتهامات الموجهة ضد يسوع: ذلك ان يسوع هذا ليس، في نظر بيلاطس، ولا في نظر القارئ، "فاعل الشر" كما يدّعي اليهود. إلا ان بيلاطس يرفض ان يكون تلميذاً ليسوع وعضواً في الملكوت.

بيلاطس واليهود: برأبّا (١٨:٣٨-٤٠)

٣٨ب "قالَ ذلكَ، ثُمَّ خرَجَ ثانيَةً إلى اليَهود فقالَ لَهم: "إنّي لا أَجدُ فيه سَبَباً لاتِّهامه.
٣٩ ولكن جَرَت العَادَةُ عِندَكُم أَن أُطلِقَ لَكم أَحَداً في الفِصْح. أَفتُريدونَ أَن أُطلِقَ لَكمُ مَلكَ اليَهود؟"
٤٠ فعادوا إلى الصِّياح: "لا هذا، بل بَرْأَبّا!". وكان بَرْأَبّا لِصّاً.

هذا المشهد الذي يجري بين بيلاطس واليهود يكشف، في آن واحد، عن براءة يسوع وعن خبث اليهود: فمن جهة، هوذا بيلاطس يعلن براءة يسوع؛ ومن جهة اخرى، حين يفضّل اليهود اطلاق سراح برأبّا، "اللص" على اطلاق يسوع، البار، فهم انما يعترفون بأن الدافع الى الحكم على يسوع هو من نوع آخر. ذلك انهم أسلموا يسوع بصفة "فاعل شر". وحين تمت تبرئة يسوع، فضّلوا ان يطلقوا سراح فاعل شر حقيقي! وبيلاطس ذاته، اختار العالم وسرابه مقابل الحقيقة التي عرضها عليه يسوع.

الجلد والتكليل (١٩:١-٣)

١٩ ١ فأَخَذَ بيلاطُسُ يسوع وجَلَدَه.
٢ ثُمَّ ضفَرَ الجُنودُ إكليلاً من شَوك ووضَعوه على رَأسه، وأَلبَسوه رِداءً أُرجُوانيّاً،
٣ وأَخَذوا يَدنُونَ مِنهُ فيَقولون: "السَّلامُ عَلَيكَ يا مَلِكَ اليَهود!" وكانوا يَلطِمونَه.

يُفتَرَض ان يكون المشهد قد جرى في الداخل طالما انه تمَّ بين خروجين (١٨:٣٨ و١٩:٤). ولا يُعرَض الجلد لدى يوحنا، بصفته بداية العقاب الذي يبلغ ذروته على الصليب، كما لم يكن امتحاناً جسدياً لاضعاف المحكوم عليه، او لانتزاع اعترافات ما. انما يهدف بالاحرى الى جعل يسوع شبيهاً بالخادم المتألم الذي "أسلم ظهره للضاربين" (اشعيا ٥٠:٦). ومشهد الجلد، بالنسبة الى الجنود، هو سخرية؛ ولكنه، بالنسبة الى القراء، يكشف الحقيقة عن يسوع، الملك المُدمى والمُستَهزَأ به. ويشكل المشهد، في الوقت ذاته، إعداداً للمواجهة بين الملك الذي لا صورة له، وبين الشعب اليهودي.

بيلاطس واليهود: هوذا الرجل (١٩:٤-٧)

٤ **وخَرَجَ بيلاطُسُ ثانياً وقالَ لَهم: "ها إِنِّي أُخرِجُه إِلَيكم لتَعلَموا أَنِّي لا أَجِدُ فيه سَبَباً لاتِّهامه".**
٥ **فخَرَجَ يسوعُ وعلَيه إِكْليلُ الشَّوكِ والرِّداءُ الأُرجُوانِيّ، فقالَ لَهم بيلاطُس: "ها هُوَذا الرَّجُل!"**
٦ **فلمَّا رآه عُظَماءُ الكَهَنَة والحَرَس صاحوا: "اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ! "قالَ لَهم بيلاطُس:" خُذوه أَنتُم فاصلبوه، فإِنِّي لا أَجِدُ فيه سَبَباً لاتِّهامه".**
٧ **أَجابَه اليَهود: "لَنا شَريعَة، وبِحَسَبِ هذه الشَّريعة يَجِبُ علَيه أَن يَموت لأَنَّه جعَلَ نَفْسَه ابنَ الله".**

انه الخروج الثالث لبيلاطس حيث يعلن، للمرة الثانية، براءة يسوع المتشح بالشارات الملوكية (الاكليل ورداء الارجوان). "هوذا الرجل": تبدو العبارة غامضة وتفتح المجال لتفسيرات عديدة . فبالنسبة الى بيلاطس واليهود، قد تعبّر عن السخرية. اما القارئ المسيحي، بالمقابل، فهو يعلم ان هذه المناداة حقيقية، وفق حقيقة تخفى على بيلاطس واليهود. ذلك ان الانتظار المسيحاني الطويل قد بلغ أوَجَه. فالرجل "ابن الانسان" هو هنا، ملك مُستَهزَأ به، ومع ذلك فهو يُتم، عبر مسيرته البائسة، الطريق المجيد الذي يقود الى كشفه الكامل.

بين اليهود والمسيحيين، هناك هوّة كريستولوجية اصبحت ظاهرة. فما يعتبره اليهود والمجمع إدّعاء يتضمن التجديف "يجب ان يموت لانه جعل نفسه ابن الله"، يصبح بالعكس تعبيراً عن ايمان المسيحيين الحقيقي الذين يعترفون ان يسوع هو ابن الله.

بيلاطس ويسوع: سلطان بيلاطس (١٩:٨-١٢)

٨ فلَمَّا سَمِعَ بيلاطُسُ هذا الكَلامَ اشتَدَّ خَوفُه.
٩ فعادَ إلى دارِ الحُكومَة وقالَ لِيَسوع: "من أَينَ أَنتَ؟" فلَم يُجبْه يسوعُ بشَيء.
١٠ فقالَ له بيلاطُس: "أَلا تُكَلِّمُني؟ أَفَلَستَ تَعلَمُ أَنَّ لي سُلْطاناً على أَن أُخلِيَ سبيلَكَ، وسُلطاناً على أَن أَصلبَكَ؟"
١١ أَجابَهُ يسوع: "لو لم تُعطَ السُّلطانَ مِن عَلُ، لَما كانَ لَكَ عَلَيَّ مِن سُلْطان، ولِذلِكَ فالَّذي أَسلَمَني إِلَيكَ عَلَيه خَطيئَةٌ كبيرة".
١٢ فحاولَ بيلاطُسُ من ذلك الحين أَن يُخلِيَ سَبيلَه، ولكنَّ اليَهودَ صاحوا: "إِن أَخلَيتَ سَبيلَه، فَلَستَ صَديقاً لِقَيصَر، لأَنَّ كُلَّ مَن يَجعَلُ نَفْسَه مَلِكاً يخرُجُ على قَيصَر".

هوذا بيلاطس الذي يمثّل السلطة الرومانية، قد نال منه "الرعب". وسؤاله "من اين انت؟"، انما يكرر، كما ألفنا ذلك لدى يوحنا، الدافع الى معرفة اصل يسوع السّري. ويكشف صمت يسوع عن الهوّة القائمة بينه وبين بيلاطس الذي كان عاجزاً عن تلقّي سرّ الله في يسوع. اما سلطان بيلاطس (في ان يُطلق او ان يَصلب)، فلم يكن سوى ظاهرياً. ذلك ان يسوع، في الواقع، "الذي مملكته ليست من هذا العالم"، فهو انما يأتي "من فوق"، ذاك المكان السّري والالهي. لا شك ان بيلاطس يتحمل مسؤولية اقل من الآخرين، إلا ان الحياد ازاء يسوع امر مستحيل، لذا فان بيلاطس ايضاً حُكم عليه، لانه فضّل العالم على تلقّي الكشف في يسوع.

بيلاطس واليهود: هوذا ملككم (١٩: ١٣-١٦)

١٣ فلَمَّا سَمِعَ بيلاطُسُ هذا الكَلام، أَمَرَ بِإِخراجِ يسوع، وأَجلَسَه على كُرسيِّ القَضاءِ في مَكانٍ يُسَمَّى البَلاط ويُقالُ له بالعبريَّة غَبَّاثَة.
١٤ وكانَ ذلكَ اليَومُ يَومَ تَهيئَةِ الفِصْح، والسَّاعةُ تُقارِبُ الظُّهْر. فقالَ لِليَهود: "هاهُوَذا مَلِكُكُم!"
١٥ فصاحوا: "أَعدِمْه! أَعدِمْه! اصْلِبْهُ!" قالَ لَهم بيلاطس: "أَأَصلِبُ مَلِكَكُم؟" أَجابَ عُظَماءُ الكَهَنَة: "لا مَلِكَ علَينا إِلاَّ قَيصَر!"
١٦ فأَسلَمَه إِليهم لِيُصلَب.
فأَمسَكوا يسوع.

وتبلغ الدعوى ذروتها. لقد تبيّن لبيلاطس ان يسوع ليس خَطِراً من الناحية السياسية. ولما كانت الجملة تتحمّل ترجمتين ممكنتين –"بيلاطس **أجلس** يسوع" أو "بيلاطس جلس"– فبوسعنا ان نؤثر قراءتها بهذا الشكل: "أجلس" يسوع، على مثال ملك ينتظر الولاء من رعاياه. ذلك ان يوحنا يلعب على المعنى المزدوج للصور والاحداث. فبالنسبة الى اليهود، سقطت الاقنعة والظواهر: "إن اخليت سبيله، فلست صديقاً لقيصر" (آ ١٢). ونجدنا بازاء لوحة غريبة، يرفض فيها الرومان ان يصلبوا "ملك اليهود"، البريء، في نظرهم، بينما ينكر اليهود ملكهم لصالح سلطة اجنبية: "لا ملك علينا إلا قيصر!". كيف نفهم بان بوسع مؤمنين يهود ان يتخلوا نهائياً عن انتظار مسيح، ويمنحوا ولاءهم للسلطة الرومانية. وبالعكس، نعلم ان اليهود، في نهاية القرن الاول، لم يفتأوا يحلمون بمجيء مسيح، كما يَشهد هذا المقطع من البركة الحادية عشرة، التي تضمنتها الصلاة الشهيرة المعروفة بـــ "البركات الثمانية عشرة": "املك علينا، انت وحدك". لذا وجب ان نرى، في العرض الذي ادلى به يوحنا، قراءة مسيحية مجددة فسّرت رفض اليهود ليسوع (وهو المسيح الوحيد والفريد للمسيحيين) بصفته تخلياً حاسماً عن المسيح اليهودي!

وكانت الساعة السادسة (حوالي الظهر) قد بدأت، وهي الساعة التي فيها، بحسب التقليد اليهودي، كان ينبغي ان توقف الاشغال للدخول في احتفال الفصح. وفي هذه الساعة، بالضبط، اعلن بيلاطس احتفالياً ملوكية يسوع امام اليهود؛ بينما تخلّى اليهود، في هذه الاجواء الفصحية المسيحانية الحارة، وبشكل نهائي، عن كل شكل من المسيحانية، مانحين ولاءهم لسلطة قيصر وحدها! وبالمقابل، ستكون ساعة الخلاص قد أتت لأولئك الذين استقبلوا يسوع، أي القراء المسيحيين. وهكذا بدت ملوكية يسوع هنا واقعاً اكيداً، وقد قبلوها ما دامت تعلن ان المسيح كُلِّل ملكاً، على الصليب، وعبر الاحداث التي أوصلته اليه.

واصبح يسوع، منذ اعتقاله، ينتقل من يد الى يد. يقول بيلاطس: "خذوه" (١٨:٣١)؛ "اخذه" بيلاطس (١٩:١)؛ "اخذوه" (١٩:١٦). ولكن، بالرغم من كل هذه المظاهر، لم يكن لاحد "قدرة" عليه. فيسوع، على العكس، يوطد ملوكيته طيلة درب الآلام، داعياً الذين ارتضوا ان "يؤخَذوا" بكلامه، الى مرافقته حتى الصليب.

د. الصلب (١٩:١٧-٣٧)

الكتابة على الصليب (١٩:١٧-٢٢)

١٧ فخَرَجَ حامِلاً صَليبَه إلى المَكان الَّذي يُقالُ لَه مَكانَ الجُمجُمة، ويقالُ لهُ بالعِبريَّة جُلْجُثَة.
١٨ فَصَلَبوهُ فيه، وصَلَبوا معَه آخَرَين، كُلٌّ منهُما في جِهَة، وبَينَهما يسوع.
١٩ وكَتَبَ بيلاطُسُ رُقعَةً وجَعَلَها على الصَّليب، وكانَ مكتوباً فيها: "يسوعُ النَّاصِريُّ مَلِكُ اليَهود"
٢٠ وهذه الرُّقعَةُ قَرَأَها كَثيرٌ منَ اليَهود، لأَنَّ المكانَ الَّذي صُلِبَ فيه يسوع كانَ قريباً منَ المَدينَة. وكانَت الكتابَةُ بالعِبريَّة واللاَّتينيَّة واليُونانيَّة.
٢١ فقالَ عُظَماءُ كَهَنَةِ اليَهودِ لبيلاطُس: "لا تَكتُبْ: مَلِكُ اليَهود، بلِ اكتُبْ: قالَ هذا الرَّجُل: إِنِّي مَلِكُ اليَهود".
٢٢ أَجابَ بيلاطس: "ما كُتِبَ قد كُتِب!".

خلافاً للاناجيل الازائية (حيث سمعان القيريني يساعد يسوع في حمل الصليب)، لم يكن يسوع، في انجيل يوحنا، بحاجة الى أي عون للذهاب الى مكان تنصيبه الملوكي. وحين اكد الانجيلي على ان يسوع هو سيد الاحداث، فلم يدع احداً يقود آلامه الى ذروتها، ذلك انه شاء ولا شك ان يحارب ميولاً "ظاهرية" (ولفظة "يبدو وكأنه شبيه" هي اشارة الى هرطقة الظاهريين) كانت لا تزال حاضرة في الكنيسة الاولى، وبموجبها لا يكون يسوع قد تألم حقاً، بل حلّ محله شبيهه، في آخر لحظة!

وها هي الجلجلة تُعرَض بأبّهة. وكما كان الامر بالنسبة الى التنصيب في ١٣:١٩، فان المراجع الطوبوغرافية (تخص طبيعة الاماكن) تبدو دقيقة هنا، لأن تاريخ الخلاص يندرج في المكان والزمان. فالمكان يدعى "جلجثة" أي مكان "الجمجمة" -واصل الكلمة ليس اكيداً، كما هي الحال مع العديد من الاسماء. وقد تكون التسمية بسبب شكل التلّة العاري، او بسبب وجود جماجم، نتيجة اعدامات سابقة. وشاء عدد من آباء الكنيسة ان يروا في التلّة -بتأثير من تسمية يسوع "آدم الجديد" ولا شك- موقعاً لجمجمة آدم!

ويُروى الصلب، بحسب يوحنا، بطريقة فريدة. فلقد أسقط الانجيلي العديد من التفاصيل الموجودة لدى الازائيين، من مثل محاولة جعل يسوع يشرب خمراً قبل صلبه (مرقس ١٥:٢٣)، أو كلمات التجديف ضد يسوع (مرقس ١٥:٢٩-٣٢) التي كان من شأنها ان تُعتّم على ملوكية يسوع، في نظر قراء مسيحيين؛ كما انه لم يقل شيئاً عن تفاصيل وردت لدى الازائيين، كأن اظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل (متى ٢٧:٥١-٥٤). ولا نجد لديه توضيحاً عن هوية المصلوبَين، وقد يكون فعل ذلك كي لا يدع نظر القارئ، من خلال تلميحات تاريخية دقيقة، يتحوّل من الشخص المركزي يسوع الى الغيارى (ذلك ان كلمة "لص" كانت لفظة تقنية في لغة المؤرخين والانجيليين للاشارة الى الغيارى). فعذاب الصليب الذي كان يعتبره الاقدمون "العقاب الاكثر قسوة ورهبة" (شيشرون)، تحول في نظر المؤمن، الى مشهد ملوكي كشف فيه يسوع ذاته لرعاياه.

وتشير الاناجيل الاربعة (وكل منها بصيغة فريدة) الى كتابة العنوان (*titulus*) الذي كان، بحسب العادة الرومانية، يوضح علّة الحكم. إلا ان يوحنا أضفى عليه مهابة خارقة، حين جعل بيلاطس ذاته مسؤولاً عن الكتابة، مشدِّداً على اللغات الثلاث: العبرية (الآرامية؟) -وهي لغة اليهود الاعتيادية-، واللاتينية -وهي لغة المحتّلين-، واليونانية -وهي لغة الامبراطورية؛ كما جعل هذه الكتابة تصبح موضوع نقاش بين بيلاطس واليهود. وقد يوحي الحوار اللغزي في ما بينهم بالاثر الذي تركته مجادلات حادة ضد اليهود في زمن يوحنا: ذلك ان ملوكية يسوع، بالرغم من احتجاجهم عليها، فرضت نفسها عليهم، حتى ان السلطة السياسية ذاتها أيّدتها دون مناقشة: فبيلاطس الذي كان قد استجاب حتى الآن لليهود، في كل شيء، هوذا يبدو حازماً دون هوادة: "ما كُتب قد كُتب".

اقتسام الثياب (آ ٢٣-٢٤)

٢٣ **وأَمَّا الجُنود فبَعدَما صَلَبوا يسوع أَخذوا ثيابَه وجَعلوها أَربَعَ حصَص، لكُلِّ جُنديٍّ حصَّة. وأَخَذوا القَميصَ أَيضاً وكانَ غيرَ مَخيط، مَنسوجاً كُلُّه منَ أَعلاهُ إِلَى أَسفَله.**

٢٤ **فقالَ بَعضُهم لبَعض: "لا نَشُقَّه، بل نَقتَرِعُ علَيه، فنَرى لمَن يَكون". فتَمَّت الآية: *"اقتَسَموا ثيابي وعلى لباسي اقتَرعوا"*. فهذا ما فَعَلَه الجُنود.**

ينقل الانجيليون الاربعة الحدث؛ ويوحنا، اكثر من الآخرين، يبرّزه إذ يوضح ان الثياب جعلت اربع حصص، مثبتاً المرجع الكامل للآية ١٩ من المزمور ٢٢، بحسب الترجمة السبعينية، ومتوسّعاً في موضوع القميص غير المخيط. وكان القميص قطعة واحدة من القماش تُرتَدى مباشرة على الجسم. ورأى المفسرون في هذا القميص غير الممزق، سواء تلميحاً الى القميص غير المخيط الذي يلبسه عظيم الكهنة، أم رمزاً الى وحدة المسيحيين. إلا ان مجمل الرواية تميل بالاكثر نحو تفسير آخر، إذا ما اعتبرنا ان الجند الذين قاموا بهذا العمل كانوا سرّاقاً: فالمعنى الاول يشدّد على تخلّي يسوع الكامل عن كل ما هو، وعن كل ما له. وفي الوقت ذاته، تشهد الكتب بان الجند هم انفسهم، من غير علم منهم، منقادين لفعل فاعل يقود الاحداث، بشكل يجعل ما كُتب يتحقق. فما بين الظواهر (يسوع يسلّم الى ارادة البشر) والواقع، هناك حقيقة تُعلن، يطالها فقط الذين يعرفون ان يفسّروا الكتب المقدسة: تلك الحقيقة التي تُعرض من أعلى الصليب على المارّة ("كثير من اليهود قرأوا الكتابة")، ومن خلالهم، على كل البشر الذين يفهمون اللغات الثلاث للعالم اليهودي والعالم اجمع؛ وماذا نقول عن الأسفار اليهودية (والمزمور بنوع خاص) التي ألهمت تصرف الجنود دون علم منهم! وهذه الكتابات، ما أنْ دُوّنت في انجيل يوحنا، وإذا بها تنادي قراء المستقبل الذين "سيقرأون الكتابة" كي يُجدّدوا موقفهم ازاء يسوع المصلوب!

التلميذ الحبيب وأم يسوع (١٩:٢٥-٢٧)

٢٥ **هُناكَ عندَ صَليبِ يسوع، وقَفَت أُمُّه، وأُختُ أُمِّه مَريَمُ امرأَةُ قَلُوبا، ومَريَمُ المجدَليَّة.**
٢٦ **فرأَى يسوعُ أُمَّه وإِلى جانبِها التِّلميذُ الحَبيبُ إِلَيه. فقالَ لأُمِّه: "أَيَّتها المَرأَة، هذا ابنُكِ".**
٢٧ **ثُمَّ قالَ لِلتِّلميذ: "هذه أُمُّكَ". ومُنذُ تِلكَ السَّاعةِ استَقبَلَها التِّلميذُ في بَيتِه.**

يوحنا، على غرار الازائيين، يسمّي عدداً من النسوة حول يسوع. والنسوة، لدى يوحنا، لسنَ **عن بُعد** (مرقس ١٥:٤٠)، بل **بالقرب** من الصليب. بالاضافة الى ذلك، لا تتوافق هوية النساء، من انجيل الى آخر. والمرأة الوحيدة المشتركة لدى الاناجيل الاربعة هي مريم المجدلية. ومن النافل ان نبحث عن تلاقيات، على مثال اولئك الذين ارادوا أن يشخّصوا "اخت امه" (يوحنا ١٩:٢٥) مع ام ابني زبدى (متى ٢٧:٥٦) ومع سالومي

(مرقس ١٥: ٤٠)؛ ذلك ان مثل هذا التشخيص يدّعي تقديم شروحات واضحة (اكثر من المطلوب!)، بحيث يصبح يسوع بموجبها ابن خالة يوحنا ابن زبدى، ويكون من المنطقي من ثم ان يلتقي معاً ابن الخالة والخالة!

إلا ان الرواية اليوحنانية هي من الرمزية بقدر كبير، بحيث لن يعود لمثل هذه القراءة من مكان. فيوحنا، بعد ان وضع على المسرح الجنود المتطاولين (ولم تكن لهم صلاحية سوى على الجسد وعلى جثمان يسوع)، أدرج الورثة الحقيقيين: امه والتلميذ الذي كان يحبه.

ويسوع الذي جُرّد ظاهرياً من كل شيء، ما زال يحتفظ بسيادته على الاحداث. فساعته التي لم تكن قد اتت بعدُ، حين تمت الملاقاة الاحتفالية الاولى بين يسوع وامه، في بدء حياته العلنية (يوحنا ٢: ٤)، ها هيذي قد اتت اخيراً. ذلك ان قانا كانت مفتتح الآيات. وهنا، هوذا الوحي يبلغ ذروته في موت يسوع؛ وهكذا اصبح بوسع يسوع، "حين رأى ذلك"، ان يجعل ما كانت مريم قد افتتحته في قانا، يتخذ مكانه: أي جماعة الذين دُعوا ليحملوا ارث يسوع ويجعلوه ارثاً حيًّا. "ايتها المرأة، هذا ابنك": فمريم هي صورة الذين ينتظرون الخلاص ويسعون الى مجيئه. وها هي هنا تُثبَّت بصفتها اماً "للتلميذ الذي كان يسوع يحبه"، بمعنى انها اصبحت ام ذاك الذي يرمز الى المؤمن الحقيقي، ذاك الذي "يعمل كل ما يقوله" (يوحنا ٢: ٥). اما التلميذ الحبيب، فقد أعطي، هو الآخر، الى ام يسوع، بصفة ابن. وهكذا، فالكنيسة التي امها مريم -ما دامت اولى المؤمنات- وُلدَت في هذه الكلمة المؤسِّسة. ولن يعود التلاميذ يتامى، لأن لهم مكاناً يوجدون فيه: انها الجماعة المؤمنة التي ترمز اليها ام يسوع، هي التي لزمها أن تجلس لتصغي الى الذي وضعته في العالم. ذلك ان للتلاميذ برنامجاً قيد التحقيق: انه الحب الذي يربط يسوع بالتلميذ. فالتلميذ يتلقى الام في بيته ويعترف بها امًّا. ويتواصل وحي يسوع: فالمفسّرون الاصيلون هم التلاميذ والام معاً. وحين قال يسوع هذا، أنجز عمله (١٩: ٢٨).

موت يسوع (آ ٢٨-٣٠)

٢٨ **وبَعدَ ذلك، كانَ يَسوعُ يَعلَمُ أَنَّ كُلَّ شَيءٍ قدِ انتَهى، فلِكَي يَتِمَّ الكِتاب، قالَ: "أَنا عَطْشان".**

٢٩ **وكانَ هُناكَ إِناءٌ مَمْلوءٌ خَلاًّ. فوَضَعوا إِسْفَنجَةً مُبتَلَّةً بِالخَلِّ على ساقِ زوفى، وأَدنَوها مِن فَمِه.**

٣٠ فلَمَّا تَناوَلَ يسوعُ الخَلَّ قال: "تَمَّ كُلُّ شَيء" ثُمَّ حَنى رأسَهُ وأَسلَمَ الرُّوح.

لا نجد لدى يوحنا، لا التجاديف والسخريات التي رافقت موت يسوع، ولا صرخة اليأس النهائية، كما لدى الازائيين. فالانجيلي يصف اللحظات الاخيرة من حياة يسوع بمثابة افعال يقوم بها، بحرية، ذاك الذي يسيطر على مصيره حتى النهاية، هو الذي يقول ويعمل ما يجب. ففعل "أتمّ" يفتتح ويختتم هذا المقطع. اما عبارة "انا عطشان"، فقد تكون صرخة طبيعية لمدنف على الموت ذاب عطشاً. وسرعان ما يصبح ذلك، لدى يوحنا، قولاً ليسوع به "يُتمّ الكتب"، وبوعي كامل. ذلك ان يسوع يتماثل مع المزّمر المضطَهَد: "في عطشي سقوني خلاًّ" (مزمور ٦٩:٢٢). وهكذا يعبّر امام الجميع عن فقره وعن عوزه. وتوحي فكرة "التتميم" ايضاً بطاعة يسوع البنوية، هو الذي أحبّ تلاميذه "حتى النهاية" (١٣:١)، وهو "العطشان" الى "الكأس التي اعطاها اياه الآب ليشربها" (١٨:١١)، والجائع الى ارادته: "طعامي ان اعمل مشيئة الذي ارسلني وان أُتمّ عمله" (٤:٣٤). فيسوع يشرب كأس الموت، المرير كالخل، ويموت من ثم، وتكون الرسالة قد كملت.

التلميذ الذي يحبه يسوع

ينفرد مؤلف الانجيل الرابع عن سائر الانجيليين، على مدى روايته، في زرع مؤشرات تفسح المجال، إذا لم نقل لتشخيصه، فعلى الاقل، لتتبّع آثاره. فهذه المقاطع يمكن ان تُجمع في ثلاث مجموعات:

أ) في ١:٣٧-٤٠، تلميذان ليوحنا المعمذان يتبعان يسوع، وواحد منهما يُعطى اسما: اندراوس. ومن ثم يأتي سمعان بطرس وفيلبس ونثنائيل باسمائهم. ألا يكون ذاك المجهول اشارة أولى خلفها المؤلف عن نفسه؟

ب) في مقطعين، هناك حديث عن "التلميذ الآخر": ١٨:١٥-١٦ و٢٠:٢-١٠.

ج) في ست مناسبات، يلعب "التلميذ الذي كان يسوع يحبه" دوراً هاماً: ١٣:٢٣-٢٦؛ ١٩:٢٥-٢٧؛ ٢٠:٢-١٠؛ ٢١:٧؛ ٢١:٢٠-٢٣؛ ٢١:٢٤. والسمة المشتركة في اغلب هذه المقاطع، هي انها تُشرك، بشكل وثيق، سمعان بطرس وهذا التلميذ الآخر المشار اليه بلقب لغزي. قد يكون في اخفاء شخصه علامة تواضع؛ ولكن كان باستطاعته، في هذه الحالة، ان يختار تسمية اقل مجداً!

وتبيّن قراءة مجمل هذه النصوص انها تضع، في موازاة، سمعان بطرس وهذا التلميذ؛ وان هذا التلميذ يسبق بطرس دوماً، لا بل هو وسيطه: فهو الذي أدخله الى قصر عظيم الكهنة، وهو الذي سبقه الى القبر (قبل ان ينسحب امامه)، كما انه هو الذي عرف يسوع، اولاً، على شاطئ البحيرة وأعلم بطرس.

وهناك مشهد قد يكون مفتاحاً لهذا اللغز، وهو المشهد الاول الذي فيه ظهر التلميذ الذي كان يسوع يحبه. ففي ٢١:١٣، نراه "متّكئا على صدر يسوع": وهذه القربى الجسدية (وقد أعيد التذكير بها في ٢٤:٢١) تعني اكثر من مجرد حضور مادّي. ففي اللحظة التي سلم فيها يسوع وصيته، كان هذا التلميذ في شركة عميقة مع المعلم. ولما كان شاهدا امينا حتى النهاية، فسيكون، عبر انجيله المكتوب، الصورة المثالية لذاك الذي فهم المعلم، كما انه يستقر، عبر حبه، في "المقام" الثابت والحاسم ("لو شئت ان [يبقى]"، ٢٣:٢١).

لا يسمح لنا كل ذلك ان نشخّصه بشكل اكيد: فالانجيلي الرابع (وليس أكثر من الآخرين) لم يبحث قط أن يكون في المركز من روايته. إذ ينبغي ان يكون يسوع وحده يُلهم كتابته ويستقطب قراءه. ومن النافل -كما يشاء بعضهم ان يفعلوا- أن نشخّص فيه لعازر، الرجل الوحيد المذكور بوضوح بأن يسوع كان يحبه! ولكن، من غير المعقول أيضا ألا نرى فيه سوى صورة رمزية للمؤمن الكامل. فهذه الرمزية حاضرة ولا شك، ولكن يجب ان ترتكز على واقع تاريخي. وانجيل يوحنا، مع فرادته، لم يكن بوسعه ان يُقبَل في الكنيسة، إلا لأن شخصا تاريخيا، من درجة اولى، كان وراءه، شخصا رافق يسوع منذ بداية رسالته.

لقد ذهب يسوع الى اقصى الطاعة (٣١:١٤)؛ مُكمِّلاً العمل الموكَل اليه (٤:١٧). وهكذا، حتى النهاية، كان سيد مصيره، حتى عبر الصورة ذاتها التي وصفت موته: "اسلم الروح"، أي انه قاد امانته للآب الى النهاية، أي حتى الفعل الذي به سلّم حياته بين يديه. ففي هذا الفعل النهائي، تبلغ الكريستولوجيا ذروتها، لدى يوحنا، وهي غير ذاك التخلّي وتلك العزلة المأساويين اللذين عرفهما يسوع، بحسب وصف مرقس ومتى. ففي هذه اللحظة لم يكن يسوع وحيداً: "لم يتركني الآب وحدي، لاني اعمل دائماً ابداً ما يُرضيه" (٢٩:٨). فموت يسوع هو عودة الابن الى ابيه. وتعني كلمته الاخيرة "تمّ كل شيء"، انه أنجز رسالته على احسن حال. ولكنها ايضاً فعل خلاص باتجاه البشر. وبوسعنا، اذن، مع عدد من المفسرين، أن نفسّر موت يسوع بصفته حركة يسوع القصوى، "منحنياً" نحو كنيسته الناشئة والممثَّلة بامه والتلميذ الحبيب، ومسلّماً روحه بمثابة إرث.

الجنب المطعون (٣١-٣٧)

٣١ **وكانَ ذلكَ اليَومُ يَومَ التَّهيئَة، فَسأَلَ اليَهُودُ بيلاطُس أَن تُكسَرَ سُوقُ المَصلوبين وتُنزَلَ أَجسادُهُم، لِئَلاَّ تَبْقى على الصَّليب يَومَ السَّبت، لأَنَّ ذاكَ السَّبْتَ يَوْمٌ مُكَرَّم.**

٣٢ **فجاءَ الجُنودُ فكَسروا ساقَيِ الأَوَّلِ والآخَرِ اللَّذينَ صُلِبا معَه.**

٣٣ أَمَّا يسوع فلَمَّا وَصَلوا إليه ورأَوهُ قد مات، لَم يَكسروا ساقَيْه،
٣٤ لكنَّ واحداً مِنَ الجُنود طَعَنه بحَربَة في جَنبه، فخرَجَ لِوَقته دَمٌ وماء.
٣٥ والَّذي رأَى شَهِد، وشَهادَتُه صَحيحة، وذاك يَعلَمُ أَنَّه يَقولُ الحَقَّ لِتُؤمِنوا أَنتُم أَيضاً.
٣٦ فقد كانَ هذا لِيَتمَّ الكتاب: *"لن يُكسَرَ له عَظْم"*.
٣٧ ووَرَدَ أَيضاً في آيَةٍ أُخرَى مِنَ الكِتاب: *"سَيَنظُرونَ إِلى مَن طَعَنوا"*.

الاحداث التي تلت مباشرة موت يسوع، ونقلها يوحنا، هي من الاحداث التي انفرد بها: طلب اليهود من بيلاطس ان تُكسر سوق المصلوبين لاستعجال موتهم (قبل ان يبدأ عيد الفصح)، ويتم انزالهم من الصليب. ويستجيب بيلاطس لليهود، هذه المرة، بينما كان من عادة الرومان ان تترك الجثث على الصليب، لكي يتواصل الرعب بين الشعب. وكما هي الحال غالباً لدى يوحنا، تفسح الاحداث المجال لقراءتين، بحسب طبيعة القراء. فاليهود الذين كانوا وراء هذا الطلب، يبدون هنا في موقف الغالب: سيكون بوسع عيد الفصح ان يجري بشكل طبيعي. ولكنهم في الواقع "محرَّكين" ومدفوعين بسلطة سرّية، إذ ان لتدخّل الجنود –وقد بدا ظاهرياً قراراً من الحاكم، على طلب من اليهود– معنى خَفِيَ عن الجميع، ولا يفهمه الا المؤمنون. فاليهود ظنوا انهم يُعدّون فصحهم الخاص؛ اما بالنسبة للمؤمنين، فقد فتحوا الباب لحركة رمزية تتعلق بالفصح الجديد:

الجند، بادئ بدء، لم يكسروا ساقي يسوع، كما فعلوا ذلك مع المصلوبَين الآخرين. والمعنى نجده موضَحاً، بالرجوع الى الحمل الفصحي الذي يجب "ألا يكسروا منه عظماً" (عدد ٩:١٢). وهكذا، فيسوع الذي يموت في ساعة ذبح حملان الفصح، وبالقرب منها، يصبح، سرّياً، الحمل الفصحي الجديد، أي الحمل الذي به يتأوّن عيد التحرير الكبير.

ومن ثم، عوض ان يُكسَر ساقا يسوع كما جرى للآخرَين (إذ حين يُترع عن المصلوب كل سنَد، يصبح موته اختناقاً)، طعن جندي جنبَه بحربة، فخرج منه دم وماء. لا يدّعي الانجيلي ان هناك حدثاً عجائبياً (لا نجد لديه اعجوبة ابان الآلام). ويمكننا ان نفسّر هذا الفعل وفق طب ذلك الزمن، كون الطعنة الموجهة الى القلب تهدف الى التأكُّد من ان الموت قد تم فعلاً؛ ومن هذا القلب المطعون خرج دم وماء. إلا ان الانجيلي –وكان بوسع هذه الملاحظة أن تبقى عنصراً تشريحياً– استخرج من هذا الواقع شهادة

احتفالية، فقيّمها وبرّزها. انها شهادة على ان التجسد امر واقعي جداً، وان موت يسوع، في واقعيته، يفتح نافذة على سر الخلاص المعلَن في ٣٨:٧: "كما ورد في الكتاب: ستجري من جوفه انهار من الماء الحي". ففي موت يسوع، جصرت ساعة تمجيده، ومُنح الروح للمؤمنين (٣٩:٧). وبقي على القارئ المسيحي أن يؤوِّن الحياة التي اعطاها يسوع، في سرّي العماذ (الولادة الثانية من الماء والروح، ٥:٣) والافخارستيا (٥٤:٦).

الفاعل، في الآية ٣٥ من النص اليوناني، هو اسم الاشارة **"ذاك"** ("وذاك يعلم") —وأوضحت الترجمة الليتورجية بأن الرب هو الذي "يعلم انه يقول الحق". وانقسم المفسرون: انه للبعض، الانجيلي ذاته، وقد شاء ان يشدد على اصالة شهادته وعلى حقيقتها العميقة. ولما كانت هناك سلطة تتسم بالمصداقية بشكل خاص، اعتقد آخرون ان المقصود هو الله، او بالاحرى هو يسوع ذاته.

أما إلحاح الانجيلي، فيهدف الى جعل قرائه يتأصّلون في الايمان بان موت يسوع هو ينبوع خلاص. وهناك مرجعان يؤكدان ان الاسفار المقدسة قد تمّت فيه: فالمرجع الاول (آ ٣٦) يوحي بثلاثة نصوص من العهد القديم: اثنان يؤكدان بان يسوع، على غرار الحمل الفصحي (خروج ٤٦:١٢؛ عدد ١٢:٩)، لم يكسر فيه عظم؛ والنص الثالث (مزمور ٢١:٣٤) يشهد بان يسوع، على غرار المؤمن البار، يبلغ الى القيامة من دون عيب. اما المرجع الثاني، فهو من زكريا ١٠:١٢ حيث يبدو الله مشخَّصاً في البار المضطَهَد (كانت الفصول ٩-١٤ من زكريا النبي مصدر الهام كبير لروايات الآلام). فهذه النظرة نحو المصلوب تتعلّق بفئتين من المشاهدين: الذين رفضوه، وهم مدعوون الى التوبة؛ وفريق المؤمنين الذين، حول مريم والتلميذ الذي كان يسوع يحبه، يتلقون الروح في موت يسوع.

هـ. الدفن (١٩:٣٨-٤٢)

٣٨ **وبَعدَ ذلك جاءَ يوسُفُ الرَّاميّ، وكانَ تلميذاً ليسوعَ يُخْفي أَمرَهُ خَوفاً مِنَ اليَهود، فسأَلَ بيلاطُسَ أَن يأخُذَ جُثمانَ يَسوع، فأَذِنَ له بيلاطُس. فجاءَ فأَخَذَ جُثْمانَه.**

٣٩ **وجاءَ نيقوديمُس أَيضاً، وهوَ الَّذي ذَهَبَ إِلى يَسوعَ لَيلاً مِن قَبلُ، وكانَ مَعه خَليطٌ مِنَ المُرِّ والعودِ مِقدارُه نَحوُ مِائةِ دِرهَم.**

٤٠ فحَمَلوا جُثْمانَ يسوع ولَفُّوهُ بِلَفائِفَ مع الطِّيب، كما جَرَت عادةُ اليَهودِ في دَفنِ مَوتاهُم.

٤١ وكانَ في المَوضِعِ الَّذي صُلِبَ فيهِ بُستان، وفي البُستانِ قَبرٌ جَديد لم يَكُنْ قد وُضِعَ فيهِ أَحَد.

٤٢ وكانَ القَبرُ قَريباً فَوضَعوا فيه يَسوع بِسَبَبِ تَهْيِئَةِ السَّبْتِ عِندَ اليَهود.

يلتقي هنا يوحنا، الى حد ما، بالرواية الازائية، حين ينسب الى يوسف الرامي، "تلميذ يسوع"، تدخله لدى بيلاطس للحصول على جسد يسوع. وينفرد يوحنا بتوضيح الطابع المخفي لايمان يوسف الرامي، كما بادراج نيقوديمس الى جانبه. كان لقاء نيقوديمس مع يسوع ابّان حياته، قد جرى ليلاً واسفر عن فشل. اما اللقاء الثاني، في لحظة ارتفاع يسوع على الصليب، فقد سجّل –وبتحفظ– انتقالاً ناجحاً. فبعد ان أُعيد، اولاً، الى ليله –وكان غائباً ابان الكشف الكبير عن حب الآب ("الله احب العالم حتى انه جاد بابنه"، ٣:١٦)– ها هو هنا، في ساعة تحقيق هذه الهبة، مع يوسف الرامي، "يأخذ جسد يسوع" (آ ٤٠).

ثلاثة اناجيل من اصل اربعة نقلت مشهد دهن يسوع: ينسبه مرقس ولوقا الى النساء ويجعلانه ابان الزيارة الى القبر. اما لدى يوحنا، فالرجلان هما اللذان يقومان بالدهن في مساء موت يسوع بالذات. فلقد لُفّ يسوع بلفائف وَوُضع في قبر جديد، في بستان. وحتى لو ان الكلمة ليست ذاتها كما في سفر التكوين (الذي استخدم لفظة "فردوس" الفارسية)، فلقد تحقق آباء الكنيسة من ان بداية رواية الآلام ونهايتها تحدثت عن بستان (١٩:١). ووفق عبارة باسكال: "يسوع هو في بستان، لا بستان الطيبات، كما كان آدم الاول، حيث هلك هو وكل الجنس البشري، وانما في بستان من العذاب، حيث خَلُص هو وكل الجنس البشري" (خواطر باسكال، رقم ٥٣٣).

الجزء الرابع:

يسوع القائم

(٢٠:١-٣١)

أ. الترائيات [٢٠:١-٢٩]

١. مريم المجدلية

وسمعان بطرس والتلميذ الآخر [٢٠:١-١٨]

٢. ترائي للتلاميذ [دون توما] [٢٠:١٩-٢٣]

٣. توما: الايمان من دون الرؤية [٢٠:٢٤-٢٩]

ب. خلاصة [٢٠:٣٠-٣١]

الجزء الرابع: يسوع القائم (٢٠:١-٣١)

أ. التراءيات (٢٠:١-٢٩)

يروي الفصلان ٢٠ و٢١ اربعة تراءيات ليسوع بعد قيامته: لمريم المجدلية (آ ١٤-١٨)، للتلاميذ من دون توما (آ ١٩-٢٣)، للتلاميذ مع توما في الاسبوع التالي (آ ٢٦-٢٩)، وللتلاميذ على شاطئ البحيرة (الفصل ٢١ الذي اضيف الى الانجيل في وقت لاحق). وان قسماً من هذه الارضية الروائية مشترك بين الاناجيل الاربعة (القبر الفارغ، الترائي للنساء وللتلاميذ). إلا ان يوحنا -وفي حوزته عين المصادر التي كانت في حوزة الازائيين- أعاد صياغتها بكثير من المهارة. فلقد شخّص بنوع فريد خبرات الايمان بعد القيامة، بربطها باشخاص مميزين، وبرسم نماذج ايمانية في غاية التنوع: فالتلميذ الذي كان يسوع يحبه، يؤمن دون ان يرى (٢٠:٨)؛ ومريم المجدلية لم تعرفه إلا متى دعاها باسمها (٢٠:١٦)؛ والتلاميذ يرونه ويؤمنون به (٢٠:٢٠)؛ وتوما لا يشاء ان يؤمن ما لم يكن قد رآه ولمسه.

ففي نظر يوحنا، تؤسس أحداث الآلام والموت ساعة التمجيد. وقيامة يسوع وتجلّياته وهو في المجد، هي ذات اهمية، لانها تأتي لتكلّل وتكرّس مجمل مسيرة يسوع، وقد فُسّرت، منذ البداية، في ضوء القيامة النهائية: "لما قام من بين الاموات، تذكّر تلاميذه انه قال ذلك، فآمنوا بالكتاب وبالكلمة التي قالها يسوع" (٢:٢٢). وهي، من جهة اخرى، تُعدّ زمن الكنيسة حين يصعد يسوع نحو الآب.

١. مريم المجدلية، سمعان بطرس والتلميذ الآخر (آ١-١٨)

٢٠ ١ **وفي يَومِ الأَحَد جاءَت مَريمُ المِجدَلِيَّةُ إِلى القَبْرِ عِندَ الفَجْر، والظَّلامُ لم يَزَلْ مُخَيِّماً، فرأَتِ الحَجَرَ قد أُزيلَ عنِ القَبْر.**

٢ **فأَسرَعَت وجاءَت إِلى سِمْعانَ بُطرُس والتِّلميذِ الآخَرِ الَّذي أَحَبَّهُ يسوع، وقالَت لَهما: "أَخَذوا الرَّبَّ مِنَ القَبْرِ، ولا نَعلَمُ أَينَ وَضَعوه".**

٣ فخرَجَ بُطرُسُ والتِّلميذُ الآخَرُ وذَهَبا إلى القَبْرِ
٤ يُسرِعان السَّيْرَ مَعاً. ولكنَّ التِّلميذَ الآخَرَ سَبَقَ بُطرُس، فوَصَلَ قَبلَه إلى القبْرِ
٥ وانحَنى فأبصَرَ اللَّفائفَ مَمْدودة، ولكنَّه لَم يَدخُلْ.
٦ ثُمَّ وَصَلَ سمْعانُ بُطرُس وكانَ يَتبَعُه، فدَخَلَ القَبْرَ فأبصَرَ اللَّفائفَ مَمْدودة،
٧ والمنديلَ الَّذي كانَ حَولَ رَأسِه غَيرَ مَمْدودٍ معَ اللَّفائف، بل على شكْلِ طَوْقٍ خِلافاً لَها، وكان كُلُّ ذلك في مَكانه.

٨ حينَئذ دخَلَ أيضاً التِّلميذُ الآخَرُ وقَد وَصَلَ قَبلَه إلى القَبْر، فَرأى وآمَنَ.
٩ ذلك بأَنَّهُما لم يكونا قد فهِما ما وَرَدَ في الكِتاب مِن أَنَّه يَجِبُ أَن يَقومَ مِن بَينِ الأَموات.
١٠ ثُمَّ رَجَعَ التِّلميذانِ إلى بَيتِهِما.

١١ أَمَّا مَريم، فكانَت واقفَةً عندَ القَبْرِ في خارجه تَبْكي. فَانحَنَت نَحوَ القَبرِ وهي تَبكي،
١٢ فرأَت مَلاكَينِ في ثِيابٍ بيضٍ جالِسَينِ حَيثُ وُضِعَ جُثمانُ يسوع، أَحَدُهما عِندَ الرأس، والآخَرُ عندَ القَدَمَين.
١٣ فقالا لَها: "لماذا تَبْكينَ أَيَّتُها المَرأَة؟" فأَجابَتْهما: "أَخَذوا رَبِّي، ولا أَدْري أَينَ وَضعوه".
١٤ قالَت هذا ثُمَّ التَفَتَت إلى الوَراء، فرأَت يسوعَ واقفاً، ولَم تَعلَمْ أَنَّه يَسوع.
١٥ فقالَ لَها يسوع: "لماذا تَبْكينَ، أَيَّتُها المَرأَة، وعَمَّن تَبحَثين؟ "فظَنَّت أَنَّه البُستانيّ فقالَت له: "سيّدي، إذا كُنتَ أَنتَ قد ذَهَبتَ به، فقُلْ لي أَينَ وَضَعتَه، وأَنا آخُذُه".
١٦ فقالَ لها يسوع: "مَريَم!" فالتَفَتَت وقالَت له بالعبريَّة: "رابُّوني!" أي: يا مُعلِّم.
١٧ فقالَ لها يسوع: "لا تُمسكيني، إِنِّي لم أَصعَدْ بَعدُ إلى أَبي، بلِ اذهَبي إلى إِخوَتي، فقولي لَهم إِنِّي صاعِدٌ إلى أَبي وأَبيكُم، وإِلهي وإِلهِكُم".

١٨ فجاءَت مَريَمُ المجدَليَّة وأَخبَرَتِ التَّلاميذَ بأَن "قد رأيتُ الرَّبّ". وبأَنَّه قالَ لَها ذاكَ الكَلام.

بُني المقطع (الآيات ١-١٨) حول اربعة اشخاص: مريم المجدلية، بطرس، التلميذ الآخر، يسوع. وهو يدور حول القبر، في اليوم الاول من الاسبوع، في الصباح الباكر.

مريم المجدلية هي التي تفتتح وتختتم الرواية عبر رسالة مزدوجة الى التلاميذ، حين حملتهم، في مرة اولى، على الذهاب الى القبر (آ ٢)، ومن ثم حين بشّرتهم بالقيامة (آ ١٨). وتبدو المشاهد مختلفة؛ فالمقطع المخصص لمريم المجدلية، قاطعته زيارة التلميذين.

ومع ذلك، نلاحظ صعوداً مأساوياً في هذه المساعي الحثيثة والمتتالية باتجاه القبر: فمريم "ترى ان الحجر قد أزيل" (آ ٢)؛ والتلميذ الآخر يرى "اللفائف ممدودة". وهوذا بطرس يرى "اللفائف والمنديل" (آ ٧). واخيراً التلميذ الآخر "يرى ويؤمن" (آ ٨). فمن خلال هذه المؤشرات التي تتضح اكثر فاكثر، يصبح القارئ مُعَدًّا للانتقال من العلامات الى وحي قيامة يسوع.

القبر المفتوح (آ١-٢)

كان في متناول يوحنا تقليد يتحدث عن عدة نساء (لا **نعلم** اين وضعوه). ويذكر الازائيون امرأتين اثنتين (متى ٢٨:١)، يصبحن ثلاث نساء (مرقس ١٦:١)، لا بل اكثر (لوقا ٢٤:١٠). وآثر يوحنا ان يبني روايته حول مريم المجدلية وحدها. لم تكن زيارتها الى القبر ذات وظيفة معينة، طالما ان الدهن قد تمّ عشية السبت على يد الرجلين. انها تأتي بدافع من الحنان والتقوى كي تؤخّر فترة الانفصال عن يسوع، وتُطيل زمن العزاء (كما جرى من قبل في يوحنا ١١:٣١). اما الظروف، فهي توحي بالليل (ليل الموت) وببداية (اليوم الاول). ذلك ان حجر القبر قد **أُزيل**. وعلى غرار سائر الانجيليين، يحافظ يوحنا على سر تدخّل الله الذي تمّ من دون شهود، وقبل مجيء مريم. وأُخِّرت رواية اللقاء بين مريم ويسوع بمقدمة روت ذهاب المرأة نحو التلميذين.

التلميذان (آ٣-١٠)

هوذا بطرس والتلميذ الذي كان يسوع يحبه، حاضران كلاهما منذ بداية آلام يسوع، في قربى وثيقة معه: قربى كانت أليمة بالنسبة الى بطرس بسبب خيانته، فيما اتّسمت بالامانة لدى التلميذ الآخر. لقد اتصفا بالحركة ابان الآلام، ولا يزالان بعين الحركة لدى اكتشافهما سر القيامة. إلا ان المسافة بينهما ما زالت قائمة، ولا سيما التفوق في ايمان التلميذ الذي كان يسوع يحبه، طالما انه وصل إلى القبر أسرع (هل تلك هي علامة استعجال اكبر؟)، ومن ثم "رأى وآمن": وهذه الصيغة المقتضبة تعكس انتقالاً من "الرؤية" الى الولاء التام ليسوع القائم. اما مشهد الثياب او بالاحرى مشهد الترتيب الذي كانت عليه الثياب، فهو انما يشهد بان جسد يسوع لم يُسرَق، وان يسوع ذهب تاركاً ثيابه في ترتيبها ومكانها. وخلافاً للعازر الذي خرج مرتدياً، لم يكن يسوع بحاجة بعدُ الى ثياب ما دام قد ترك عالم البشر. ولا يقال شيء عن ايمان بطرس في انجيل يوحنا

(لوقا ١٢:٢٤ يشدد على ان بطرس تعجّب حين رأى اللفائف). ذلك ان الاسفار المقدسة التي لم تكن حتى الآن مُقنعة بالكفاية، تلقت التأييد بفضل المؤشرات العديدة المتراكمة على طريق التلاميذ. ويعود التلميذان الى بيتهما، لتذهب مريم المجدلية فتحمل اليهما البشرى السارة. وهكذا، ومن دون منافسة ظاهرة ولا جدال، يخرج التلميذان من الرواية ومعهما الاولوية التي تعود لكل منهما: بطرس هو الاول الذي دخل، وهكذا اصبح، بالنسبة الى الكنيسة الاولى، شاهداً لا غبار عليه. والتلميذ الآخر يتجاوزه، بشكل واضح، عبر ولائه للرب. هذه العلاقة المعقدة بين التلميذين، ستُشرح في الفصل ٢١.

التراثي لمريم المجدلية (آ١١-١٨)

خُصص قسم كبير من هذا المقطع لمسألة بحث مريم عن جسد يسوع، وقد كان من دون جدوى في اول الامر. انها، مع توتّرها في بحثها، وبدافع من الحب، تتحدث عن يسوع بصفته "ربي". هذه العبارة تدوّي في اذن القارئ، كونها لقب القائم، وهي، بالنسبة له، تستبق بشرى القيامة. اما مريم، وقد أعماها حزنها وحبها، فهي لا ترى الاشخاص الذين يتقدمون منها، ويقفون عائقاً بينها وبين ذاك الذي تبحث عنه. بكاؤها يشدد على ألم الفقدان وعلى التضايق لعدم تمكّنها من عيش العزاء بشكل كامل، قبل الانفصال الحاسم عن جسد يسوع. وها هي تنتقل عبثاً من وسيط الى وسيط: فالتلميذان اللذان ذهبت تسألهما، لم ينجداها. ورؤيتها ملائكة (وكان مرقس والازائيّان الآخران قد رأوا فيهم تدفق الله في عالم البشر) تركتها لا أبالية. وحتى رؤية يسوع ذاته لم تكف لتفتح اعينها: فلقد ظنّت انه البستاني. ذلك ان الرواية برمتها مبنية بشكل دقيق تحت راية المفاجأة التي سلّطت الضوء على التغيير الذي احدثته القيامة في كيان يسوع، وعلى الطريقة الجديدة للتعلّق به.

وهكذا اخذت تتلاشى رؤية يسوع بحسب الجسد، تاركة المجال لقيام علاقة جديدة معه، تكون مؤسسة على الاصغاء لكلامه (والطرح هو ذاته مع توما، مع مفردات مختلفة، حيث يحل الايمان محلّ الرؤية). وفي الواقع، كما ان كسر الخبز، في لوقا ٢٤، فتح اعين تلميذي عماوس، كذلك نرى ان مناداة مريم باسمها مكّنتها من اكتشاف الرب، إذ "ان الخراف تسمع صوت الراعي، فيدعوها باسمائها" (٣:١٠). اما الحوار، فكان، اولاً، في شكل مناشدة: "مريم!". وما ان دعيت باسمها، حتى اصبحت قادرة على ان تجيب، بلغتها الارامية، ذاك الذي شخّصته انه "المعلّم"، عبر صوته. ويأتي أمر يسوع ليعلن عن

نهاية اللقاء الجسدي: "لا تلمسيني"! بمعنى: "فكّي ذراعيك اللتين تريدان الامساك بي". ذلك ان يسوع، بحسب الجسد، لم يعد منذ الآن في متناول اليد كما كان في حياته. وانطلاقاً من القيامة، اصبحت عيون الجسد عاجزة عن رؤيته ومعرفته: وهكذا تبدو مريم بمثابة المؤمنة المدعوة الى الايمان عبر الاصغاء الى المعلّم، وهو يدعو كلاً باسمه كي يتبعه. ويذكّر بحثها الحار ببحث الحبيبة، في سفر نشيد الاناشيد، تلك التي كانت "تبحث عن الذي تحبه دون ان تجده" (٣:١). فمن الآن وصاعداً، لن يتوقف الحب ليسوع ولا البحث عنه: وانما يُعاشان بشكل اخر.

ويعطي يسوع لمريم مهمة الذهاب نحو "اخوته"، أي تلاميذ يسوع الذين اصبحوا اخوته لكونهم ابناء الآب عينه. ويوحنا، خلافاً لسفر اعمال الرسل الذي حدّد الصعود اربعين يوماً بعد القيامة، جعل يسوع يصعد الى ابيه يوم القيامة بالذات. فما سبق ان اعلنه في ١٤:١-٤ قد تحقق. وان التمييز ما بين "ابي وابيكم، والهي والهكم" يؤكد جيداً على الاختلاف في الطبيعة بين الذي هو الابن الوحيد، وبين الذين هم ابناء بالتبني. انه الاول في مسيرة صاعدة، وُعِد بها كل الاخوة.

٢. ظهور للتلاميذ [من دون توما] (٢٠:١٩-٢٣)

١٩ وفي مَساءِ ذلك اليَومِ، يومِ الأحد، كانَ التَّلاميذُ في دارٍ أُغْلِقَتْ أَبوابُها خَوفاً مِنَ اليَهود، فجاءَ يسوعُ ووَقَفَ بَينَهم وقالَ لَهم: "السَّلامُ عَلَيكم!"

٢٠ قالَ ذلك، وأَراهم يَدَيه وجَنبَه ففَرِحَ التَّلاميذُ لِمُشاهَدَتِهمِ الرَّبّ.

٢١ فقالَ لَهم ثانِيَةً: "السَّلامُ عَلَيكم! كما أَرسَلَني الآب أُرسِلُكم أَنا أَيضاً".

٢٢ قالَ هذا ونَفَخَ فيهم وقالَ لَهم: "خُذوا الرُّوحَ القُدُس.

٢٣ مَن غَفَرتُم لَهم خَطاياهم تُغفَرُ لَهم، ومَن أَمسَكتُم عليهِمِ الغُفْران يُمسَكُ عَلَيهم".

مجيء الرب (١٩-٢٠)

يجري المشهد مساء اليوم ذاته. كأن المقاطع السابقة لم تغيّر من تصرّف التلاميذ (يمكننا الاعتقاد بان المقصود بالتلاميذ هم الاحد عشر، حتى وإن كان لوقا ٣٣:٢٤ قد ألحق بالاحد عشر عبارة "الذين معهم"). ذلك انهم يعيشون في الخوف والانغلاق. ففي

هذا المحيط المغلَق، يظهر يسوع. وحضوره لا يخضع للقوانين والضغوط الطبيعية التي يخضع لها الانسان في جسده. لا يقال انه يخترق الجدران، بل، وبكل بساطة، انه يستطيع الحضور بطريقة تختلف عن البشر.

ومجيئه، كما كان في حياته، هو مصدر سلام. "شالوم!" قالها يسوع، ولكنها ليست تمنّياً من مفردات المجاملة حسب، وانما تعبّر عن الهبة الفعلية التي تنطوي على الخلاص والفرح والسلام. أما آثار الصلب على يدي يسوع وجنبه، فهي تشهد بان الانجيلي، بالرغم من مظاهر اعتلان يسوع الخارقة، يأبى ان يحسَبه القراء خيالاً، أو شخصاً مختلفاً عن المصلوب. لا شك ان حضور يسوع الجسدي الاعتيادي قد توقف؛ فالذي في وسطهم الآن هو الرب يسوع، بمعنى انه هو ذاته الذي عرفوه واحبوه، ولكنه اصبح منذ الآن محوَّلاً بالقيامة. وهكذا زال الخوف، ودخل التلاميذ في الفرح.

الارسال (٢١:٢٠-٢٣)

ليست الترائيات غاية في حد ذاتها، وانما تتمخض عن رسالة. "كما": لسنا بازاء مقارنة حسب، وانما بازاء اساس وتأصّل. فالتلاميذ قد أُرسلوا (حرفياً "جُعلوا رسلاً") لمواصلة عمل يسوع. انها المرة الاولى ينسب فيها يوحنا الى التلاميذ، في انجيله لقب رسل. وكان موضوع الارسال قد طُرح بشكل مهيب في الخطاب الكهنوتي (١٧:١٧-١٩). فكما ان الله نفخ روحه للحياة في آدم (تكوين ٢:٧)، وكما نزل الروح على يسوع (١:٣٣-٣٤)، هوذا يسوع —وقد جعله الله ربًّا— ينفخ (وهو الفعل اليوناني ذاته، كما في تكوين ٢:٧) قوة الروح في التلاميذ (راجع ١٤:٢٦). فذاك الذي قام بخبرة الموت، كشف عن كونه سيد الحياة. وهم —وكانوا خائفين حتى الآن— أُلبِسُوا قوة الهية. فبوسعهم، على مثال الله، ومن ثم على مثال مرسَله يسوع، أن يغفروا الخطايا، بمعنى ان بوسعهم ان يطهروا من الخطيئة بقوة موت يسوع. والروح هو الذي يربطهم بالله بشكل وثيق جداً، بحيث انهم، يغفرون الخطايا او يمسكونها، هو الله، بواسطتهم، يغفر الخطايا او يمسكها. ولدينا هنا صيغة قواعدية تسمّى "المجهول الالهي"، تتجنب تسمية الله عبر صيغة

المجهول. وهكذا بامكاننا ان نترجم بالشكل التالي: "كل انسان تغفرون له... **سيغفر الله له** خطاياه... وكل انسان... **سيمسك الله عليه** خطاياه".

ومجيء الرب هذا، على مثال مجيئه في المقطع التالي، يجري في "يوم الرب"، اعني في وقت التجمّع الليتورجي للمسيحيين الاولين، وهو الوقت الامثل لحضور الرب بين جماعته، كما انه الوقت -ويؤوَّن كلّ مرة يجتمعون فيها لكسر الخبز- الذي يتم فيه ارسالهم الى العالم.

٣. توما: نؤمن دون ان نرى (٢٠:٢٤-٢٩)

٢٤ **على أنَّ توما أَحَدَ الاثْنَي عَشَر، ويُقالُ له التَّوأَم، لم يَكُنْ مَعَهم حينَ جاءَ يسوع.**
٢٥ **فقالَ لَه سائرُ التَّلاميذ: "رأَينا الرَّبّ". فقالَ لَهم: "إذا لم أُبصِرْ أَثَرَ المِسمارَينِ في يَدَيه، وأَضَعْ إِصبَعي في مَكانِ المِسمارَين، ويدي في جَنْبِه، لن أُومِن".**
٢٦ **وبَعدَ ثَمانيةِ أَيَّامٍ كانَ التَّلاميذُ في البَيتِ مَرَّةً أُخرى، وكانَ توما معَهم. فجاءَ يسوعُ والأبوابُ مُغلَقَة، فوَقَفَ بَينَهم وقال: "السَّلامُ علَيكم"!**
٢٧ **ثُمَّ قالَ لِتوما: "هَاتِ إِصبَعَكَ إِلى هُنا فَانظُرْ يَدَيَّ، وهاتِ يَدَكَ فضَعْها في جَنْبي، ولا تكُنْ غَيرَ مُؤمِنٍ بل كُنْ مُؤمِناً".**
٢٨ **أَجابَه توما: "رَبِّي وإِلهي!"**
٢٩ **فقالَ له يسوع: "أَلأَنَّكَ رَأَيتَني آمَنتَ؟ طوبى لِلَّذينَ يؤمِنونَ ولَم يَرَوا".**

ان غياب توما مكّن الراوي من ادراج المشهد التالي. فلقد شدّد على عدم ايمان توما، وعبّر عنه بالالفاظ عينها التي في ٤:٤٨: "إذا لم تروا الآيات والاعاجيب لا تؤمنون". ذلك ان توما، مع انه هو الذي دعا رفاقه الى مرافقة يسوع في موته (١١:١٦)، يأنف الآن ان يرافقهم في ايمانهم بيسوع الحي. وهكذا اصبح خطأه مضاعفاً: أولاً لعدم ايمانه بشهادة الرسل؛ ومن ثم لشكوكه في يسوع القائم.

ومجيء يسوع الثاني وُصف بالمفردات عينها التي وُصف بها المجيء الاول. إلا ان عدم ايمان توما مكّن الانجيلي من ان يحقق هدفاً مضاعفاً: اولاً، الالحاح على سمات الجروح يشدد على الاستمرارية والتوافق بين يسوع المصلوب ويسوع الممجَّد. ذلك ان الارتفاع على الصليب هو الكشف الاقصى عن حب الآب وعن تمجيد الابن. ومن ثم، اصبح الايمان الذي استعاده توما غير المؤمن، يتجاوز ايمان التلاميذ، طالما انه اعطى ليسوع اللقب الاعظم في كل الانجيل: "ربي والهي!". فمن بين كل ألقاب يسوع التي تعاقبت، من الفصل الاول وحتى هذا الفصل، نبلغ الى ذروة لن تتجاوزها التحديدات العقائدية اللاحقة. ذلك ان بين "الكلمة كان الله"، في البداية (١:١)، وبين الاعتراف بان يسوع هو "رب واله"، يكون كل شيء قد قيل. ومن الملفت للنظر ان الذي يشهد لهذه الحقيقة، هو عينه ذاك الذي لم يشأ ان يؤمن بشهادة الرسل.

وتبدو الطوبى الاخيرة خلاصة للانجيل برمته، وعودة الى موضوع أساسي في الايمان اليهودي: فبين الرؤية والايمان، وبين ما يشاهَد وما يُسمَع، كما بين البرهان والكلام، هي اللفظة الثانية التي يكمن فيها الشرط الطبيعي والمثالي للمؤمن. فان الذين رأوا، يترتب عليهم، هم انفسهم، ان يؤمنوا فوق ما كانوا قد رأوه. فالكلمة، منذ اللحظة التي صار فيها "بشراً"، لم يدع تلاميذه يرون سوى "اللحم"، بمعنى انسانيته، بينما كان يترتب عليهم ان "يروا الله المتجلي في المجد". فطوبى لنا لاننا تلقّينا الانجيل، نحن الذين لم نرَ، ولكننا، على شهادة الرسل، ننتمي الى المسيح ونتحول الى مؤمنين.

ب. خلاصة (٢٠:٣٠-٣١)

٣٠ وأتى يسوعُ أَمامَ التَّلاميذ بآيات أُخرى كثيرة لم تُكتَبْ في هذا الكتاب،
٣١ وإِنَّما كُتِبَت هذه لِتُؤمِنوا بِأَنَّ يسوعَ هو المسيحُ ابنُ الله، ولِتَكونَ لَكُم إِذا آمَنتُمُ الحياةُ بِاسمِه.

كانت هاتان الآيتان بمثابة خلاصة الانجيل قبل ان يُضاف الفصل ٢١. ويوحنا هو الوحيد بين الانجيليين ادرج خلاصة لانجيله. انه يعطي، من اجل قرائه المقبلين، ايضاحين هامّين:

أولاً، يعترف يوحنا بانه، عن قصد، قام بخيار بين الاحداث التي تخص يسوع. وينبغي علينا ان نتذكر، في كل مرة، انه ظلّ صامتاً حول بعض المشاهد من حياة يسوع -وقد نقلها الازائيون- دون ان نخلص بسرعة الى القول بانه كان يجهلها. وحين اشار يوحنا الى ان التلاميذ هم المتلقّون لآيات يسوع، فهو انما فكّر في قرائه الذين اصبحوا تلاميذ، من دون ان يروا الآيات التي صنعها في حياته.

ومن ثم، وبالاخص، فلقد اوضح هدفه: توطيد التلاميذ في ايمانهم بيسوع، بصفته، في آن واحد، مسيحاً موعوداً به في الاسفار المقدسة، وابن الله، به تكون لهم الحياة. وهكذا يكون القارئ بحوزة مفتاح للقراءة: فليس الانجيل كتاباً اعتيادياً جُعل لتسلية القارئ، بل هو كتاب حياة مجهَّز بقوة الاقناع عينها التي كانت ليسوع ابان حياته الارضية، وبقدرة الحياة عينها التي اتصف بها. فللقراء الذين يعيشون في زمن غياب المسيح بالجسد، يُعرض هذا الكتاب (الانجيل) ليكون في متناول اليد، كي تولد الحياة من اللقاء بينه وبين القراء، عبر الايمان بيسوع، المسيح وابن الله.

خاتمة

(الفصل ٢١)

مقدمة

أ. الصيد الوفير [٢١:١-١٤]

ب. سمعان بطرس الراعي [٢١:١٥-٢٣]

ج. خاتمة [٢١:٢٤-٢٥]

خاتمة الفصل ٢١

مقدمة

كانت خاتمة الفصل ٢٠ خلاصة في منتهى الوضوح للانجيل، حتى ان اغلب الاختصاصيين يعتقدون ان الفصل ٢١، قد اضيف في وقت لاحق. وان ادراجه في هذا المكان بالذات غير موفّق، بمقدار ما بدت الرواية وكأنها تجهل تجلّيات يسوع السابقة. ومع ذلك فهو اكثر من ملحق، إذ ان هذا الفصل يلعب دوراً هاماً في تحديد رسالة سمعان بطرس. انه يشكّل "تطويقاً" مع الفصل ١٣ الذي كان فيه الراعي الصالح "يحب حتى النهاية"، بينما أُعطي سمعان بطرس الذي تزعزعت امانته، موعداً "فيما بعد" (١٣:٧، ٣٦). وها قد حضر زمن الوعد: تجاه هذا الحب ذاته، يواجه سمعان بطرس تحدّياً، كي يتمكن، في الحب، من ممارسة مهمته كراعٍ. والنظرية الاكثر احتمالاً تقوم في ان اضافة هذا الفصل يرقى الى تلميذ قريب من يوحنا، لم يجرؤ على تغيير المتناقضات الطفيفة التي ادرجها فصلُه هذا. وهكذا قدّم تلميذ يوحنا هذا مثالاً واقعياً على هذه الآيات العديدة التي لم يرَ الانجيلي حاجة الى تدوينها في خلاصته (٢٠:٣٠)! بعد هذه المقدمة اصبح هذا الفصل يضفي امتداداً كنسياً لانجيل يطغو عليه الطابع الكريستولوجي. ذلك ان بين الانجيل المتمحور بشكل خاص على وجه يسوع -وقد خُتم في الفصل ٢٠- وبين امتداده في الفصل ٢١، ليس هناك تضاد، وانما نجدنا بازاء "انجيل ضمن الكنيسة" (ج. زومستاين). والوساطات الضرورية كي يتمكن الكاشف من متابعة عمله، نجدها مطروحة: الغذاء الافخارستي حيث يتواصل الحضور ويُمنح، مهمة بطرس الراعوية ومنافسوه، دور التلميذ الذي كان يسوع يحبه وكنيسته.

أ. الصيد الوفير (٢١:١-١٤)

٢١ ١ وتَراءَى يسوعُ بَعدَئذٍ لِلتَّلاميذِ مَرَّةً أُخرى. وكانَ ذلكَ على شاطئِ بُحَيرَةِ طَبَرِيَّة. وتراءى
لَهم على هذا النَّحْوِ.
٢ كان قد اجتَمَعَ سِمْعانُ بُطرُس وتوما الَّذي يُقالُ له التَّوأَم ونَتَنائيل وهو مِن قانا الجَليل
وَابنا زَبَدى وآخَران من تَلاميذه.
٣ فقالَ لَهم سمعانُ بُطرُس: "أَنا ذاهبٌ للصَّيد". فقالوا له: "ونَحنُ نَذهَبُ معَكَ". فخَرَجوا
ورَكِبوا السَّفينَة، ولكنَّهم لم يُصيبوا في تلكَ اللَّيلَة شَيئاً.
٤ فلَمَّا كانَ الفَجْر، وقَفَ يسوعُ على الشَّاطئ، لكنَّ التَّلاميذَ لم يَعرِفوا أَنَّه يسوع.
٥ فقالَ لَهم: "أَيُّها الفتْيان، أَمعَكُم شَيءٌ مِنَ السَّمَك؟ "أَجابوه: "لا".
٦ فقالَ لَهم: "أَلقُوا الشَّبَكَةَ إِلى يَمينِ السَّفينة تَجِدوا". فأَلقَوها، فإِذا هُم لا يَقدِرونَ على
جَذبِها، لما فيها من سَمَكٍ كَثير.
٧ فقالَ التِّلميذُ الَّذي أَحبَّهُ يسوعُ لِبُطرُس: "إِنَّه الرَّبّ". فلَمَّا سَمِعَ سِمْعانُ بُطرُس أَنَّه
الرَّبّ، ائتَزَرَ بِثَوبِه، لأَنَّه كانَ عُرْياناً، وأَلْقى بِنَفْسِه في البُحَيرة.
٨ وأَقبَلَ التَّلاميذُ الآخَرونَ بالسَّفينَة، يَجُرُّونَ الشَّبَكَةَ بِما فيها مِنَ السَّمَك، ولَم يَكونوا إِلاَّ
على بُعدِ نَحوِ مائَتَيْ ذِراعٍ مِنَ البَرّ.
٩ فلَمَّا نَزَلوا إِلى البَرّ أَبصروا جَمْراً مُتَّقِداً علَيه سَمَكٌ، وخُبزاً.
١٠ فقالَ لَهم يسوع: "هاتوا من ذلك السَّمَك الَّذي أَصَبتُموه الآن".
١١ فصَعِدَ سِمْعانُ بُطرُس إِلى السَّفينَة، وجذَبَ الشَّبَكَةَ إِلى البَرّ، وقد امتلأَت بمائَة وثَلاث
وخَمسينَ سَمَكَةً مِنَ السَّمَك الكَبير، ولم تَتَمزَّق الشَّبَكَةُ معَ هذا العَدَدِ الكَثير.
١٢ فقالَ لهم يسوع: "تَعالَوا افْطُروا!" ولَم يَجرُؤْ أَحَدٌ مِنَ التَّلاميذِ أَنْ يَسأَلَه: مَن أَنتَ؟
لعلمهم أَنَّه الرَّبّ.
١٣ فَدَنا يسوع فأَخَذَ الخُبزَ وناوَلَهم، وفعَلَ مِثلَ ذلك في السَّمَك.
١٤ تِلكَ المَرَّةُ الثَّالِثَةُ الَّتي تَراءَى فيها يسوعُ لِتَلاميذِه بعدَ قِيامَتِه مِن بَينِ الأَموات.

يندرج هذا الترائي، في بدايته ونهايته، بصفته "اعتلاناً" (آ ١، ١٤). وهكذا، بالرغم من الاختلاف في النوعية، بازاء تواصل بين تجلّيات يسوع الارضية (٢:١١؛ ١٧:٦) وبين تجلّيات المسيح الممجَّد.

والصيد العجائبي لدى يوحنا يشبه رواية لوقا ٥:١-١١. فالروايتان تشتركان في ذكر صيد ليلي لبطرس ورفاقه، دون جدوى، فيما تُصدي لتدخّل يسوع الذي طلب ان

تُلقى الشباك، وما حصل من نجاح باهر، مع التشديد على دور خاص بسمعان بطرس. وفيما وضع لوقا هذه الرواية في بدء الرسالة الى الجليل، ادرجها يوحنا بعد القيامة، وجعلها تتمحور حول علاقة سمعان بطرس بيسوع، وحول اعادة تقييمه بعد نكرانه.

الصيد العقيم (٢١:٢-٣)

احتفظ يوحنا بذكرى ترائيات في اليهودية وفي الجليل. وقد تكون عودة التلاميذ الى اعمالهم السابقة، كصيّادين، تلميحاً الى التشتت الذي جرى في اعقاب موت يسوع، وكان يسوع ذاته قد أنبأ به (١٦:٣٢). ويبدو وكأن الاحداث انتهت، وعاد كل منهم الى مهنته. وقد يرمز الفشل في الصيد الى الخيبة والعقم وعدم الجدوى التي مُنيَت بها اعمالهم في غياب يسوع. وكان بعض اولئك السبعة المشاركين في الرواية (ولو ان نثنائيل لم يكن في عداد الاحد عشر) من ابرز التلاميذ في انجيل ويوحنا، وكان يسوع قد بدأ يعتلن لهم (١:٣٥-٥١). فالمشهد مطروح بصفته "اعتلاناً" موجّهاً الى التلاميذ، وهو الاعتلان الاخير قبل ارسال سمعان بطرس بصفة راعٍ للكنيسة.

تدخّل الرب (٢١:٤-٩)

ان هوية يسوع، على ضفاف البحيرة، لا يعرفها سوى القراء وحدهم. ومثل هذا الجهل، من قبل التلاميذ، يحمل على الدهشة، بعد ترائيات يسوع في الفصل ٢٠. ذلك مؤشّر على استقلالية هذا الفصل في الاصل، وكان بوسعه ان يصبح اول تراءٍ ليسوع بعد قيامته.

اما عدم معرفة يسوع القائم، فهي تهدف الى ابراز التغيير الذي حدث ليسوع بالقيامة. فلقد طُرحت عدم المعرفة هذه باشكال مختلفة في الروايات الانجيلية. وهنا لا شيء يسمح بتشخيص يسوع، لا حضوره الجسدي، ولا كلامه: انما الآية هي التي ستفتح عيني التلميذ الذي كان يسوع يحبه، مع ان كلامه احتفظ بعين السلطة على التلاميذ، وبعين الفاعلية على الطبيعة. وكما هي الحال غالباً في انجيل يوحنا (١٣:٢٣؛ ١٨:١٦؛ ٢٠:٣)، هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه يقوم بدور الوسيط بين بطرس ويسوع.

وينفصل بطرس عن الفريق، مُظهراً، بهذه الطريقة، حماسه التقليدي؛ وقد يكون موقفه هذا تعبيراً عن رغبته في العودة الى المعلّم بعد خيانته. ويُعدّ المشهد مبادرة فرزه من

اجل "رعاية القطيع". فهو، مع التلميذ الذي كان يسوع يحبه، الشخصية المركزية في الرواية، بحيث يبدو التلاميذ الآخرون وكأنهم في دور المشاهدين، وسيغيبون ابتداءً من الآية ١٥.

ويعود سمعان بطرس، بكلمة يسوع، الى الشبكة، مزاولاً اولويته كراعٍ (وسيُثبَّت فيه قريباً)، ليسحبها من ثم، مثقلة بـ ١٥٣ سمكة (في لوقا ٥:١٠، الانتقال واضح من صيّاد سمك الى صيّاد -راعٍ؟- بشر). ويُدهشنا الرقم! حتى ان العديد من المفسرين بحثوا فيه عن قيمة رمزية. فبحسب القديس هيرونيمس، قد يكون كناية عن الامتلاء طالما ان علماء الحيوان اليونان قد أحصوا ١٥٣ نوعاً من السمك! والقديس اوغسطينس الذي رأى "السر الكبير" وراء هذا الرقم، لفت الانتباه الى ان هذا المجموع هو ناتج جمع الارقام من ١ الى ١٧ على بعضها. وليس امراً اكيداً ان المؤلّف بحث عن هذه التفسيرات الاستعارية التي كانت منتشرة في زمن ما، وما زالت ناطقة اليوم. فالقارئ المعاصر سيلتقط، بالاكثر، كثرة الرقم ودقّته اللتين يُحتَمَل ان يكون الهدف منهما التشديد على قدرة يسوع ودعم صحة الشهادة (ومثل هذه الدقّة لا يمكن اختراعها!). ويُشدَّد ايضاً على عظمة الاعجوبة، عبر متانة الشباك -وليس اكثر من القميص غير المخيط في ١٩:٢٤- التي لم تتمزق (وهو الفعل اليوناني ذاته في الآيتين). وهكذا يصبح من الممكن ان نقرأ الهدف من الرسالة —وهو واضح عادة في روايات الترائيات- عبر هذا الملء من الصيد، بصفته استباقاً لتحقيق البرنامج الارسالي في متى ٢٨:١٩: "تلمذوا كل الامم".

الغداء (٢١:١٠-١٤)

حين يكون الصيد قد انتهى، نرى يسوع يُعدّ لتلاميذه الغداء المكوّن من خبز وسمك. ويبدو كلُّ شيء مُعَدًّا، بشكل سرّي، وقبلَ ان تكون ثمار الصيد الجديد في متناول يسوع. لا شك ان الغداء المكوَّن من "الخبز والسمك" لا يوافق عناصر المائدة الافخارستية؛ ومع ذلك، فالصيغة هي ذاتها: "اخذ الخبز وناولهم"، كما لدى تكثير الخبزات في ٦:١١. وسيرى آباء الكنيسة من مثل اوغسطينس، في ذلك، صورة للمسيح: "فالسمك المشوي هو المسيح الذي تألم، وهو الخبز الذي نزل من السماء". وفي الايقونات البدائية، كان الخبز والسمك يرمزان الى مائدة الافخارستيا. وهكذا، عبر هذه الرواية، لمّح يوحنا لقرائه بان احتفالاتهم الافخارستية هي امتداد وتأوين لما عرفه شهود القيامة الاوائل. وعلى المؤمنين، في رسالتهم، كما في مهماتهم البشرية ايضاً، ان

يعلموا بان يسوع الممجَّد هو في انتظارهم، ويُعدّ لهم هذه المائدة التي تغذّيهم وتمكّنهم من اللقاء به.

ب. سمعان بطرس الراعي (٢١:١٥-٢٣)

١٥ **وبَعدَ أَن فَطَروا قالَ يسوعُ لسمْعانَ بُطرُس: "يا سمْعانُ بنَ يونا، أَتُحبُّني أَكثَرَ ممَّا يُحبُّني هؤلاء؟" قالَ لَه: "نَعم يا رَبّ، أَنتَ تَعلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ حُباً شَديداً". قالَ لَه: "إِرْعَ حُمْلاني".**

١٦ **قالَ له مَرَّةً ثانية: "يا سمْعانُ بنَ يونا، أَتُحبُّني؟" قالَ له: "نَعم يا رَبّ، أَنتَ تَعلَمُ أَنِّي أُحبُّكَ حُباً شَديداً". قالَ له: "اسْهَرْ على خرافي".**

١٧ **قالَ له في المَرَّة الثَّالثة: "يا سمْعانُ بنَ يونا، أَتُحبُّني حُبّاً شديداً؟" فحَزِنَ بُطرُس لأَنَّه قالَ له في المَرَّة الثَّالثة:أَتُحبُّني حُبّاً شديداً؟ فقالَ: "يا رَبّ، أَنتَ تَعلَمُ كُلَّ شَيء، أَنتَ تَعلَمُ أَنِّي أُحبُّكَ حُبّاً شَديداً". قالَ له: "إِرْعَ خرافي.**

١٨ **الحَقَّ الحَقَّ أَقولُ لَكَ: لَمَّا كُنتَ شاباً، كُنتَ تَتَزَنَّرُ بيَديكَ، وتَسيرُ إِلى حَيثُ تشاء، فإِذا شخْتَ بَسَطتَ يَدَيكَ، وشَدَّ غَيرُكَ لكَ الزُّنَّار، ومَضى بِكَ إِلى حَيثُ لا تَشاء".**

١٩ **قالَ ذلكَ مُشيراً إِلى المِيتَةِ الَّتي سيُمَجِّدُ بها الله. ثُمَّ قالَ له: "اتبَعْني!".**

٢٠ **فالتفَتَ بُطرُس، فرأَى التِّلميذَ الَّذي أَحَبَّهُ يسوعُ يَتبَعُهما، ذاكَ الَّذي مالَ على صَدرِ يسوعَ في أَثناءِ العشاء وقالَ له: "يا ربّ، مَنِ الَّذي يُسلِمُكَ؟"**

٢١ **فلَمَّا رَآهُ بُطرس قالَ ليسوع: "يا ربّ، وهذا ما شأنُه؟"**

٢٢ **قالَ لَه يسوع: "لو شئتُ أَن يَبْقى إِلى أَن آتيَ، فما لَكَ وذلك؟ أَمَّا أَنتَ فَاتبَعْني".**

٢٣ **فشاعَ بَينَ الإِخوَةِ هذا القول: إِنَّ ذلكَ التِّلميذَ لَن يَموت، مَعَ أَنَّ يسوعَ لَم يَقُلْ إِنَّه لَن يَموت، بل قالَ له: لو شِئتُ أَن يَبْقى إِلى أَن آتيَ، فما لكَ وذلك؟**

يصبح سمعان بطرس، هنا، المحاور الوحيد ليسوع. ويسوع هو الذي يأخذ المبادرة في الحوار. ونجد، في خلفية الرواية، نكران سمعان بطرس الثلاثي. والسياق العام هو

ذاته: فنحن بصدد الحب ليسوع، وبصدد الموت، وبالتالي بصدد اتّباع يسوع. وكان اتّباع يسوع، في الفصل ١٣، قد تعثّر بسبب نكران سمعان بطرس الثلاثي، بحيث أُجِّل الى "ما بعد" (٣٦:٣).

كان المقطع الذي سبق الصيد العجائبي قد هيّأ الجو لفرز بطرس. وها هو يحصل الان على تثبيت احتفالي في مهمته الرسولية الخاصة، مع الشروط الضرورية للقيام بها. فعلى بطرس ان يصبح تلميذاً (عبارة "يتبع" تكررت مرتين)، ويمارس خدمته كراع، في حب يسوع. أنْ "يرعى القطيع" (أي ان يقود، ويغذّي، ويحمي)، فتلك مهمة هامة وصعبة، إذ ان الله، في العهد القديم، كان الراعي لشعبه (هوشع ١٦:٤؛ ارميا ١٠:٣١؛ اشعيا ١١:٤٠؛ مزمور ١:٨٠). ويسوع هو ذاك "الراعي الحقيقي الذي يبذل نفسه في سبيل الخراف" (١١:١٠). وهوذا بطرس مدعوّ ليتلقى هذه المهمة العسيرة التي فشل فيها العديد من الرعاة في العهد القديم (ارميا ١:٢٣-٢؛ حزقيال ٣٤). وبطرس هو ذاته سبق ان أنكر يسوع، الراعي الصالح. وهوذا يسوع يطلب منه "ان يرعى قطيعه". فنحن، إذن، بازاء سلطة موكَلَة. لذا يتوجب عليه ان "يحب يسوع"، أي ان يكون اميناً على وصيته الاخيرة. ويُفترض في قيادة القطيع، بشكل غير مباشر، ان تتم بحبّ (كما فعل يسوع) وليس بسيطرة. هكذا يفهمها ايضاً مؤلف رسالة بطرس الاولى (١ بطرس ٢:٥-٤): "ارعوا قطيع الله الذي وُكِل اليكم، واحرسوه طوعاً لا كَرَهاً...".

ويُصدي السؤال الثلاثي، بشأن الحب، لنكران بطرس الثلاثي (٣٨:١٣؛ ١٥:١٨-٢٧). وكان من شأن هذا التذكير الثلاثي أن يُحزن بطرس، لانه كشف عن ضعفه في اللحظة التي وُكلت اليه السلطة على القطيع. وهكذا، يتضح جيداً انه ليس افضل من الآخرين، وان اختياره هو دعوة الى الخدمة وليس مكافأة على استحقاقاته.

لقد كُرِّس ردّ الاعتبار لبطرس، بعد خيانته، بالانباء عن موته القريب. ففي ٣٦:١٣-٣٨، كان الإنباء بخيانة بطرس قد سبقته كلمة بشأن موت بطرس المقبل: "فيما بعد". ويعلن يسوع هنا ان حب بطرس سيذهب به الى الحب حتى الموت.

اما التلميذ الذي كان يسوع يحبه، فنجده هنا مرتبطاً ببطرس، كما كان غالباً في انجيل يوحنا. ويمكن الاعتقاد بان مؤلف هذا المقطع كتب هذه الاسطر بعد ان كان الاثنان قد رقدا. ذلك ان موت التلميذ الذي كان يسوع يحبه قد اقلق جماعة يوحنا؛ وهذا

يعكس المكانة التي كان يحتلها في هذه الكنيسة، كما يعكس العلاقة المميزة التي كانت له مع المسيح، بصفته رفيق الدرب الاول منذ البداية.

خاتمة (٢١:٢٤-٢٥)

٢٤ **وهذا التِّلميذُ هو الَّذي يَشهَدُ بِهذِه الأُمور وهو الَّذي كَتَبَها، ونَحنُ نَعلَمُ أَن شَهادتَه صادقَة.**

٢٥ **وهُناكَ أُمورٌ أُخرى كثيرةٌ أتى بها يسوع، لو كُتِبَت واحِداً واحِداً، لَحَسِبتُ أَنَّ الدُّنيا نَفْسَها لا تَسَعُ الأَسفارَ الَّتي تُدَوَّنُ فيها.**

لقد اضيفت هذه الكلمات الاخيرة بمثابة تصديق للانجيل من قبل جماعة يوحنا، للتعبير عن ان التلميذ الذي كان يسوع يحبه هو حقاً المسؤول عن الانجيل. وبوسعنا ان نعتقد بان هذا التلميذ مات منذ زمن قصير، وصادقت كنيسة يوحنا على شهادته بصفتها شهادة شاهد مباشر ليسوع. "نحن نعلم": ونستشف، وراء هذه العبارة، جماعة مختلفة عن سائر الجماعات، كانت بحاجة الى ان تنتسب الى التقليد الانجيلي عبر الوجه الباهر الذي عكسه التلميذ الذي كان يسوع يحبه.

وتكرر الآية الاخيرة، بنبرة شعرية، خلاصة الفصل ٢٠. وينتقل بنا الفكر الى مقولة منسوبة الى رابي يوحنان بن زكّاي، في نهاية القرن الاول، في كتاب "**سوفيريم**": "لو كانت كلُ السموات اوراقاً، ولو كانت كل الاشجار ريشات للكتابة، ولو كان كل البحر حبراً، فلن تكون كافية لتدوين كل الحكمة التي تلقيتها من معلميّ. علماً باني لم آخذ من حكمة الحكماء اكثر مما تأخذه حشرة تغوص في البحر وتخرج بقطرة صغيرة".

كلنا يعلم ان لا كتابَ من دون نهاية. فيوحنا والجماعة التي تلقّت شهادته عن يسوع، أكملا مؤلّفهما. إلا ان ما لانهاية له، وما يبقى دوماً غيرَ مكتَمَل، فهو تاريخ القراءة. فالانجيل يبقى مفتوحاً، وعلى القارئ ان يلحق به -وقد اعطاه يسوع روحه، وأكّد له بان بوسعه ان يحقق "اعمالاً اكبر من اعماله"! (يوحنا ١٤:١٢).

مشروع الانجيلي

"إذا ما شدد الانجيلي على الاسكاتولوجيا المنجزة، فلكي يُجنّب المؤمن المبالغة والمغالاة بشأن الامجاد المنطوية على مجيءٍ يسوع المقبل. فالانجيلي يريد ان يجعل المؤمن على بيّنة من انه حاصل مسبقاً على الحياة الابدية، وانه مسبقاً ابن الله، وانه مسبقاً التقى ديّانه. وإذا كان للانجيل مثل هذه النبرة الاسرارية، فلكي يجذّر العماذ والافخارستيا في سياق ما قاله يسوع وعمله، ولكي لا يفقد المؤمن التماسّ مع يسوع الارضي ولا تضحي المسيحية ديانة لغزية. وإذا ما جعل الانجيل الروح الفارقليط في المقدمة، فلكي يُطمئِن المؤمن بان ذكرى يسوع لم تنطفئ مع رحيل الجيل الرسولي؛ لأن الروح، فيما يحفظ ذكر يسوع حيًّا، يبقى مقيماً في المسيحي. فالهدف الاساس من الانجيل الرابع هو ان يجعل المؤمن يرى، وبطريقة وجودية، في مفردات الحياة، ماذا يعني له يسوع، هذا الذي آمن به؟

(ريمون براون)

المحتوى

كلمة الناشر ٧

مقدمة المعرب ٩

توطئة ١٣

مقدمة ١٤

نشيد المطلع (١:١-١٨) ٣٣

القسم الاول: كتاب الآيات [١:١٩-١٢:٥٠] ٤٣

الجزء الاول: حين يبدأ الكشف (١:١٩-٥١) ٤٤

أولاً: يوحنا المعمذان يشهد لنفسه (١:١٩-٢٨) ٤٥

ثانياً: يوحنا المعمذان يشهد ليسوع (١:٢٩:٣٤) ٤٧

ثالثاً: تلاميذ يوحنا المعمذان يأتون الى يسوع (١:٣٥-٥١) ٤٩

الجزء الثاني: من قانا الى قانا (٢:١-٤:٥٤) ٥٦

أولاً: عرس قانا (٢:١-١٢) ٥٨

ثانياً: آية تطهير الهيكل (٢:١٣-٢٢) ٦٣

انتقال (٢:٢٣-٢٥) ٦٦

ثالثاً: الكاشف بازاء المسؤول اليهودي (٣:١-٣٦) ٦٦

أ. نيقوديمس، المسؤول اليهودي (٣:١-٢١) ٦٦

ب. شهادة يوحنا المعمذان الأخيرة (٣:٢٢-٣٠) ٧٥

ج. خطاب هو خلاصة (٣:٣١-٣٦) ٧٧

رابعاً: يسوع والسامرية والسامريون (٤:١-٤٢) ٧٧

أ. يسوع والسامرية (٤:١-٢٦) ٧٨

ب. يسوع والتلاميذ (٤:٢٧-٣٨) ٨٧

ج. يسوع والسامريون (٤:٣٩-٤٢) ٨٨

خامساً: آية قانا الثانية (٤:٤٣-٥٤) ٨٩

الجزء الثالث: يسوع وأعياد اليهود الرئيسة (٥:١-١٠:٤٢) ٩٢

أولاً: يسوع والسبت (٥:١-٤٧) ٩٥

أ. شفاء المريض (٥:١-١٦) ٩٦

ب. جدالات مع اليهود (٥:١٧-٤٧) ٩٨

ج. مدح يسوع: هو الذي يحيي ويدين (٥:١٩-٣٠) ٩٩

د. شهود يدعمون يسوع (٥:٣١-٤٧) ١٠١

ثانياً: يسوع في عيد الفصح (٦:١-٧١) ١٠٤

أ. تكثير الخبزات (٦:١-١٥) ١٠٥

ب. السير على الماء (٦:١٦-٢١) ١٠٧

ج. خطاب في كفرناحوم (٦:٢٢-٧١) ١٠٨

ثالثاً: يسوع في عيد المظال (٧:١-٨:٥٩) ١١٩

مقدمة: الرحلة السرّية (٧:١-١٣) ١٢٠

أ. المشهد الاول: يسوع يعلّم في قلب العيد (٧:١٤-٣٦) ١٢١

ب. المشهد الثاني: يسوع في آخر يوم من العيد (٧:٣٧-٥٣) ١٢٤

قصة المرأة الزانية (٨:١-١١) ١٢٧

ج. المشهد الثالث: يسوع في عيد المظال (٨:١٢-٥٩) ١٣٠

رابعاً: انعكاسات عيد المظال (٩:١-١٠:٢١) ١٣٨

أ. مردودات شفاء اعمى بالولادة (٩:١-٤١) ١٣٨

ب. يسوع، الباب والراعي (١٠:١-٢١) ١٤٤

خامساً: يسوع في عيد التجديد (١٠:٢٢-٤٢) ١٥٠

أ. يسوع هو المسيح (١٠:٢٢-٣٠) ١٥٠

ب. يسوع هو ابن الله (١٠:٣١-٣٩) ١٥١

خلاصة مؤقتة (١٠:٤٠-٤٢) ١٥٢

الجزء الرابع: يسوع يسير نحو الساعة والمجد (١١:١-١٢:٥٠) ١٥٤

أولاً: يسوع يمنح لعازر الحياة (١١:١) ١٥٥

ثانياً: البشر يحكمون على يسوع بالموت (١١:٤٥) ١٦٣

ثالثاً: مشاهد اعدادية (١٢:١) ١٦٦

أ. دهن يسوع بالطيب (١٢:١) ١٦٦

ب. دخول يسوع اورشليم (١٢:١٢) ١٦٩

ج. ساعة يسوع (١٢:٢٠) ١٧١

خلاصة القسم الاول (١٢:٣٧) ١٧٦

تقييم ختامي (١٢:٣٧) ١٧٦

الخطاب الاخير (١٢:٤٤) ١٧٨

القسم الثاني: كتاب المجد [١٣:١-٢٠:٣١] ١٨١

المقدمة ١٨٣

الجزء الاول: العشاء الاخير (١٣:١-٣٠) ١٨٤

مقدمة (١٣:١-٣) ١٨٥

أ. مشهد تغسيل الارجل ومعناه (١٣:٤-٢٠) ١٨٦

ب. الإنباء بالخيانة (١٣:٢١-٣٠) ١٩١

الجزء الثاني: الخطابات الاخيرة (١٣:٣١-١٧:٢٦) ١٩٢

أ. مقدمة الخطاب (١٣:٣١) ١٩٣

ب. خطاب الوداع الاول (١٤:١) ١٩٦

ج. خطاب الوداع الثاني (١٥:١) ٢٠٥

١. الكرمة والاغصان (١٥:١-١٧) ٢٠٥

٢. بغض العالم (١٥:١٨-١٦:٤)	٢٠٩
٣. الروح شاهد ليسوع (١٦:٥-١٥)	٢١٣
٤. التلاميذ في الفرح (١٦:١٦-٣٣)	٢١٥
د. صلاة يسوع من اجل احبائه (١٧:١-٢٦)	٢١٨
الجزء الثالث: روايات الآلام (١٨:١-١٩:٤٢)	٢٢٤
الآلام في انجيل يوحنا	٢٢٥
الآلام والتاريخ	٢٢٦
أ. الاعتقال في البستان (١٨:١)	٢٢٨
ب. يسوع عند حنان (١٨:١٢)	٢٣٠
ج. يسوع امام بيلاطس (١٨:٢٨)	٢٣٣
د. الصلب (١٩:١٧)	٢٤٠
هـ. الدفن (١٩:٣٨)	٢٤٨
الجزء الرابع: يسوع القائم (٢٠:١-٣١)	٢٥٠
أ. الترائيات (٢٠:١-٢٩)	٢٥١
١. مريم المجدلية وسمعان بطرس والتلميذ الآخر (٢٠:١-١٨)	٢٥١
٢. ترائي للتلاميذ (من دون توما) (٢٠:١٩-٢٣)	٢٥٥
٣. توما: نؤمن دون ان نرى (٢٠:٢٤-٢٩)	٢٥٧
ب. خلاصة (٢٠:٣٠-٣١)	٢٥٨
خاتمة (الفصل ٢١)	٢٦١
مقدمة	٢٦٢
أ. الصيد الوفير (٢١:١-١٤)	٢٦٣
ب. سمعان بطرس الراعي (٢١:١٥-٢٣)	٢٦٦
خاتمة (٢١:٢٤-٢٥)	٢٦٨

قائمة بالاختارات

- الكلمة ٤٠
- ابن الانسان ٥٤
- السامريون ٨٢
- "اليهود" في انجيل يوحنا ٩٤
- يسوع، ابن الله ١٠٣
- الاسم الالهي ("انا هو") ١٣٦
- ساعة يسوع ١٧٤
- الحب في انجيل يوحنا ١٨٧
- يوحنا والافخارستيا ١٩٠
- عشاء يسوع الاخير: عشاء فصحي ام لا؟ ١٩٥
- "الروح" في انجيل يوحنا ٢٠٢
- "العالم" في انجيل يوحنا ٢١٢
- التلميذ الذي يحبه يسوع ٢٤٥
- مشروع الانجيلي ٢٦٩

من اصدارات مركز الدراسات الكتابية
دار بيبليا للنشر

ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية متخصصة مصورة، معربة عن الفرنسية ***Les Dossiers de la Bible***
تصدر منذ عام ٢٠٠٠ عن دار بيبليا للنشر بوتيرة اربعة ملفات في السنة.

السنة الاولى ٢٠٠٠
١- الحديث عن القيامة/أيلول
٢- الافخارستيا/ كانون الأول

السنة الثانية ٢٠٠١
٣- ايليا واليشاع/كانون الثاني
٤- امثال يسوع/نيسان
٥- ما وراء الموت/تموز
٦- عجائب يسوع/تشرين الأول

السنة الثالثة ٢٠٠٢
٧- قراءة في انجيل متى/كانون الثاني
٨- اعمال الرسل/نيسان
٩- قراءة في مؤلف لوقا/تموز
١٠- حزقيال النبي/تشرين الأول

السنة الرابعة ٢٠٠٣
١١- اناجيل الطفولة/كانون الثاني
١٢- القديس بولس/نيسان
١٣- سفر يونان/تموز
١٤- كنيسة البدايات/تشرين الأول

السنة الخامسة ٢٠٠٤
١٥- القديس مرقس/كانون الثاني
١٦- سفر المزامير/نيسان
١٧- النبي عاموس/تموز
١٨- صلاة الابانا/تشرين الأول

السنة السادسة ٢٠٠٥
١٩- انجيل يوحنا/كانون الثاني
٢٠- الروح القدس/نيسان
٢١- الاناجيل المنحولة/تموز
٢٢- اشعيا النبي/تشرين الأول

السنة السابعة ٢٠٠٦
٢٣- سفر ايوب/كانون الثاني
٢٤- ارميا النبي/نيسان
٢٥- سفر الرؤيا/تموز
٢٦- الغفران في ك. م. /تشرين الأول

السنة الثامنة ٢٠٠٧
٢٧- اشعيا الثاني وتلاميذه/كانون الثاني
٢٨- أوجه يسوع/نيسان
٢٩- الآلام بحسب يوحنا/تموز
٣٠- سفر الخروج/تشرين الأول

السنة التاسعة ٢٠٠٨
٣١- لا فقراء بعد اليوم!/كانون الثاني
٣٢- الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان
٣٣- روح العنصرة/تموز
٣٤- العهد: من سيناء الى يسوع/تشرين الأول

السنة العاشرة ٢٠٠٩
٣٥- العماذ في ك.م.+عدد خاص/كانون الثاني
٣٦- بولس وقورنتس/نيسان
٣٧- حين يتكلم الله/تموز
٣٨- مريم، ام يسوع/تشرين الأول

اسعار المجموعات مخفضة

- مجموعة ٧ اعوام (١١-٣٨) ٢٥٠٠٠ د.
- مجموعة ٥ أعوام (١٥-٣٤) ١٥٠٠٠ د.
- مجموعة عامين (٢٣-٣٠) ٥٠٠٠ د.
- مجموعة عامين (٣١-٣٨) ١٠٠٠٠ د.

في سلسلة "أمسيات الأحد"/ الآباء البولسيون-حريصا

العدد ٤٧: العلماء والدين
العدد ٥٢: الكسي كارل

في سلسلة "الفكر المسيحي"/كهنة يسوع الملك- الموصل (١٩٦٤-١٩٧٠)

الأعداد: ١. الكنيسة عبر القارات، ٩. صندوق الاسئلة، ١٥. صندوق الاسئلة ٢٠، العلم والدين، ٢٣. صندوق الاسئلة، ٣٠. الانبياء، اعلنوا المسيح، ٤٥. صندوق الاسئلة، ٤٩. هل الايمان عثرة؟، ٥٦. صندوق الاسئلة.

- **في سلسلة "كلام الله"/الآباء الدومينيكيون**
  - الكتاب المقدس والانجيل / العدد ٥ — الموصل ١٩٦٢
  - لوقا، انجيليّ المخلص / العدد ١١ — الموصل ١٩٦٤
- **في سلسلة "الحياة الروحية" / دار المشرق**
  - صل لتحيا: الاب رنيه فوايوم — بيروت ١٩٨٠ (ط٤ ١٩٩٩)
- **في سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس"/دار المشرق**
  - ٢٢. الله ابونا: الاب جان بويي — بيروت ٢٠٠٠
- **في سلسلة "أبحاث كتابية"/بيبليا للنشر**
  - ١. قراءة مجددة للعهد الجديد (تأليف) — الموصل ١٩٩٩
  - ٢. يسوع الذي من الناصرة/بقلم مرقس الانجيلي — الموصل ٢٠٠٢
  - ٣. قراءة في العهد القديم/ج١ قبل الجلاء — الموصل ٢٠٠٣
  - ٤. قراءة في العهد القديم/ج٢ من الجلاء الى يسوع — الموصل ٢٠٠٤
  - ٥. قراءة في العهد الجديد/ج١ الاناجيل الاربعة — الموصل ٢٠٠٤
  - ٦. قراءة في العهد الجديد/ج٢ اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا — الموصل ٢٠٠٤
  - ٩-١٠. روايات الآلام والقيامة — الموصل ٢٠٠٦
  - ١٣. الانجيل بحسب القديس متى (سلسلة تفاسير/١) — الموصل ٢٠٠٨
  - ١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا (سلسلة تفاسير/٤) — الموصل ٢٠٠٩
- **في سلسلة "مختارات الفكر المسيحي"/بيبليا للنشر**
  - اسئلة واجوبة (٣) —اعداد وتقديم — الموصل ٢٠٠٦
  - افتتاحيات (٤) —اعداد وتقديم — الموصل ٢٠٠٧
  - من وحي الانجيل (٦) —اعداد وتقديم — الموصل ٢٠٠٨
  - خواطر وشذرات (٧) —اعداد وتقديم — الموصل ٢٠٠٩
  - الاعداد الخاصة (٨)-اعداد وتقديم — (يظهر اوائل ٢٠١٠)
- **في ملفات "الكتاب المقدس"/بيبليا للنشر**

(١) الحديث عن القيامة/ايلول ٢٠٠٠، (٢) الافخارستيا/كانون الاول ٢٠٠٠، (٥) ما وراء الموت/تموز ٢٠٠١، (٩) قراءة في مؤلف لوقا/تموز ٢٠٠٢، (١١) اناجيل الطفولة/كانون الثاني ٢٠٠٣، (١٩) انجيل يوحنا/كانون الثاني ٢٠٠٥، (٢٤) ارميا النبي/تموز ٢٠٠٦، (٢٨) اوجه يسوع/نيسان ٢٠٠٧، (٣٢) الآلام بحسب انجيل لوقا/نيسان ٢٠٠٨، (٣٧) حين يتكلم الله/تموز ٢٠٠٩

- **الصحافة المسيحية (تحليل الفكر المسيحي)** — اطروحة بالفرنسية/لوفان ١٩٧٦
- **كنيسة مار توما، في ماضيها وحاضرها (مستنسخ)** — بيبليا للنشر-الموصل ٢٠٠١

أنجزت شركة الديوان للطباعة والنشر
طبع هذا الكتاب في ١٨ أيلول ٢٠٠٩

سلسلة أبحاث كتابية

١. قراءة مجددة للعهد الجديد	تأليف: أ. بيوس عفاص	٥٤٠ص/١٩٩٩	(٤٠٠٠ د)
٢. يسوع الذي من الناصرة، بقلم مرقس الانجيلي	تعريب: أ. بيوس عفاص	٢٣٤ص/٢٠٠٢	(١٠٠٠ د)
٣. قراءة في العهد القديم/ج١: قبل الجلاء		٢٤٠ص/٢٠٠٣	(١٥٠٠ د)
٤. قراءة في العهد القديم/ج٢: من الجلاء الى يسوع		٢٧٢ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)
٥. قراءة في العهد الجديد/ ج١: الاناجيل الاربعة		٢٥٦ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)
٦. قراءة في العهد الجديد/ ج٢: اعمال الرسل، الرسائل، الرؤيا		٢٥٦ص/٢٠٠٤	(٢٠٠٠ د)

(وتؤلف الاجزاء الاربعة الاخيرة من تعريب الأب بيوس عفاص [وتضمها علبة خاصة]
مدخلا متكاملا الى الكتاب المقدس بسعر ٨,٠٠٠ دينار)
سعر خاص للجزئين من "قراءة في العهد الجديد": ٣٠٠٠ د. فقط

٧. الكنيسة التي ورثناها عن الرسل	تأليف: أ. ريموند براون		
	ت: م. جرجس القس موسى	٢٠٨ ص/٢٠٠٥	(٢٠٠٠ د)
٨. لوقا - الاعمال/ وعد التاريخ	تأليف: دونالد يونيل		
	تعريب أ.البير ابونا	٢٠٠ص/٢٠٠٦	(٢٠٠٠ د)
٩-١٠. روايات الآلام والقيامة/ بحسب الانجيليين الاربعة	تأليف: أ. بيير بنوا		
	تعريب: أ. بيوس عفاص	٣٣٦ص/٢٠٠٦	(٣٥٠٠ د)
١١. يسوع الذي هو المسيح	تأليف: أ. برنار راي		
	ت: م. جرجس القس موسى	١٣٦ص/٢٠٠٧	(٢٠٠٠ د)
١٢. من اجل ايمان جاد/ الايمان بحسب القديس يوحنا	تأليف: ك.كارلو مارتيني		
	تعريب أ. ألبير أبونا	١٧٦ص/٢٠٠٨	(٢٠٠٠ د)
١٣. الانجيل بحسب القديس متى/ سلسلة تفاسير ١	تأليف: كلود تاسان		
	تعريب أ. بيوس عفاص	٢٨٨ص/٢٠٠٨	(٣٠٠٠ د)
١٤. مذكرات مريم، فتاة الناصرة	تأليف: جاكلين هوري		
	ت م. جرجس القس موسى	٢٨٨ص/٢٠٠٩	(٣٠٠٠ د)
١٥. الانجيل بحسب القديس يوحنا / سلسلة تفاسير ٤	تأليف: آلان مرشدور		
	تعريب أ. بيوس عفاص	٢٨٨ص/٢٠٠٩	(٣٠٠٠ د)

سيظهر تباعا

١٦. رسائل القديس بولس/ج١ -سلسلة تفاسير ٦	يظهر في أوائل ٢٠١٠
١٧. رسائل القديس بولس /ج٢ - سلسلة تفاسير ٧	يظهر في خريف ٢٠١٠
١٨. رسائل القديس بولس / ج٣- سلسلة تفاسير ٨	يظهر في أوائل ٢٠١١
١٩. الرسائل الاخيرة- سلسلة تفاسير ٩	يظهر في خريف ٢٠١١
٢٠. سفر الرؤيا- سلسلة تفاسير ١٠	يظهر في أوائل ٢٠١٢
٢١. الانجيل بحسب القديس مرقس- سلسلة تفاسير ٢	يظهر في خريف ٢٠١٢
٢٢. الانجيل بحسب القديس لوقا- سلسلة تفاسير ٣	يظهر في أوائل ٢٠١٣
٢٣. سفر أعمال الرسل- سلسلة تفاسير ٥	يظهر في خريف ٢٠١٣

سلسلة
أبحاث
كتابية
١٥

الإنجيل بحسب القديس يوحنا

ترجمة
الأب
بيوس
عفاص

٢٠٠٩

سلسلة تفاسير

عمدت سلسلة "ابحاث كتابية" الى تعريب ونشر ١٠ اجزاء من سلسلة "تفاسير" (Commentaires) تغطي العهد الجديد برمته.

ظهر منها الجزء الاول والرابع (الرقم ١٣ و١٥). وسيظهر تباعاً جزءان في السنة، على مدى اربعة اعوام:

١ . الانجيل بحسب القديس متى (ت . أ . بيوس عفاص)	[١٣]	ظهر في خريف ٢٠٠٨
٢ . الانجيل بحسب القديس مرقس	[٢١]	يظهر في خريف ٢٠١٢
٣ . الانجيل بحسب القديس لوقا	[٢٢]	يظهر في اوائل ٢٠١٣
٤ . الانجيل بحسب القديس يوحنا (ت . أ . بيوس عفاص)	[١٥]	ظهر في خريف ٢٠٠٩
٥ . سفر اعمال الرسل	[٢٣]	يظهر في خريف ٢٠١٣
٦ . رسائل القديس بولس/١ (ت . م . جرجس القس موسى)	[١٦]	يظهر في اوائل ٢٠١٠
٧ . رسائل القديس بولس/٢ (ت . الاخت باسمة الخوري)	[١٧]	يظهر في خريف ٢٠١٠
٨ . رسائل القديس بولس/٣ (ت . أ . البير ابونا)	[١٨]	يظهر في اوائل ٢٠١١
٩ . الرسائل الاخيرة	[١٩]	يظهر في خريف ٢٠١١
١٠ . سفر الرؤيا	[٢٠]	يظهر في اوائل ٢٠١٢

... وضع مؤلف الانجيل الرابع مقدمة لعبت دور الافتتاحية في مقطوعة موسيقية، ذلك ان الدوافع معروضة بايجاز: هوية البطل الحقيقية، الكائن منذ الازل، اصبح "بشراً". وحول هذا "الانسان"، تجري دراما تتوسع حولها "حبكة". فالقسم الاول (١-١٢) بوسعنا ان نطلق عليه عنوانا: يسوع بازاء العالم (هو كتاب الآيات)... والكلمة المفتاح فيه "الايمان". اما القسم الثاني (١٣-٢٢)، فيمكننا ان نسميه: يسوع بازاء جماعته (هو كتاب المجد)... والكلمة المفتاح فيه هي "الحب"، حب يتجلى عبر الآلام المجيدة، أي الساعة التي فيها تمجد يسوع.

(من مقدمة المؤلف)

●

هذا الكتاب هو الجزء الرابع من سلسلة "تفاسير" -وقد ظهر الجزء الاول "الانجيل بحسب القديس متى" في خريف ٢٠٠٨.

و"الانجيل بحسب القديس يوحنا" هو بقلم آلان مرشدور، كاهن في جمعية الانتقال (assomptionnistes)، ومن ابرز المفسرين الفرنسيين، واستاذ الكتاب المقدس في المعهد الكاثوليكي بتولوز، وهو عميده منذ سنوات. شارك في "الخدمة البيبلية: انجيل وحياة" التي عنها صدرت "ملفات الكتاب المقدس" -وله فيها مقالات دسمة.

- سلسلة "تفاسير" بقلم اختصاصيين في علوم الكتاب المقدس
- كتب تمكّن من الحصول على تفسير راعوي رصين للعهد الجديد
- تفاسير هي اداة ثمينة للدخول الى عالم العهد الجديد ومضامينه

تطلب من مكتبة بيبليا
كنيسة مار توما
الموصل- العراق

سعر النسخة: ٥٠٠٠ دينار

شركة الديوان
للطباعة والنشر
بغداد- العراق